مجلة المثقف العربي

الخفجي

السنة 43

السنة الثالثة والأربعون، العددان السابع والثامن
يوليو - أغسطس ٢٠١٣ م / رمضان - شوال ١٤٣٤هـ

مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي

هديةُ شاعرٍ لأمة

البابِ.. علمٌ وكتاب

الافتتاحية

أهلاً بك يا رمضان ..

بقلم: فارس فراج السبيعي

يصدر هذا العدد مع مطلع شهر العبادات والطاعات شهر الوصال والاتصال، شهر التبكير والتهجير شهر القراءات والختمات، شهر لا يخسر فيه إلا المفلسون .

رمضان محطة سنوية يتزود فيها المؤمن بزاد التقوى، ويشحن كل طاقاته من أجل مواصلة مسيرة البناء والعطاء والعمل، فاللهم اجعلنا من الغانمين الفائزين بعطاياك في شهر الغفران، واجعلنا ممن يقوم ليلة القدر إيمانا واحتسابا.

في هذا العدد نفتح باب الرواق ونقف عنده لنتعرف على الباب بشيء من التفصيل، فباب الشيء أوله وهو بداية المكان ومنتهاه، وكما قيل وراء كل باب حكاية، ونحن قصدنا في هذا العدد أن نتعرف على حكاية الباب .

كما يزخر عددنا بعدة موضوعات منوعة في مجالات مختلفة تثري القارئ وترفع من رصيده الثقافي، جمعها وأعدها كوكبة من الباحثين في مجالات شتى، فمن سورية الحبيبة الجريحة كتب محمد ياسر منصور عن السلوك البشري وأثره في الصحة والسلامة المهنية، كما كتبت هناء المداد مقالا عن الصيام مدرسة السلوك الإنساني، ومن مصر العروبة كتب زميلنا المتألق أحمد شلبي عن رمضانيات مصرية، ومن الرياض سطر الدكتور زيد الروماني مقالا إداريا عن الثقة وعوامل صنع القرار العشرة، وأما من الكويت فقد جال وصال الدكتور عدنان محرز في مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي والتي تعد صرحا معماريا رائعا وهدية شاعر لأمة. وضيف هذا العدد اسماعيل فهد اسماعيل الذي التقاه الزميل عبدالله الشمري وغاص معه في أعماقه فأخرج مكنونات صدره التي تستحق القراءة والتعرف عليها. وهناك الكثير من الموضوعات والقصص والأشعار الشائقة التي تستحق المتابعة والتأمل، فهيا نتصفح مجلتكم الخفجي ونستمتع بقراءتها ومبارك عليكم شهر الصيام وعساكم من عواده .

الخفجي
مجلة المثقف العربي

عمليات الخفجي المشتركة
AL-KHAFJI JOINT OPERATIONS

أرامكو لاعمال الفليج
Aramco Gulf Operations

الشركة الكويتية لنفط الخليج
KUWAIT GULF OIL COMPANY

يصدرها قسم الشؤون الإعلامية في دائرة العلاقات العامة والحكومية كل شهرين

رئيس اللجنة التشغيلية المشتركة
م. عبدالله بن ناصر الهلال

رئيس التحرير المسؤول
م. سليمان ناصر الرشيدي

مدير التحرير
فارس فراج السبيعي

سكرتير التحرير
عبد الله مهدي الشمري

مشرف التحرير
سالم جمعان الدوسري

هيئة التحرير
وائل أحمد الهنيدي
محمد الرامزي

مشرف الدعم الفني
خالد سعد الأحمد

مسؤول مكافآت الكتّاب
مسفر المري

ناشر إليكتروني
فيصل العتيبي

تصوير
محمود الرفاعي فرج
جوليو أفيناس

تصميم وإخراج
سيد محمد فياض الدين

للمجلة الحق في الاحتفاظ بأصول المقالات
سواء نشرت أم لم تنشر

المقالات المنشورة في هذه المجلة
لا تعبر إلا عن آراء أصحابها
يرجى ذكر المصدر عند الاقتباس

المراسلات باسم رئيس التحرير
دائرة العلاقات العامة والحكومية
قسم الشؤون الإعلامية
ص. ب ٢٥٦ الخفجي ٣١٩٧١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٠٠٩٦٦٣ ٧٦٥٥٥٨٥٠
فاكس: ٠٠٩٦٦٣ ٧٦٥٥٧٣٧

بريد الكتروني:
alkhafjim@gmail.com

ر د مد: ISSN: ١٣١٩-٩١٨٨

لشكاوى التوزيع
alkhafjim@gmail.com

طبعت في مطابع دار السياسة - الكويت

اقرأ في هذا العدد

السنة الثالثة والأربعون
العددان: السابع و الثامن
يوليو - أغسطس ٢٠١٣ م / رمضان - شوال ١٤٣٤هـ

8-7

فهرس المحتويات

بريد القراء	سكرتير التحرير	٣
الرواق : (الباب)	نجم الدين محمود مسعود	٤ - ١٥
التدخين.. الخطر القاتل	د. محمد علي السيد علي	١٦ - ١٩
ضيف العدد : إسماعيل فهد إسماعيل	سكرتير التحرير	٢٠ - ٢٩
الصيام.. مدرسة السلوك الإنساني	هناء ثابت محمد المداد	٣٠ - ٣٢
قصص قصيرة جدًا	شمس علي	٣٣
الثقة وعوامل صنع القرار العشرة	أ.د. زيد بن محمد الرماني	٣٤-٣٥
السلوك البشري وأثره في الصحة والسلامة المهنية	محمد ياسر منصور	٣٦-٣٨
أسر البعاد	خليل بن إبراهيم الفزيع	٣٩
مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي	د. عدنان محرز	٤٠-٤٩
النفس ولغة الحوار والجدل في خطاب القرآن المجيد	د. عبد الرحيم الميرابي	٥٠-٥١
تشكيل مفهوم الذات عند الأطفال والعوامل المؤثرة فيه	عصام خليل الدايح	٥٢-٥٥
الاكتئاب .. الطاعون القادم	أ.د. علي إسماعيل عبد الرحمن	٥٦-٦١
قلم الحبر - القلم النباع - اختراع عربي إسلامي	سهير الشاذلي	٦٢-٦٣
العمارة الإسلامية.. علم العمارة الذكية	أ.د. إيمان مسعود	٦٤-٦٧
رفوف	سعدية مفرح	٦٨-٧١
تجارب صناعة الطيران العربية... من أجهضها؟	د. سائر بصمه جي	٧٢-٧٥
جدل العلاقة بين الإعلام والثقافة	حواس محمود	٧٦-٧٧
قراءة كونية في نص كوني	زكريا العبّاد	٧٨-٨١
كلمة حب واحدة منك	أحمد عنتر مصطفى	٨٢-٨٣
رمضانيات مصرية	أحمد شلبي	٨٤-٨٧
نزهة في رياض الأدب واللغة	عبد الله مهدي الشمري	٨٨-٨٩
أثر الاكتشافات العلمية على تطور الفنون التشكيلية (١)	هدى العمر	٩٠-٩١
بانوراما	سمير العاسمي	٩٢-٩٥
مع التحية	وائل الهنيدي	٩٦

بريد القراء

بإشراف سكرتير التحرير

بريد القراء باب نسعد باستقبال مشاركاتكم من خلاله سواء كانت تعليقاً على مقال أو تصحيحاً لمعلومة، أو طلباً تشرفنا إجابته، أو إطراء يدفعنا للأمام، فرسائلكم محط اهتمامنا وعنايتنا، وهي تُعيننا على التطور والارتقاء بمستوى مجلتكم التي هي منكم وإليكم.

• نود إحاطة جميع القراء علما أنه بإمكانهم الاطلاع على مجلة «الخفجي» وتصفحها بنظام «PDF» وهي طبق الأصل، وذلك من خلال زيارة موقع: عمليات الخفجي المشتركة www.kjo.com.sa ثم الذهاب للمركز الإعلامي والضغط على مطبوعاتنا حيث تتوافر في الموقع أعداد آخر سنتين من المجلة.

• في حال وجود شكوى من توزيع المجلة أو تأخيرها، يرجى إرسال رسالة إلكترونية لقسم الدعم الفني على إيميل المجلة: alkhafjim@gmail.com باسم مشرف الدعم الفني خالد الأحمد.

كما نرجو من الكتاب الذين يواجهون أي مشكلات في وصول قيمة الاستكتابات والمكافآت القيام بإرسال رسالة إلكترونية على البريد الإلكتروني للمجلة باسم مسؤول المكافآت مسفر المري.

• الأستاذعبد القادر جلول بن عمراني، من أدرار في الجزائر: وصلتنا رسالتك، وقد تم إدراج طلبك في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاء الله – على عنوانكم.

• الأستاذ حويسي محمد بو جمعة، من أدرار في الجزائر: وصلتنا رسالتك، وقد تم تحديث بياناتك في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذة حصة سليمان علي القرطون من محافظة عنيزة، منطقة القصيم، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم إدراج طلبك في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ عبد الله ماجد عبد الله الشهوان من مدينة الظهران، المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم إدراج طلبك في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ حسن محمد عيسى الشيخ من مدينة الدمام، المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم إدراج طلبك في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• المهندس خالد العنانزة، من مدينة عمّان في المملكة الأردنية الهاشمية: وصلتنا رسالتك التي تخبرنا بها عن وصول ما طلبتم في رسالتكم من أعداد المجلة، وقد تم إدراج طلبك في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ مشعل سحمي الفهري القحطاني، من مدينة الظهران، المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم تحديث بياناتكم في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ باسم مصطفى أبو الرز، من محافظة القطيف، المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم تسجيل بياناتكم في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ عايش محمد البو عبدي، من محافظة الأحساء، المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم تحديث بياناتكم في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ سعد فهد الرزيحان، من محافظة الأحساء، المنطقة الشرقية، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم تحديث بياناتكم في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ أحمد محمد أبو حسين، من محافظة جدة، منطقة مكة المكرمة، في المملكة العربية السعودية: وصلتنا رسالتك، وقد تم تحديث بياناتكم في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الأستاذ حمد ناصر حمد السالمي، من ولاية نزوى في سلطنة عُمان: وصلتنا رسالتك، وقد تم تسجيل بياناتكم في قائمة المشتركين، وسيتم إرسال المجلة – إن شاءالله – على عنوانكم.

• الدكتور سعيد بوكرامي، مدير تحرير مجلة أجراس/ رئيس الصالون الأدبي المغربي: سعدنا برسالتك الرائعة، ونقدر لكم تواصلكم مع المجلة، ويسرنا أن نرسل لكم آلية الدخول إلى مطبوعتنا عبر الموقع الإلكتروني لعمليات الخفجي المشتركة، كما نرفق لكم كوبون اشتراك مجاني في المجلة؛ لتعبئته وإعادة إرساله.

• الدكتور عبدالرحيم الميرابي، من محافظة أبي عريش، منطقة جازان، في المملكة العربية السعودية: لقد سعدنا برسالتك، ونفيدكم بأنه تم إرسال الأعداد التي صدرت من المجلة بدءاً من يناير ٢٠١٣ على عنوانكم، كما سيتم إرسال الأعداد اللاحقة من المجلة بانتظام على عنوانكم.

• الأستاذ نبيل الحميني، من المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية: نشكر لكم الكلمات الرائعة التي حوتها رسالتكم، أما ما يخص مطبوعة نفس من الحياة فقد توقفنا عن إصدارها والاكتفاء بنشر بعض الموضوعات الطبية في النشرة الأسبوعية «الدرة» ويمكنك أن تطلع على المجلة الدرة العربية من خلال الموقع الإلكتروني لعمليات الخفجي المشتركة.

• نود من الإخوة الذين أرسلوا طلب تحديث الاشتراك الاكتفاء بذلك، وعلى من لم يرسل المبادرة إلى ذلك مع ملاحظة تسجيل رقم الاشتراك بجانب الاسم للأهمية.

• نأمل من الإخوة والأخوات – كتاباً ومشتركين – عدم الاتصال خارج وقت الدوام الرسمي «من ٧ ص – ٣ م»، وإرسال استفساراتهم عبر البريد الإلكتروني للمجلة.

يجمعنا رواقُ « الخفجي » – مجلة المثقف العربي – تحت مِظلة المعرفة التي هي غايةُ كلّ عاقل، ندلفُ إليه فنتنقّلُ بين جنَباته؛ لنشُمَّ أزاهيرَ الثقافة حكمةً وعِلْمًا وأدبًا؛ فلا نصدُرُ عنه إلا وقد أُشربت نفوسُنا متعةً وأُنسا، ونهلت عقولُنا علْمًا وفِكْرًا. وحول أزاهيره المتتابعة نلتفُ؛ ليلتقطَ كلٌ منّا ما تصفو به روحُه، ويطمئنُ إليه قلبه..

إعداد: نجم الدين محمود مسعود *
alebyary2000_63@hotmail.com

البابُ علمٌ وكتاب

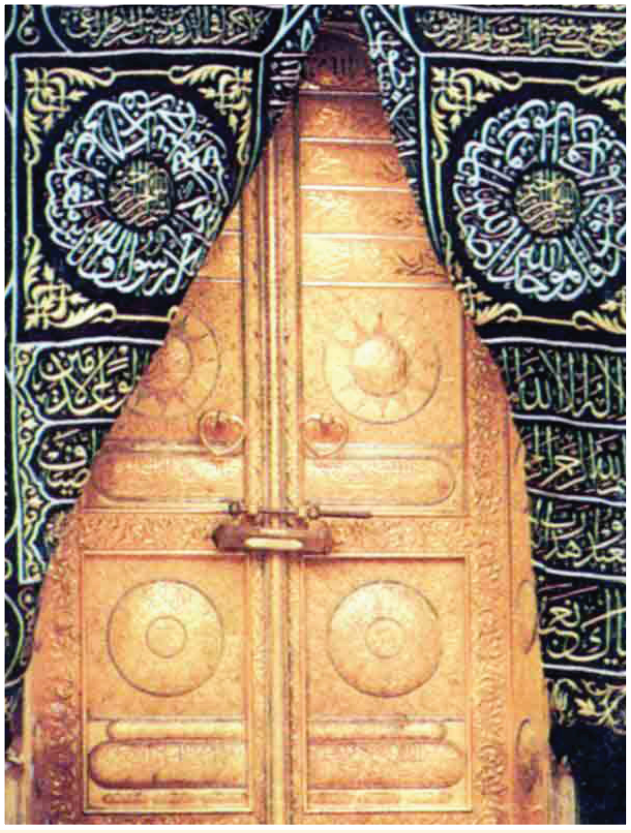

البابُ في اللغة

البابُ: مَدخل البناية أو البيت أو الغرفة أو نحوها، وما يسد به المدخل من خشب أو حديد أو غيرهما، والبابُ من الكتاب «القِسْم الذي يجمع مسائلَ من جنس واحد»، يُقال «هذا من باب كذا»: أي من قَبيلِه، ويُجمعُ البابُ على أَبواب، وبِيبان.

بَوَّبَ البابَ عمله، وبَوَّبَ الكتابَ ونحوه: جعله أَبواباً.

والبِوَابة: حرفةِ البوَّاب.

البَوَّابُ: حافظ الباب، وهي كذلك فتحة المعدة الموصّلة إلى الاثْني عَشَرِيِّ.

والبَوّابة: الباب الكبير كمدخل العمائر ونحوها.

وحين نقول «قَرَأْتُ البَابَ الأَوَّلَ مِنَ الكِتَابِ» فإننا نعني الفُصُولَ الأوَلى مِنْهُ.

و«أُغْلِقَتْ كُلُّ الأبْـوَابِ فِي وَجْـهِـهِ»، أي كُلُّ الطُرُقِ من كُلّ السُّبُلِ.

و«لَمْ يَتْرُكْ بَاباً إلاّ طَرَقَهُ»، أي لم يترك حيلةً إلا احتالها.

ونقول «العِيدُ عَلَى الأبْوابِ»، أيْ صَارَ قَرِيباً.

و«مِنْ بَابٍ أوْلَى أنْ تَكُونَ حَاضِراً»، أي الأحْرَى، والأجْدَرُ.

و«كَانَ عَالِماً فَرِيداً فِي بَابِهِ»، فَرِيداً فِي عِلْمِهِ، وفِي تخصصه.

* تربوي مصري، له كتابات في التربية، ومهتم بالمسرح المدرسي.

و«مِنْ بَابِ الْمُصَادَفَةِ جَاءَ فِي الْمَوْعِدِ»، أي عَرَضاً.
و«أَعْطَى مِنْ مَالِهِ مِنْ بَابِ الفَضْلِ»، مِنْ قَبِيلِ الْمَعْرُوفِ.
و«هَذَا بَابُهُ»، مَجَالُهُ، مَيْدَانُهُ.
و«الباب» مدخل ومخرج البيت ونحوه، نقول «وجدنا رجلاً يقف عند أو على أو لدى الباب»، كما في قوله تعالى في سورة يوسف: «وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ»، وكذلك: «وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ».
و«أتَى البيوت من أبوابها» توصَّل إلى الأمور من مدخلها الطبيعيّ، و«أغلق باب المفاوضات» ليس لديه استعداد للتوصّل إلى حلّ، و«الباب العالي» أُطلق على الحكومة العثمانية، و«الحرب على الأبواب» أي هي مُحدِقةٌ، ووشيكة، وكذلك «العدوّ على الأبواب» أي قريب جدّاً، و«باب الآخرة» هو الموت، و«باب الرِّزق» هو الحرفة أو المرتزَق، و«باب الخِدْمة» هو الباب الذي يمرّ منه الخَدَمُ والباعة.

استعمالاتٌ مجازية أخرى للفظة «الباب»

- نقول «تركَ البابَ مفتوحاً» بمعنى أتاح فرصةً، وترك الأمر معلّقاً دون اتخاذ قرار نهائيّ بشأنه.
- و«دخَل من الباب الصغير» يُقصدُ أنه بلغ مركزاً من دون استحقاق.
- و«دخَل من الباب الكبير» نال مركزاً عن جدارة واستحقاق.
- و«سُدَّت في وجهه الأبواب» فشِل في بلوغ غرضه.
- و«سياسَةُ الباب المفتوح» سياسةٌ تعتمد على إلغاء القيود، وهو أسلوبٌ سياسيٌّ يقوم على الحوار وعدم المواجهة.
- ونقول «طرق كلّ الأبواب»، يعني حاول بكلّ السّبل، واستعمل كلّ وسيلة.
- «على الأبواب» أي قريب.
- «على باب الكريم» على فضل الله ونعمه.
- و«فتَح باباً جديداً» أتَى بشيءٍ جديد.
- «فتَح باب النِّقاش» بدأ عرض القضايا موضوع النقاش.
- و«شيّع فلانٌ فلاناً إلى باب منزله»، أي ودّعه، أو رافقه تكريماً له.

الباب في التنزيل

ورد ذكر الباب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وجاءت في معظمها بمعنى المدخل، ومن ذلك قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (سورة يوسف، الآية ٦٧)، وقوله عزَّ وجلّ: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة يوسف، الآية ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (سورة الحديد، الآية ١٣)، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (سورة الزمر، الآية ٧٢)، وقوله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (سورة الحجر، الآية ٤٤)، وفي ذلك يقول صاحب التفسير الميسّر: «للنار سبعة أبواب، كل باب أسفل من الآخر، لكل بابٍ من أتباع إبليس قسم ونصيب بحسب أعمالهم» - أعاذنا الله وإياكم منها - وللسماء أبواب، قال تعالى في معرض الحديث عن قوم نوحٍ، عليه السلام، وما لحقهم من عقاب الله بسبب تكذيبهم وإعراضهم عن منهج الحق: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ (سورة القمر، الآية ١١)، وقال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾ (سورة النبأ، الآية ١٩).

الباب في الهدي النبويّ

عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «من توضأ فقال: أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها يشاء»، وعن سهل، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحدٌ غيرُهم، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد» (رواه البخاري).

وعن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «الوالدُ أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه» (رواه الترمذي).

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبِي، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً فَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَسَمِعَ وَأَطَاعَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدْخِلُهُ مِنْ أَي أبواب الجنة، وَلَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَسَمِعَ وَعَصَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ أَمْرِهِ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ رَحِمَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» (مسند أحمد).

أبواب الجنة

- باب الجهاد: خاص بأهل الجهاد.
- باب التوبة: خاص بالتائبين.
- باب الصلاة: خاص بأهل الصلاة.
- باب الريان: خاص بأهل الصيام.
- باب الصدقة: خاص بأهل الصدقات.
- باب الوالد: خاص بالذين يبرون والديهم.
- باب الفرح: خاص بالذين يدخلون السرور والفرح على المسلمين.
- باب الضحى: خاص بالذين يصلون الضحى.

أبواب النار

وأما النار فلها سبعة أبواب، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ (سورة الحجر، ٤٣-٤٤).

ولا نعلم نصاً ثابتاً عن النبي، صلى الله عليه وسلم، جاء

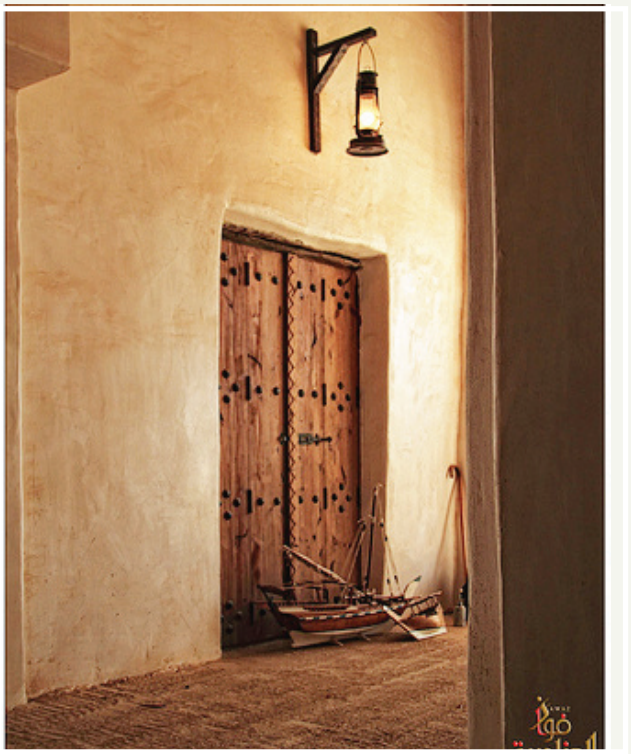

في تسمية هذه الأبواب، لكن جاءت آثارٌ عن الصحابة في ذلك، منها ما ذكره القرطبي عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: «هل تدرون كيف أبواب الجنة؟ قلنا: مثل أبوابنا، قال: لا، هي هكذا بعضهم فوق بعض - زاد الثعلبي - ووضع إحدى يديه على الأخرى، وأن الله وضع الجنان على الأرض والنيران بعضها فوق بعض، فأسفلها جهنم، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر، وفوقها الجحيم، وفوقها لظى، وفوقها السعير، وفوقها الهاوية، وكل باب أشد حراً من الذي يليه سبعين مرة».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله سبحانه: «لها سبعة أبواب»، قال: جهنم والسعير ولظى والحطمة وسقر والجحيم والهاوية وهي أسفلها.

تفسير رؤيا «الباب» لابن سيرين

- «الأبوابُ المفتحة» هي أبوابُ الرزق.
- وبابُ الدار: قيِّمُها، فما حدث فيه فهو في قيم الدار، ومَنْ رأى في وسط داره باباً صغيراً فهو مكروه؛ لأنه يدخل على أهل العورات وسيدخل تلك الدارَ خيانةٌ في امرأته.
- وأبواب البيوت: معناه يقع على النساء، فإن كانت جدداً فهن أبكار، وإن كانت خالية من الأقفال فهن ثيِّبات.

• وإن رأى بابَ دارٍ قد سقط أو قُلِع إلى خارج، أو محترقاً أو مكسوراً فذلك مصيبة في قيم الدار، فإن عَظُمَ باب داره أو اتسع وقوِيَ فهو حُسْنُ حالِ القيم.

• ومن رأى أنه دخل من باب: فإن كان في خصومة فهو غالب؛ لقوله تعالى: «ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون».

• فإذا رأى أبواباً فتحت من مواضع معروفةٍ أو مجهولة، فإن أبواب الدنيا تفتح له ما لم يجاوز قدرها، فإن جاوز فهو تعطيل تلك الدار وخرابها، فإن كانت الأبواب إلى الطريق، فإن ما ينال من دنياه تلك يخرج إلى الغرباء والعامة، فإن كانت مفتحة إلى بيت في الدار كان ما يناله لأهل بيته.

• وإن رأى أن باب داره اتسع فوق قدر الأبواب فهو دخول قوم عليه بغير إذن في مصيبة.

• وإن رأى أنه خرج من باب ضيق إلى سعة فذلك يعني خروجه من ضيق إلى سعة، ومِنْ هَمٍّ إلى فرج.

• ومَنْ رأى أن لداره بابين، فإن امرأته فاسدة، وانسداد باب الدار، مصيبةٌ عظيمةٌ لأهلها.

البابُ في تراثنا العربيّ

أورد أبو الفرج الأصفهاني - صاحب كتاب الأغاني - قصةً طريفةً لتاجرٍ من أهل الكوفة قدم المدينة بأخمرة نسائية فباعها كلها، وبقيت الخُمُرُ السود منها لم تنفق، وكان صديقاً للدارمي - المغني الشاعر - المشهور بين أهل الكوفةِ بالظرف فشكا إليه ذلك الكساد، الذي أصاب خُمُرَه السود؛ لعله يجد سبيلاً لإنفاذها، وكان الدارمي قد تنسك وترك الغناء وقول الشعر، ولكن إزاء إلحاح صديقه هداه تفكيره إلى القيام بعمل إعلانٍ شعريٍّ غنائيٍّ للخُمر - حتى تُقبِلَ النساء عليها - ثم بعد ذلك يعود إلى تنسكه الذي كان عليه فقال:

قُلْ للمَليحةِ في الخِمَارِ الأسودِ
ماذا صنعتِ بزاهدٍ متعبدِ؟
قد كان شَمَّرَ للصلاةِ ثيابَهُ، حتى
وقفتِ لَهُ ببَابِ المسجدِ
رُدَّي عليه صلاتَهُ وصِيَامَهُ
لا تقتُليهِ بحقِّ دينِ محمدِ

وغنَّى بهذه الأبيات صوتاً رائعاً شاع بها في الناس أمره، فلم تبق في المدينة ظريفةٌ إلا ابتاعت خماراً أسود - حتى نفد كلُّ ما عند العراقي من تلك الخُمُر - ورجع الدارميُّ إلى تنسُكِه. وإذا كانت تلك الأبياتُ قد اجتذبت قلوبَ النساء للشراء، فقد لقيت كذلك رواجاً عند أصحاب الإعلانات.. وأكدت عمليّاً كيفية التآخي بين النشاط الأدبي والنشاط الاقتصادي، كما أثار هذان البيتان إعجاب الشعراء في الأجيال اللاحقة، فقاموا بمعارضتها بغية المماثلة.

البابُ تقرعُهُ الرياح
قصيدةٌ لبدر شاكر السياب

الباب ما قرعته غير الريح في الليل العميق
الباب ما قرعته كفك
أين كفك والطريق
ناء بحار بيننا مدن صحارى من ظلام
الريح تحمل لي صدى القبلات منها كالحريق
من نخلة يعدو إلى أخرى ويزهو في الغمام
الباب ما قرعته غير الريح
آه لعل روحاً في الرياح
هامت تمر على المرافئ أو محطات القطار

أبياتٌ وَرَدَ بها ذِكْرُ الباب

• أخْلِقْ بذي الصَّبرِ أن يحظى بحاجتِه.. ومُدمِن القَرْعِ للأبوابِ أن يَلِجا

• إذا ما أتيتَ الأمرَ من غيرِ بابِهِ.. ضلَلْتَ وإن تقصدْ من الباب تهْتَدِ
ومعناه أنَّ من أتى الأمور من غير أبوابها ضل، فإنَ أتاها من أبوابها اهتدى.

• ألا رُبَّ نُصحٍ يغلَقُ البابُ دونه.. وغِشٍّ إلى جنْبِ السريرِ مُقرَّب
ومعناه أنَّ ربَ نصوح يُبْعد ورب غشاش يقرَّب.

• بابُ الإلهِ خيرُ بابٍ يُرتَجى.. فما وراءَ مَنْ رجاهُ مُرْتجى
ومعناه أنَّ خير باب ترتجيه باب الله، وليس بعده باب.

• سيفتحُ اللهُ باباً كُنتَ تحسبُهُ.. مِنْ شِدَّةِ اليأسِ لم يُخلَقْ بِمِفْتَاحِ

• تزدحمُ الناسُ على بابِهِ.. والمَنْهلُ العذبُ كثيرُ الزِّحامْ
ومعناه أنَّ الناس يزدحمون على باب الكريم، والنبع العذب كثير الرواد.

الباب.. عَلَمٌ، وكِتاب

حسن فتح الباب

الدكتور حسن فتح الباب حسن – مصري – ولد في العام ١٩٢٣ في القاهرة، وحصل على ليسانس الحقوق ١٩٤٧ وماجستير العلوم السياسية ١٩٦٠ ودكتوراه القانون الدولي ١٩٧٦، كما عمل ضابط شرطة، وأحيل إلى التقاعد برتبة لواء ١٩٧٦، وأمضى بعد تقاعده عشر سنوات في الجزائر عمل خلالها أستاذاً بكلية الحقوق بجامعة وهران، وهو عضو في لجنه الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، واتحاد الكتاب، وجمعية الأدباء، وجمعية القانون الدولي.

وله دواوين شعرية منها: من وحي بور سعيد ١٩٥٧، فارس الأمل ١٩٦٥، مدينة الدخان والدمى ١٩٦٧، عيون منار ١٩٧١، حبنا أقوى من الموت ١٩٧٥، أمواجا ينتشرون ١٩٧٧، معزوفات الحارس السجين ١٩٨٠، رؤيا إلى فلسطين ١٩٨٠، وردة كنت في النيل خبأتها ١٩٨٥، مواويل النيل المهاجر ١٩٨٧، أحداق الجياد ١٩٩٠، الأعمال الكاملة ١٩٩٥، الخروج من الجنوب ١٩٩٩.

أما مؤلفاته، فمنها: رؤية جديدة في شعرنا القديم، شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، شاعر وثورة.

وقد حصل على جائزة شعر ٦ أكتوبر من وزارة الثقافة واتحاد الكتاب في جمهورية مصر العربية، وجائزة مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وممن كتبوا عنه: محمد مندور، وعبد القادر القط.

«رواية باب الخروج»

رواية لعز الدين شكري فشي، وصدرت عن دار الشروق، ونشرتها جريدة التحرير في حلقات يومية أثناء كتابتها.. وهذا مقطعٌ مما جاء فيها: «اليوم هو العشرون من أكتوبر ٢٠٢٠، وحين تصلك رسالتي هذه، بعد يومين بالضبط من الآن، سأكون سجيناً أو جثة.

إما سيقولون لك إن أباك مات بطلاً، أو ستقرأ في الجرائد نبأ خيانتي الكبرى والقبض علي. أنا، الذي شاهدت بأم عيني صنوف الخيانة كلها، سيرمونني بدائهم وينسلوا، كما فعلوا من قبل عشرات المرات.

لم أحاول منعهم من قبل، لكني لن أدعهم يفلتون بفعلتهم هذه المرة. لا، ليس هذه المرة. هذه غضبتي، غضبة عمر بأكمله. غضبة ربما تكون الأخيرة، لكني لن أضيعها سدى. أخذت احتياطاتي، وعزمت ألا ألعب دور الضحية. وهذه الرسالة، قد تكون طوق نجاتي الأخير إن فشلت كل الاحتياطات الأخرى. فاحرص عليها، فقد تكون هي الفارق بين الخيانة والبطولة».

ومما جاء في قصيدة له اسمها «أحداق الجياد»:

الخريف الجهّم خلف الباب..
والرحلة حانت.. والجياد
وقفتْ بين الفصول الأربعة

أبواب الحرم المكي بين الزمان والمكان

للمسجد الحرام أبواب كثيرة يبلغُ عددُها خمسةً وعشرين باباً تغيَّر اسم بعضها على مر العصور، وبقيت بعض الأسماء كما هي دون تغيير، موزعةً بين الجهات الأربع للمسجد في الشمال والجنوب، وفي الشرق والغرب.

فمن الجهة الشرقية:

• بابُ السلام: وهو أول باب للمسجد الحرام، ويُعرفُ بـ «باب بني شيبة»، وهو منسوب إلى شيبة بن عثمان الحجبي سادن

الكعبة المشرفة؛ لأنه كان بجوار بيته، وقد كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يدخل من هذا الباب؛ لأنه مواجه للكعبة أمام مقام إبراهيم، عليه السلام، ومنه يدخل منه الحجيج لأداء طواف القدوم، وقد قام السلطان سليمان خان بتجديده في العام ٩٣١ هـ.

• باب قايتباي: وسمي بباب النبي؛ لأن النبي، صلى الله عليه وسلم، كان يخرج ويدخل منه أو من جهته إلى دار زوجته أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، وكان في الموضع المعروف بـ «مولد فاطمة الزهراء»، رضي الله عنها، في زقاق الصوع، ولهذا الباب أسماء أخرى منها: «باب الجنائز»، ومنها: «باب الحريريين»؛ لأن الحرير كان يباع إلى جواره.

• باب العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وسمي بذلك لأنه كان يقابل دار العباس بن عبد المطلب بالمسعى المشهورة باسمه.

• باب علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وقيل باب «بني هاشم» وباب «البطحاء».

ومن الجهة الجنوبية:

• باب بازان: ويقع في أقصى الجهة الجنوبية، وسمي بهذا الاسم لقربه من عين ماء بازان، وعُرف أيضاً بباب «بني سفيان»، وسمي كذلك باب الحميدية؛ نسبة إلى السلطان عبد الحميد، واسمه القديم باب أم هانئ بنت أبي طالب، وباب بني تميم، ويعرف أيضاً بباب التكية؛ لمواجهته للتكية المصرية التي كانت مبنية أمامه، ويعرف أيضاً باسم باب عجلان.

• باب الصفا: سمي بذلك؛ لأنه يلي الصفا، ويعرف أيضاً بـ«باب بني مخزوم»؛ لأنهم كانوا يسكنون في تلك الجهة.

• باب أجياد الصغير، ويعرف أيضاً بـ «باب الخلفيين».

• باب المجاهدية، ويقالُ له «باب الرحمة»، ويسمى الآن بـ «باب أجياد»؛ لأنه يقع في مواجهة شارع أجياد.

• باب مدرسة الشريف عجلان أو «باب بني تيم».

ومن الجهة الغربية:

• باب الحزورة: والحزورة اسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان، وأدخلت في مساحة المسجد الحرام، وله أسماء أخرى، مثل باب البقالية، وباب الوداع؛ لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم، وعليه نصٌّ تأسيس باسم السلطان الناصر فرج بن برقوق مؤرَّخ بعام ٨٠٤ هـ.

• وباب العمرة، ويحمل هذا الاسم؛ لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه.

• باب إبراهيم، نسبة إلى رجل اسمه «إبراهيم الخياط» كان يزاول عمله عند هذا الباب.

• باب مدرسة الشريف غالب.

• باب مدرسة الداوودية.

ومن الجهة الشمالية:

• باب السدة ويسمى «باب العتيق» لكونه قريباً من دار ابن عتيق، وكان من الأعيان.

• باب مدرسة الزمامية.

• باب الباسطية، ويسمى «باب العجلة».

• باب القطبي، وسمي بذلك لأنه كانت تقع بجواره مدرسة قطب الدين الحنفي، وكان يسمى قديماً «باب زيادة دار الندوة».

• باب المحكمة، وسمي بذلك لكونه ممراً للمحكمة الشرعية.

• باب السليمانية نسبةً إلى السلطان سليمان خان.

• باب الدريبة.

هذه بعض الأبواب المطلة على الشوارع العمومية من الجهات الأربع، وتوجد أبواب رئيسة معروفة في الجهات الأخرى، منها باب الملك عبد العزيز، يقع في الجنوب الشرقي، وكذلك باب الملك فهد.

ومن المعلوم أن أبواب الحرم المكي خضعت لمجموعة من التغيير والتطوير، وأُضيفت إليها أبوابٌ جديدة.

وقد صُنعت الأبواب من أجود أنواع الخشب، وكُسيت بمعدن مصقول وزيِّنت بحلياتٍ نحاسية حتى بدت في كثير من الأحيان تحفةً فنيةً رائعة.

عدد أبواب المسجد الحرام حالياً ٧٩ باباً، منها أربعة أبواب رئيسة هي: باب الملك عبد العزيز، وباب الملك فهد، وباب الفتح، وباب العمرة.

ومن الأبوابُ الفرعيةُ: باب أجياد، وبلال، وحنين، وإسماعيل، والصفا، وبني هاشم، وعلي، والعباس، وباب النبي، والسلام، وبني شيبة، والحجون، والمعلاة، والمدعى، والمروة، والمحصب، وعرفة، ومنى، والقرارة، والفتح، وباب عمر، والندوة، والشامية، والقدس، والمدينة، والحديبية.

ويتم فتح جميع هذه الأبواب خلال شهر رمضان المبارك، وزودت أبواب المسجد الحرام بلوحات إرشادية تضيء باللون الأخضر في حالة وجود إمكانية لدخول المصلين، وتضيء باللون الأحمر في حالة اكتمال الطاقة الاستيعابية للمسجد الحرام.

أبواب المدينة المنورة

• «باب العوالي» يؤدي إلى منطقة العوالي وما جاورها من مزارع النخيل الكثيرة في تلك المنطقة، وأقيمت بجواره من الداخل دِكَّتان لجلوس العسكر عليهما، وغرفتان في الجهة الجنوبية، لهما بابان من داخل السور، ونافذة تطل على مدخل الباب، للحراسة (الكركون)، وقد بني هذا الباب بعد العام ١٢٢٠هـ زمن السلطان محمود خان، ثم أعاد السلطان عبدالمجيد الأول إعماره في الفترة من ١٢٦٥هـ . ١٢٧٧هـ، ثم جدده السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني في العام ١٢٨٥هـ.

• «باب الكومة» ويقع في الجهة الشمالية الغربية للمسجد النبوي الشريف، ملاصقاً لسور القلعة من الجهة الغربية، وسمي بالكومة نسبة لأحد الشيوخ المغاربة، وبُني هذا الباب بعد العام ١٢٢٠هـ زمن السلطان محمود خان، ثم جدده السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني في العام ١٢٨٥هـ.

• «باب البرابيخ»: وهو مقابل الزقاق الأول من أزقة البرابيخ الثلاثة، والواقع أمام حوش أبي شوشة مباشرة، وهو من الأبواب البسيطة، التي لا ترتبط بأبراج أو قلاع، فهو عقد بسيط من الحجر يرتكز على دعامتين حجريتين، وبني مع بناء السور الخارجي الذي بناه أهل المدينة بعد العام ١٢٢٠هـ زمن السلطان محمود خان، وسمي بالبرابيخ، وهي وحدات من الفخار أسطوانية الشكل، مفرغة من الداخل، تثبت

الواحدة خلف الأخرى من خلال وجود شفة بارزة وأخرى سالبة، ثم تلحم بالطين، وتستعمل كأنابيب لصرف المياه، وقد تهدَّم الباب، وسقط العقد الحجري منذ فترة بعيدة، حتى إن الكثير من أهل المدينة لا يتذكرون هذا الباب، ويظهر الجزء المتبقي على هيئة دكة بجوارها حجرة صغيرة استخدمت فيما بعد كمركز للشرطة المعروف آنذاك «بالكركون»، وظل جسر البرابيخ «والكركون» قائمين كرمز لباب البرابيخ حتى بدأت إزالة السور في حوالي١٩٥٠م، ١٣٧٠هـ.

• «باب الحمام»: وهو من أبواب السور الداخلي، يقع في الجهة الجنوبية للمسجد النبوي الشريف، بالقرب من حمام طيبة وبها سمي، ويؤدي إلى شارع الجنائز والأحوشة والبساتين التي حوله، ويعد هذا الباب من الأبواب الفرعية للسور.

• باب الشامي: ويعرف قديماً بالباب الكبير، وهو من أبواب السور الأول، يقع في الجهة الشمالية الغربية للمسجد النبوي الشريف بمحاذاة القلعة من جهة الغرب، ويؤدي إلى طريق الجرف وسيدنا حمزة، بني هذا الباب مع بناء السور الأول زمن إسحاق بن محمد الجعدي في العام ٢٦٣هـ، وآخر من جدَّده هو السلطان عبد العزيز في العام ١٢٨٥هـ، وهو الباب الرئيس لدخول الحجاج القادمين من بلاد الشام وما وراءها، وهو أوجَهُ أبواب البلدة الطيبة، كما نص على ذلك ابن موسى.

• «باب بصري»: وهو من أبواب السور الداخلي، يقع في الجهة الشمالية للمسجد النبوي الشريف، وفُتِح هذا الباب في أواخر عهد العثمانيين، أيام كان بصري باشا محافظاً على المدينة المنورة، وقد سمي باسمه، وهو من الأبواب الفرعية.

• «باب الصغير»: من أبواب السور الأول، يقع في الجهة الغربية الشمالية للمسجد النبوي الشريف، وسمي بالصغير لقربه من باب الشامي المسمى بالكبير، وآخرُ مَن جدده السلطان عبد العزيز خان في العام ١٢٨٥هـ، وهو باب له ضلفتان من الخشب

الرُّواق

مصفح بالحديد، يكتنفه برجان، ومركز للشرطة، ودكتان من الداخل، وبني فوقه دار الحكومة المحلية.

• «باب البقيع» (باب الجمعة): من أبواب السور الداخلي، يقع شرق المسجد النبوي الشريف على بعد ٢١٥ متراً من باب جبريل، ومنه يخرج إلى بقيع الغرقد وبقيع العمات، وقد وصفه المقدسي بأنه «بابٌ هائل»، ويُعدُّ آخر مَن جدده السلطان عبدالعزيز خان سنة ١٢٨٥هـ، وهو من الأبواب التي حافظت على اسمها.

• «باب القاسمية»: من أبواب السور الداخلي، يقع في الجهة الجنوبية الغربية للمسجد النبوي الشريف، فتح هذا الباب آل مدني في أواخر عهد العثمانيين، ولعل ذلك قد تم في الفترة من العام ١٣٣١ - ١٣٣٤هـ، وهو من الأبواب الفرعية، وقد أزيلت جميع هذه الأبواب ضمن مشروع إزالة سور المدينة الذي بدأ حوالي العام ١٣٧٠هـ.

أسوار وأبواب القدس القديمة

لمدينة القدس منزلتُها عند المسلمين والمسيحيين، لذلك كانت عنايتهم بها عنايةً خاصة، فقد تعهدوها منذ القدم بالاهتمام والحماية فبنوا حولها الأسوار وجعلوا لها أبواباً هي غايةٌ في العظمة والبهاء، ومن هذه الأبواب: «باب الأسباط، باب العمود، باب الساهرة، باب الخليل، باب النبي داود، باب الجديد، باب المغاربة، باب الغوانمة، باب المجلس، باب القطانين، باب السلسلة، باب حطة، باب الحديد، باب الرحمة، باب العتم».

باب الأسباط

«باب الأسباط»: بُنِيَ أيام السلطان العثماني سليمان القانوني، ولهذا الباب اسم آخر، وهو باب «ستي مريم»، لقربه من كنيسة «القديسة حنة» التي هي – وفقاً للمعتقدات المسيحية – مكان ميلاد السيدة مريم.

باب المسجد الأقصى

يُعدُّ باب المسجد الأقصى أهم أبواب المسجد الأقصى المبارك، ويقع على سوره الشمالي أقصى جهة الشرق، ويعد هذا الباب المدخل الأساسي للمصلين – وخاصة المصلين من خارج القدس – وذلك لقربه من باب الأسباط الواقع في سور المدينة المقدسة؛ وباب الأسباط هو الوحيد المفتوح اليوم لسور القدس في الحائط الشرقي من البلدة القديمة، وقد بُني إلى جوار جبل الزيتون وفوق وادي قدرون في المنطقة المجاورة للحائط

الشرقي من الحرم الشريف، وأطلق عليه العرب اسم باب الروحة «باب أريحا» لأن الخارجين من المدينة عن طريق هذا الباب يصلون إلى طريق أريحا.

• باب العمود أو باب دمشق: ويقال له أيضا باب نابلس هو أهم وأجمل أبواب مدينة القدس القديمة، وتسمى الآن: (القدس الشرقية) في فلسطين، ويكتسب أهميته كونه المدخل الرئيس للمسجد الأقصى وكنيسة القيامة وحائط البراق.

• باب الرحمة: وسمي هذا الباب لدى الأجانب بالباب «الذهبي» لبهائه ورونقه ويقع على بعد ٢٠٠م جنوب باب الأسباط في الحائط الشرقي للسور، ويعود هذا الباب إلى العصر الأموي، وقد أغلق العثمانيون هذا الباب بسبب خرافة سرت بين الناس آنذاك، مآلها أن الفرنجة سيعودون ويحتلون مدينة القدس عن طريق هذا الباب، وهو من أجمل أبواب المدينة، ويؤدي مباشرة إلى داخل الحرم.

سور جدة وبواباتها التاريخية

قام أحد أمراء المماليك ويُدعى حسين الكردي ببناء سور جدة في حملته، التي توجه بها ليحصن البحر الأحمر من هجمات البرتغاليين، فشرع في تحصينه وتزويده بالقلاع والأبراج والمدافع؛ لصد السفن الحربية التي تغير على المدينة، وقد شرع حسين الكردي في بناء السور وإحاطته من الخارج بخندق زيادة في تحصين المدينة من هجمات الأعداء، وتم بناء السور بمساعدة أهالي جدة، وكان له بابان: واحدٌ من جهة مكة المكرمة، والآخر من جهة البحر.

ويذكر أن السور كان يشتمل على ستة أبراج محيطُ كلٍّ منها ١٦ ذراعـاً، ثم فتحت له ستة أبـواب هـي: بـاب مكة، وباب المدينة، وباب شريف، وباب جديد، وباب البنط، وباب المغاربة، وأضيف إليها في بداية القرن الحالي باب جديد هو «باب

الصبة» وقد تمت إزالة السور لدخوله في منطقة العمران في العام ١٩٤٧م.

أبوابٌ مصريةٌ قديمة

تتميز القاهرة عن غيرها من عواصم العالم بأبوابها العتيقة التي بناها حكام مصر؛ لحمايتها من الهجوم والغزو الخارجيّ، وهي في الوقت نفسه تروي تاريخ القاهرة وعراقتها من خلال الفن المعماري.. ويكفي اختيار منظمة «اليونسكو» مدينة القاهرة الفاطمية الإسلامية باعتبارها تراثاً ثقافياً عالمياً لا مثيل له في العالم يمتد تاريخه لأكثر من ألف عام.

ولم تظهر فكرة بناء البوابات حول المدن في مصر سوى في عصر الدولة الفاطمية عندما جاء جوهر الصقلي يقود قوات الخليفة المعز لدين الله لدخول مصر، حيث قام بتأسيس مدينة القاهرة، وكان حريصاً على بناء سور حولها تتخلله ثماني بوابات، وهي: «باب زويلة، وباب الفرج في الجنوب، وباب الفتوح، وباب النصر في الشمال، وباب القراطين الذي عرف فيما بعد بـ «باب المحروق»، وباب البرقية في الشرق، وباب سعادة وتقع في موضعه الآن محكمة الاستئناف العليا، ثم «باب القنطرة» في الغرب، ولاتزال ثلاثةٌ من أبواب القاهرة باقيةً حتى اليوم».

- باب زويلة أو «بوابة المتولي»: ويعد هذا الباب أجمل الأبواب الثلاثة وأروعها.
- باب الفتوح: وتسمية هذا الباب ترجع إلى الغرض الرئيس في إنشائه، حيث كانت تخرج من بوابته الجيوش أثناء سيرها للفتوحات.. ثم تعود وتدخل القاهرة وهي منتصرة، لكن من باب آخر وهو باب النصر.
- باب النصر: وهو ثالث الأبواب الباقية من العمائر الحربية الفاطمية، وهي من أعظم التحصينات الحربية في الإسلام، ولا يوجد لهذه الأبواب مثيل على الإطلاق، ولقد أثارت إعجاب رحالة القرن الثامن عشر الأوروبيين، الذين سجلوا إعجابهم بها في كتب رحلاتهم.

أبوابٌ اندثرت

- باب اللوق: الذى أصبح اسماً فقط لحيٍّ الآن في وسط القاهرة قريب من وسط المدينة، حيث كان هذا المكان مستقرّاً للجِمال تبرك فيه وأطلق عليه قديماً اسم «باب النوق» فحرف الاسم تدريجياً إلى «باب اللوق».
- باب الخلق: كان شارع الخليج المصري الموجود الآن «فم الخليج» ممراً مائيّاً يخترق العاصمة من الجنوب إلى الشمال، ويرفع المياه حتى القلعة، ويعرف باسم «الخليج الناصري»، وكان يوجد فيه سور على جانب الخليج - لا يزال قائماً حتى الآن - وفي هذا السور توجد فجوة واسعة يخرج منها الناس ويدخلون، وتعرف باسم «الخرق»، ومع تطور الزمن حُرِّف الاسم حتى أصبح «باب الخلق» لأن خلقاً كثيرين كانوا يمرون منه.
- باب الوزير: نسبةً إلى «القرافة» التي تعني المقابر، وكان ذلك الباب مخصَّصاً لأحد الوزراء.
- باب الشعرية: سُمِّي بهذا الاسم نسبة إلى وجود مسجد ووقف الشيخ الشعراني في هذه المنطقة.. ولا وجود للباب نفسه الآن.

أبواب بغداد

تعد بغداد غنية بالأبواب؛ وذلك لإحاطتها بالعديد من الأسوار بسبب أطماع الغزاة على مر العصور، ومن هذه الأبواب ما يعود إلى العصر العباسي، ومنها يعود إلى العصر العثماني، وقد نُسبت أبواب بغداد المدورة إلى أبي جعفر المنصور، الذي يُعدُّ بحقٍّ مؤسس الدولة العباسية، وتشمل أربعة أبواب رئيسة هي: باب الشام، وباب البصرة، وباب خرسان، وباب الكوفة،

الرُّواق

إلا أن هذه الأبواب قد اندثرت، وموقعها الآن في الكرخ في مدينة المنصور غربيّ بغداد الحالية، ولا تزال بعض أسماء الأبواب مشهورةً إلى الآن، ومنها:

• بابُ المعظم: حيث يوجد في بداية الطريق المؤدي إلى الإمام الأعظم «أبي حنيفة» في الأعظمية، ولا يوجد اليوم أثرٌ له، وإنما بقي الاسم ليشمل المحلة المحيطة حوله، وهي الآن مركز بغداد وفي العام ١٩٦٢ زال كثير من معالم هذه المحلة بسبب التطور العمراني.

• الباب الشرقي: ويقع في الجهة الشرقية من بغداد القديمة، ويُعدُّ هذا الباب من أبواب سور بغداد في العهد العثماني، وكان على شكل برج، وقد اتخذ كنيسة بعد الاحتلال البريطاني لبغداد في العام ١٩١٧ ثم هدم في العام ١٩٣٧.

• باب الآغا: وبه يضرب أهل بغداد هذا المثل (مثل خبز باب الآغا، أبيض وحار ومكسب ورخيص).

• باب الشيخ: وهي مختصرة من (باب الشيخ عبد القدر الكيلاني)، وهي محِلةٌ كبيرةٌ في بغداد، يوجد فيها جامع الشيخ عبدالقادر الكيلاني وقبره، وتتصل بهذه المحلة أحياءٌ منها: الصدرية، رأس الساقية، فضوة عرب، الدوكجية، حي الأكراد، والتسابيل.

• باب الوسطاني: الباب القديمة، ويقع عندها جامع الشيخ عمر السهروردي، ولا تزالُ آثاره مطلةً حتى الآن.

وتم الكشف أخيراً عن باب «الطلسم»، وهو من أبواب بغداد العباسية بالقرب من شارع الشيخ عمر، حيث كانت المنطقة المحيطة به تحتوي على الأنقاض والمخلفات التي تمت إزالتها استعداداً لترميم الباب لتكون رافداً سياحياً.

أبواب ومطارق بغداد قديماً.. رجالي وحريمي

كان على أبواب المنازل في بغداد - قديماً - مطرقتان، إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة؛ فعندما يطرق الباب بالمطرقة الصغيرة يُفهم أن الذي يُطرق الباب «امرأة» فتذهبُ سيدةُ البيت لفتح الباب، وعندما يُطرق بالكبيرة يُفهم أن بالباب «رجلاً» فيذهب رجلُ البيت ويفتح الباب، وكان يوضع على باب المنزل، الذي فيه مريض، «باقة ورد حمراء» ليعلم المارّة والباعة والمتجولون بوجود مريض في هذا المنزل فلا يصدرون أصواتاً عالية.

أبواب البصرة.. وجمالُها

لأبواب وشبابيك البصرة لغة خاصة يعرفها المختصون في صنعها.. وأكثر المبدعين في هذا الجانب يرسمون لوحاتهم على الخشب كزخارف وخطوط تتداخل فيما بينها لتكوِّن لوحةً فنيةً متكاملة تتحدد ملامحها عند الناس، حتى أصبح الباب والشبابيك البصرية نموذجاً فنيّاً قريباً إلى النفوس.

أبواب الشام

أبواب حمص وهي الأبواب التاريخية لمدينة حمص القديمة، وخلال العهد الروماني كان للمدينة أربعة أبواب هي: باب الرستن، وباب الشام، وباب الجبل، وباب صغير؛ قام العباسيون بإعادة بناء وترميم الأبواب، وأضافوا لها ثلاثة جديدة، فأصبحت سبعة أبواب، ظلت موضع اهتمام الدول والسلالات المتعاقبة على حمص، حتى قام العثمانيون بهدمها خلال القرن التاسع عشر، وذلك تماشياً مع توسع المدينة وازدياد قاطنيها، ولم يبق بعد القرارات العثمانية سوى بابي تدمر ودريب، وهما قائمان حتى اليوم في المدينة القديمة التي تحوي مساجد وكنائس تاريخية إضافة إلى معالم تعود إلى العهد المملوكي، وأبواب حمص التاريخية هي:

• باب السوق، باب تدمر.
• باب الدريب وهو «باب الشام».
• باب السباع.
• باب التركمان.
• باب المسدود.
• باب هود، ويرتبط اسمه بالنبي هود، عليه السلام، الذي يقع مقامه جنوب الباب، وهو أكبر الأبواب وأهمها، ويعود إلى ما قبل الفتح ويعتقد أنه «باب الجبل».

أبوابُ المغرب

في المغرب أبوابٌ تاريخية عظيمة بلغت من الإتقان والبهاء والروعة ما يأسر الناظرين، ومن هذه الأبواب: باب منصور في مكناس، وبوابة حصن شالة في الرباط، وباب الريح في مكناس، ومدخل حسان في الرباط، وبوابة حصن شالة في الرباط، وأبواب القصر الملكي في الرباط، وباب بو جلود في فاس، وباب الرواح في الرباط، وباب المريسة في سلا، وباب مراكش في الدار البيضاء، وباب شالة في الرباط، وباب فتوح في فاس.

أبوابٌ منوعة

• البابِيّ: نسبة إلى الباب.

• والوريدُ البابيّ: وريدٌ كبيرٌ يتجمع فيه الدم من أنحاء القناة الهضمية، ويدخل الكبد ويتفرَّع فيها.

• والبابية: نِحلةٌ ظهرت في إيران في القرن التَّاسع عشر، وترجع إلى علي الشّيرازي (١٨٥٠). وتقوم على أساس فكرة المهدي المنتظر، حيث تقول بضرورة ظهور مصلح كل خمسمئة سنة أو ألف لكي يشرّع في الدين وفق الظروف المعاصرة. وذَهَب الشّيرازي إلى أنه هو المهدي المنتظر أو بابُ العِلْم، ومنه لفظ البابية. وتعتمد فلسفتُها على جذورٍ من آراء الإسماعيلية وبعض غلاة الصّوفية.

• باب المندب: مضيق مائي عند مدخل البحر الأحمر الجنوبيّ، يتراوح عرْضه بين ٢٤، ٣٢ كم.

• قرية باب الهوى: هي قريةٌ ونقطة حدودية في شمال سورية تتبع لمحافظة إدلب، وتقع على الحدود السورية- التركية، ويعد مركز باب الهوى الحدودي بوابة سورية الأولى باتجاه تركيا وأوروبا يقابلها من الجانب التركي «جيلفه غوزو»، وتبعد باب الهوى حوالي ٥٠ كم في الشمال الشرقي لمحافظة حلب على الطريق الرومانية الواصلة بين مدينتي حلب وأنطاكية، وتوجد بالقرب من باب الهوى بعض الآثار، مثل أعمدة كنيسة تعود للقرن الرابع الميلادي والقوس الحجري، الذي يرجع تاريخه إلى القرن السادس الميلادي.

• باب رزق جميل: باب رزق جميل هو أحد مبادرات عبداللطيف جميل الاجتماعية، وهو برنامج يركز بشكل مباشر على مجالات توفير فرص العمل للشباب والشابات، وأصبحت كل خدمات فرص العمل تقدم من خلال هذا البرنامج عن طريق فروعه المنتشرة في الأسواق التجارية.

• باب الحديد: فيلم مصريّ، من بطولة فريد شوقي وهند رستم، وإخراج يوسف شاهين، وكذلك هو اسم لمسلسل سوري من بطولة بسام كوسا، وصباح عبيد، وفراس ابراهيم.

• باب الحارة: مسلسل سوري أنتج الجزء الأول منه في العام ٢٠٠٦، من إخراج بسام الملا، كتب الجزء الأول منه مروان قاووق وكمال مرة.

• باب المقام: مسلسل سوري عُرِض على الفضائية السورية من تأليف محمد أبو معتوق، وإخراج فهد ميري.

التبويب

- تبويب الموازنة العامَّة: طريقة تصنّف بها النفقات العامة والإيرادات في جداول الموازنة.

- وتَبْوِيبُ الكِتَابِ حَسَبَ فُصُولِهِ: تَقْسِيمُهُ إِلَى أَبْوَابٍ.

التبويب في المعاجم اللغوية

وهو أنواعٌ شتى؛ فقد سلك أصحابها - على مر العصور- طرقاً مختلفة في ترتيبها وتبويبها وأشهرها نوعان:

معاجم تعتمد ترتيب الكلمات بحسب أوائل أصولها المجرّدة، ومعاجم أخرى تعتمد ترتيب الكلمات بحسب أواخر أصولها.

أولاً: ترتيب الكلمات بحسب أوائل أصولها: تقوم هذه الطريقة على ترتيب الأصول للكلمات ترتيباً هجائياً على النسق التالي المعروف حتى اليوم: (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي) مع مراعاة أوائل تلك الأصول من جهة، وما بعد هذه الأوائل - على الترتيب - من جهة أخرى.

الرُّوَاق

وعلى هذا فإن كلاً من الأصلين «سحر» و«سخط» يُذكر في باب السين، ولكن «سحر» يأتي قبل «سخط»؛ لأن الحاء قبل الخاء، فإذا اتفق الأصلان في الحرف الأول، روعي الحرف الثاني منهما في الترتيب، وإذا اتفقا في الحرفين الأول والثاني، روعي الثالث، وهكذا.. وأشهر المعاجم التي تسير على هذه الطريقة:

– أساس البلاغة: للزمخشري ٥٣٨ هـ، وهو من المعاجم القديمة.

– المعجم الوسيط: الذي نشره مجمع اللغة العربية في القاهرة، وهو من المعاجم الحديثة.

– ثانياً: ترتيب الكلمات بحسب أواخر أصولها، ويتم تصنيف المفردات في هذا النوع من المعاجم في أبواب متسلسلة وفق تسلسل حروف الهجاء العربية، ثم يتم ترتيب الكلمات في هذه الأبواب بحسب أواخر حروفها الأصلية، وأشهر المعاجم التي تتبع هذا الترتيب:

– معجم «لسان العرب» لابن منظور الأفريقي.

– معجم «القاموس المحيط» لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي.

وقد درج علماؤنا في علوم الحديث والفقه؛ بل والأدب، إلى تبويب مصنفاتهم العلمية والأدبية وتقسيمها إلى أبواب، ويُعد التبويبُ منهجاً علميّاً معتبراً في شتى فنون العلم والآداب والمعرفة وضع أساسه علماء المسلمين.

ثورة الصناعة في الأبواب

تطورت صناعة الأبواب على مدى العصور إلى أن شهدت في عصرنا هذا ثورةً حقيقيةً في صناعتها؛ فقد تفنن المهندسون والصناع في أشكالها، وكذلك في المواد التي تصنع منها، وتتنوع الأبواب في أشكالها ومقاساتها الخامات التي تصنع منها تبعاً لاستخداماتها المختلفة، ومن الأنواع الشائعة الاستخدام:

– أبواب التجليد: وتستخدم لأبواب (غرف النوم، المعيشة، المطابخ، الحمامات)، ويتم تصنيع أجزائها من قطاعات خشب الموسكي وخشب الزان ويتم تجميعها بأسلوب النقر واللسان.

– أبواب الحشو: تستخدم لأبواب مداخل الشقق والفيلات وبعض الغرف الداخلية، وكذلك لأبواب المباني الإدارية، وتصنع من خشب السويد أو أي من أنواع الخشب الصلبة الأخرى، ويتم تجميعها بالنقر واللسان والغراء بأشكال هندسية متنوعة تبعاً للتصميم المعماري للباب.

– الأبواب السبرس: تتكون من ألواح خشبية مجمعة مع بعضها بطريقة التعشيق، وغالباً ما تعمل من الخشب السويدي.

الأبواب الجرارة (المنزلقة): تستخدم في الأبواب الداخلية، وتتكون من ضلفة واحدة أو ضلفتين على الأكثر، وتتحرك على عجل داخل مجرى خاص مثبت أعلى الباب، وتكون الحركة على الجدار أو بداخله.

– الأبواب المنطبقة: تستخدم في الأبواب الداخلية، وتتكون من أكثر من ضلفة تنطبق على بعضها بعضاً بواسطة مفصلات خاصة، وتتحرك الضلف على عجلات داخل مجرى مثبتة في سقف الفراغ فقط أو في السقف والأرضية معاً.

وأشهر المواد التي تستخدم في صناعة الأبواب: الخشب، والحديد، والألمنيوم، والزجاج. ■■

التدخين
«الخطر القاتل»

السعادة الحقة تكون في الحفاظ على الصحة وعلى القوة العقلية والبدنية لإبقائها صالحة لمواجهة الملمات والصعاب، وليس في الركض وراء أوهام خادعة تتلف الجسد والحياة. السعادة لا تكون في لذة مزعومة في سيجارة تفقد الإنسان مقومات الحياة الإنسانية وتجعله عبداً لها فتهون في سبيلها الصحة والنفس.

تاريخ التدخين

يعود تاريخ التدخين إلى ٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، عندما بدأت زراعة المنتجات الزراعية المنتجة للتبغ في أمريكا الجنوبية، وقد عرف التبغ وتدخينه في عدد من الحضارات القديمة، كالبابلية والهندية والصينية، ثم انتقل إلى العالم القديم عن طريق التجار. عرف التبغ في أفريقيا من خلال الساحل الشرقي أولاً في الحبشة من قبل التجار، ثم انتقل إلى العرب في أوائل القرن الثالث عشر، حيث كان تدخين القنب شائعاً قبل وصول التبغ.

انتقل تدخين التبغ من أمريكا الجنوبية إلى أوروبا عن طريق المكتشفين الأوروبيين، حيث ساد خلال مدة قليلة في كثير من الدول الأوروبية، خصوصاً في فرنسا، حيث وجد تدخين التبغ من يدافع عنه، ويكفي أن تعرف أن مصطلح نيكوتين الذي يتداوله الناس عند التحدث عن التدخين أخذ من اسم «جان أوجون نيكوت» سفير فرنسا في البرتغال، الذي دافع عن تدخين التبغ.

كيفية عمل التبغ وتأثيره على الجسم

المادة الفعالة في التبغ هي النيكوتين، الذي يصل إلى مجرى الدم من خلال الامتصاص عن طريق الحويصلات الهوائية في الرئتين (الرئتين تحتوي على حوالي ٣٠٠ مليون من الحويصلات الهوائية)، ثم يسبح في الدم

بقاء المدخن في رمضان ساعات طويلة من دون تدخين دليل على أنه قادر على الإقلاع عنه

حتى يصل إلى مستقبلات أستيل النيكوتين في الجهاز العصبي المركزي فيحفز إفراز مادة الدوبامين منه، وهي المادة التي تحدث النشوة والمتعة الزائفة، وبمرور الوقت يحتاج المدخن إلى زيادة عدد السجائر أو نسبة التبغ للحصول على نسبة مرضية من مادة الدوبامين.

حقائق علمية مثبتة عن أضرار التدخين (السجائر والشيشة) إيذاء نفسك في عدة صور وحقائق.

- الحقيقة الأولى: التدخين يسبب أنواعاً عديدة من السرطان أهمها سرطان الرئة، حيث إن هناك أكثر من أربعين مادة مسببة

بقلم: د. محمد علي السيد علي *
mohdali196975@yahoo.com

* أستاذ مساعد الأمراض الصدرية - جامعة عين شمس.

للسرطان في السيجارة الواحدة.

– الحقيقة الثانية: التدخين هو من أهم الأسباب التي تؤدي إلى أمراض الرئة المزمنة، مثل الربو المزمن والإمفزيما (تضخم الرئتين) وربما الفشل التنفسي في الحالات المتقدمة.

– الحقيقة الثالثة: التدخين يسبب تقلصاً في شرايين القلب، وهذا بدوره يسبب الذبحة القلبية، وهو عامل مساعد في ارتفاع ضغط الدم وارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم.

– الحقيقة الرابعة: التدخين يزيد من الإصابة بتصلب الشرايين سواء في القلب أو خارج القلب، حيث يؤدي التدخين إلى زيادة ترسب المواد الدسمة على جدران الشرايين، مما يسبب ضيق أو انسداد الشرايين، كذلك يزيد من احتمال الإصابة بالجلطات الدموية.

– الحقيقة الخامسة: التدخين يؤدي إلى إتلاف جزئي أو كلي بأنسجة الدماغ، خصوصاً فيمن يدخنون منذ مدة طويلة، وبعدد كبير من السجائر أو الشيشة، وهذا يحدث نتيجة تصلب الشرايين ونقص الأكسجين في الدم.

– الحقيقة السادسة: النيكوتين الناتج عن تدخين التبغ يؤدي إلى زيادة إفراز الحمض المعدي وإتلاف الغشاء المبطن للمعدة والأمعاء فتظهر الأمراض في صورة التهاب في جدار المريء والمعدة، وقد يسبب قرحة في المعدة والاثني عشر.

– الحقيقة السابعة: التدخين يسبب تآكلاً في مركز شبكية العين، مما يؤدي إلى ضعف البصر وربما العمى، وذلك نتيجة قلة تدفق الدم خلال الشرايين إلى الشبكية بسبب تصلب الشرايين.

– الحقيقة الثامنة: اعلم أن التدخين يؤثر في كل أعضاء الجسم، وستعجب عندما تعلم أن التدخين يساعد على الصلع وتساقط الشعر، وقد أثبتت الدراسات أن النساء المدخنات الحوامل معرضات بنسبة عالية للولادة قبل الأوان وللإجهاض وموت الجنين، ونقص وزن الجنين، وموت الطفل في الأسابيع الأولى بعد الولادة.

إيذاء الآخرين

التدخين لا يضر المدخن فقط ، بل يضر أيضاً أفراد الأسرة وزملاء العمل وغيرهم ممن يتنفس دخان السجائر، ويسمى التدخين السلبي، وهناك أربع فئات من الناس يتعرضون لأضرار وخيمة من جراء استنشاق دخان التبغ، وهم:

– مرضى الربو والحساسية، حيث يتأثر هؤلاء المرضى بدخان التبغ بإحدى طريقتين، أولهما أن الدخان يهيج الشعب الهوائية مما يسبب إثارة الربو الشعبي وحدوث نوبات ربوية حادة، والثانية له تأثير منبه لإفراز نوع خاص من مضادات الأجسام وهو إيمينوجلوبين أي (IgE)، الذي بدوره ينشط الحساسية الصدرية ويهيج الشعب الهوائية.

– الرضع والأطفال، التأثير الضار للتدخين على الأطفال والرضع أكثر بكثير من البالغين، ذلك أن الأطفال الصغار حساسون جداً من دخان التبغ.

– مرضى القلب، حيث يؤدي إلى تدهور حالتهم.

> شهر رمضان مرضاة لرب العالمين فليكن قرارك بالتوقف النهائي عن التدخين في شهر الطاعة والقرب من الله تعالى

– مستخدمو العدسات اللاصقة، حيث يؤدي دخان التبغ إلى حرقان شديد بالعينين وزيادة إفراز الدموع واحمرار العينين.

مكونات السيجارة والتبغ

تتكون السيجارة من عدة مركبات كيميائية يصل عددها إلى أكثر من «٤٠٠٠» مركب كيميائي منها «٤٣» من مسببات السرطان، ومن مكوناتها على سبيل المثال لا الحصر:

– نيكوتين، وهو مبيد حشري، مبيد أعشاب ويستعمل أيضاً كعقار مخدر.

– القطران، وهي مادة تستخدم في مواد الطلاء وسفلتة الطرق.

– أول أكسيد الكربون، وهو غاز سام ينبعث من عوادم السيارات، وهو مركب خطير، حيث يتحد مع الأكسجين فيقلل نسبة الأكسجين في الدم.

– السيانيد، وهو يستخدم كسم فئران قاتل.

– البيوتين، وهو غاز يستخدم لولاعات السجائر.

– الأمونيا، ويستخدم كمنظف للأرضيات.

– الميثانول، ويستخدم في وقود الصواريخ.

– الزرنيخ، وهي مادة شديدة السمية.

– الفينول، وهي مادة مطهرة وسامة تستعمل كمطهر للأرضيات والأدوات.

– الفورمالين، ويستخدم في حفظ الأعضاء البشرية.

– الأسيتون، وهي مادة تستخدم في إزالة طلاء الأظافر.

– التولوين، ويستخدم كمذيب صناعي.

– د. د. ت، ويستخدم كمبيد حشري.

– النافتالين، ويستخدم كقاتل للعثة والحشرات.

– كادميوم، ويستغل في بطاريات السيارات.

- كلوريد الفينايل، ويستخدم في صناعة اللدائن.
- سيانيد الهيدروجين، وهو سم يستعمل في غرف الإعدام بالغاز.
- بنزوبيرين، وهي مادة سرطانية.

لذا من السهل الآن أن تجيب أخي المدخن لماذا ينبغي لي أن أقلع عن التدخين، فأنا أريد أن أحافظ على صحتي وعافيتي، أريد أن أحافظ على صحة وسلامة أفراد أسرتي، أريد أن أمنع الإيذاء عن أفراد المجتمع، أريد أن أوفر المال.

هل التدخين عادة أم إدمان.. وإن كان إدماناً ما علامات الإدمان على السجائر؟

يصف مصطلح الإدمان على أنه مرض ينتج عن عادة مستمرة تأتي بالضرر للشخص، وذلك بالاعتماد على مادة تسبب هذا الضرر وهي النيكوتين في التبغ.. إلا أن كثيراً من الدراسات تقول إن التدخين يعد عادة كريهة، وهناك من يعتبرها إدماناً، ويدللون على ذلك بأن المدخن يتعود على النيكوتين (مادة الإدمان في التبغ)، وعند توقف الإمداد بمادة الإدمان تحدث أعراض الانسحاب (منظمة الصحة العالمية تعتبر التدخين إدماناً وليس عادة).

ما علامات التعود والإدمان على السجائر؟

- التدخين أكثر من عشر سجائر يومياً.
- استنشاق عميق لدخان السجائر.
- تدخين السجائر التي تحتوي على مستويات نيكوتين أكثر من ٥٠٩ مليغرامات.
- التدخين في غضون ثلاثين دقيقة من الاستيقاظ من النوم.
- صعوبة في منع التدخين في الصباح.

التدخين يؤثر في كل أعضاء الجسم ويساعد على الصلع وتساقط الشعر

- صعوبة في تجنب التدخين في المناطق المعتادة للتدخين.
- الحاجة الملحة إلى التدخين حتى إذا كان المدخن مريضاً أو على السرير.

ما خطوات الإقلاع عن التدخين؟

تغير السلوك المعتاد.

- تغير السلوك المرتبط بالتدخين، ابدأ بسؤال نفسك لماذا أنا أدخن؟ ولكي تجيب عن هذا السؤال يجب عليك أن تعلم أن هناك سبع فئات من المدخنين:

● تدخن لأنك تشعر بأن في السيجارة راحة لك، سواء بعد العمل أو بعد وجبة طعام دسمة، فإذا كنت تشعر بمتعة التدخين في تلك الأوقات فعليك أن تجد وسيلة مسلية أخرى بديلة للتدخين كتناول الفواكه أو ممارسة بعض الأنشطة الاجتماعية أو ممارسة رياضة بصورة يومية أو ذكر الله تعالى.

● السيجارة كمنشط، انطباع خاطئ، فإذا كانت السيجارة تشعرك بالنشوة والمتعة والنشاط فلماذا لا تجد بديلاً عنها، فهناك أشياء كثيرة ونافعة تشعرك بسعادة حقيقية وليست زائفة، مثل شرب القهوة والشاي، ومساعدة الآخر، والمشاركة في عمل الخير، والقرب من الله تعالى.

● أنت تدخن لأنك تجد سهولة في الحصول عليها، فهي في كل مكان، وأنت بحاجة إلى شيء تداعبه بين أصابعك، فإذا كان كذلك فأنت بحاجة إلى تغيير الروتين اليومي فتحتفظ بالسجائر في مكان مختلف عن المعتاد، وإذا أردت الحصول على سيجارة فانتظر بضع دقائق في محاولة للتفكير في شيء آخر للقيام به، على سبيل المثال قد يمكنك مضغ العلكة وعندما تشتد الرغبة اذهب إلى صديق لك لا يدخن أو استعن بالله تعالى كي تقوي عزيمتك وإرادتك الذاتية أو اطلب الدعم من أفراد أسرتك وأحبائك.

● أنا أدخن لأنها أصبحت عادة، فأنت تجد أحياناً السيجارة بين أصابعك أو في فمك ولا تدري كيف وصلت إلى مكانها، وهذا دليل واضح على أنك لست بحاجة إلى السيجارة، لكنها أصبحت عادة أكثر من أي شيء آخر.. فلماذا لا تترك علبة السجائر بعيدة عن متناول يديك، أو لا تحمل علبة السجائر معك، اشغل أصابع يديك بقطعة نقود معدنية أو قلم أو أي جسم صغير أو سبحة تسبح بها الله تعالى.

● أنا أدخن لأن الآخرين يدخنون، فهو تقليد للآخر، وأنا أشارك الآخرين في التدخين وأجد نفسي لا أمانع في قبول السيجارة.. أخي أجد أنه ليس من اللائق أن ترضي الآخرين على حساب صحتك وعافيتك، فالعاقل يجب عليه أن يكون له موقف نابع من ذاته وليس من الآخرين، فلماذا لا تحاول اجتناب الأماكن التي يجتمع فيها المدخنون أو أن تعرض عن قبول السيجارة وتقول أنا لا أدخن.. شكراً.

● أنا أسير وعبد للسيجارة، لا أستطيع أن أتخلى عنها، وفي سبيلها أضحي بصحتي وبأسرتي وبالدنيا كلها.. كلمات لا ينبغي أن تصدر عن إنسان حر، أمره الله تعالى بأن يكون عبداً فقط له.

- المساعدة المجتمعية (دور المجتمع في الحد من ظاهرة التدخين)، وهو دور مهم جداً في التوعية الإعلامية والبحث في أسباب انتشارها والدوافع، التي أدت إلى زيادة أعداد المدخنين في عالمنا، بينما قلت في العالم المتقدم، وهنا يأتي دور إعلام الدولة في تقديم ذلك في صورة برامج حوارية في التلفاز أو المذياع وكتيبات توزع بالمجان وإدخال مواد تثقيفية عن مضار التدخين في المناهج التعليمية في المدارس والجامعات.. كما أن للدولة دوراً في الحد من التدخين، كزيادة الضرائب على منتجات التبغ، ووضع معايير وحدود قصوى لمستويات النيكوتين والقار وأول أكسيد الكربون، وأيضاً عدم السماح بالتدخين في الأماكن العامة والمغلقة، ووضع غرامات وعقوبات على من يخترق ذلك

الأمر، وهناك أيضاً دور لرجال الدين ببيان الحكم الشرعي في التدخين وعظم حرمته.

- العلاج ببدائل النيكوتين لتقليل أو منع أعراض الانسحاب نتيجة وقف التدخين، فنسبة نجاح هذه البدائل تبلغ ٢٥-٣٥ في المئة فقط، وهذه النسبة تزيد إلى ٥٠ في المئة عند وجود الإرادة والعزيمة والاستعداد لتغير السلوك. هناك أشكال مختلفة من بدائل النيكوتين، مثل لزقة النيكوتين، وعلكة النيكوتين، وما يستخدم عن طريق الاستنشاق (نيكوترول)، وهناك دواء البوبوربيون، وهو دواء يؤخذ عن طريق الفم (في صورة أقراص)، وهناك دواء حديث تبلغ نسبة نجاحه ٥٠-٦٠ في المئة يسمى فارينيكلين أو تشامبكس، وهو دواء وافقت عليه إدارة الأغذية والعقاقير الأمريكية لمساعدة البالغين على الإقلاع عن التدخين، وينبغي لمن يستخدم هذه البدائل أن تكون تحت إشراف طبي ومتابعة من عيادة الإقلاع عن التدخين لأن لها آثاراً جانبية وتفاعلات مع الأدوية الأخرى، ويجب أن تؤخذ بدائل النيكوتين بحرص وحذر، ومن المهم معرفة أنه يجب ألا تستخدم هذه البدائل إذا استمر المدخن في التدخين.

تدخين الأرجيلة (النرجيلة والشيشة)

يعتقد البعض أن تدخين الأرجيلة أقل خطراً أو بشكل أدق ليس فيها خطر طالما يمر عبر ماء الأرجيلة، وهذا ليس صحيحاً، وذلك بسبب:

- الماء لا يفلتر المواد السامة والمسرطنة التي يحتويها تبغ الأرجيلة.
- الاحتراق الجزئي لتبغ الأرجيلة يزيد من انطلاق المواد السامة والمضرة.
- تدخين رأس (حجر) واحد للأرجيلة يعادل تدخين ٢٠-٨٠ سيجارة حسب نوع وشدة تبغ الأرجيلة.
- استعمال الشيشة أو الأرجيلة من قبل عدة أشخاص يزيد من انتقال الأمراض المعدية بينهم، خصوصاً الدرن (السل) الرئوي، والالتهاب الرئوي، حتى بعد تغير المبسم، ذلك أن الميكروب يكون كامناً في خرطوم الأرجيلة.
- الأرجيلة والدخان الصاعد منها يؤدي إلى تقرحات شديدة بالشفتين واللسان وتجويف الفم.
- الإصابة بالربو المزمن والإمزيفيما تزيد عند مدخني الأرجيلة أكثر من مدخني السجائر.
- الأرجيلة نظراً لما يحتويه التبغ المستعمل فيها من منكهات صناعية للطعم والرائحة تؤدي إلى خلل في الجهاز المناعي وزيادة فرصة الإصابة بالأمراض والأورام الخبيثة.

فوائد الإقلاع عن التدخين

- فوائد مباشرة «على المدى القريب»: بعد التوقف مباشرة عن التدخين يقوم جهاز الدورة الدموية بالتحسن والتخلص من أول أكسيد الكربون العالق به، حيث تعود ضربات القلب ومعدل ضغط الدم إلى المعدل الطبيعي، ثم تعود وظائف الرئة إلى التحسن، وتزيد نسبة الأكسجين في الدم فتستعيد أجهزة الجسم حيويتها ونشاطها.
- الفوائد الناتجة على المدى البعيد: فقد أثبتت الأبحاث العلمية أنه بعد ٥- ١٠ سنوات من الإقلاع والانقطاع عن التدخين فإن فرصة الإصابة بسرطان الرئة وغيرها تقل بنسبة ٣٠-٥٠ في المئة، كذلك يتم التغلب على أمراض القلب والجهاز التنفسي وغيرها من الأمراض الناتجة عن التدخين، هذا عن المدخن، أما عن المخالطين له فهناك تحسن في الصحة العامة وانحسار للأمراض، ناهيك عن الإحساس الجميل الناتج عن قهر هذا العدو البغيض.

شهر رمضان عيادة مجانية وفعالة للإقلاع عن التدخين

ليكن قرارك التوقف النهائي عن التدخين في شهر الطاعة والقرب من الله تعالى، فشهر رمضان مرضاة لرب العالمين، الذي يقول في محكم التنزيل: «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً»، ويقول عز وجل: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»، فالتدخين من الخبائث التي تضر ليس فقط المدخن، بل أيضاً من حوله، من الأهل والأولاد وأفراد المجتمع، وهذا الإيذاء حرمه الإسلام لقوله تبارك وتعالى: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً»، ويقول المصطفى - صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»، وهناك وجه آخر لتحريم الدخان، وهو أنه سبب التبذير وتلف المال، والإسلام نهى عن ذلك لقوله تعالى: «ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين».

إن كثيراً من المدخنين يرون أن تركهم للدخان من الأمور الصعبة، فهم قد أصبحوا مدمنين عليه، ولا يمكنهم تركه، وهذا الاعتقاد خاطئ تماماً، ولو كان صحيحاً لكنا رأينا الصائمين من المدخنين في نهار رمضان مثل المجانين يهلوسون ويصرخون، ولما استطاعوا أن يمارسوا حياتهم اليومية الاعتيادية، لكن طبعاً هذا لا يحدث رغم أن فترة الصيام تمتد لأكثر من عشر ساعات، فهذا دليل على أن الإنسان يستطيع، بإذن الله، ترك هذه الآفة الخبيثة، وأن يزف لأعضاء وأجهزة جسده ورئتيه، ولأهل بيته ولأحبائه ومجتمعه، هذا النبأ السار «لقد توقفت عن التدخين». قد يسمع المدخن عن وجود أدوية أو عقاقير تعينه على ترك التدخين، هذا صحيح لكن لا تعينه تلك العقاقير على تكوين الرغبة والإرادة، التي هي أهم مكونات خطة الإقلاع عن التدخين وإنما دورها فقط المساعدة في التغلب على بعض الأعراض التي قد يعاني المدخن منها بسبب توقفه عن التدخين. والأمر في شهر رمضان يختلف تماماً، فبقاء المدخنين ساعات طويلة من دون تدخين دليل على أن الإنسان بكل ما أعطاه الله تعالى من عقل وقدرة وإرادة قادر على التغلب على تلك الأعراض (أعراض الانسحاب) والإقلاع نهائياً عن التدخين.

إذن هذه دعوة أخوية من القلب لإخواننا المدخنين بأن يقلعوا فوراً عن التدخين مرضاة لله وحباً لأولادهم وذويهم، وحرصاً على صحتهم وألا يكونوا سلعة لشركات التبغ التي قال أحد ملاكها: «إننا نستهدف الشباب حتى نضمن سنوات طويلة من استهلاكه لمنتجاتنا قبل أن يصيبه سرطان الرئة ويموت».

أسأل الله تعالى أن يهدينا للطريق القويم والصراط المستقيم وأن يحفظ علينا صحتنا وعافيتنا. ■■

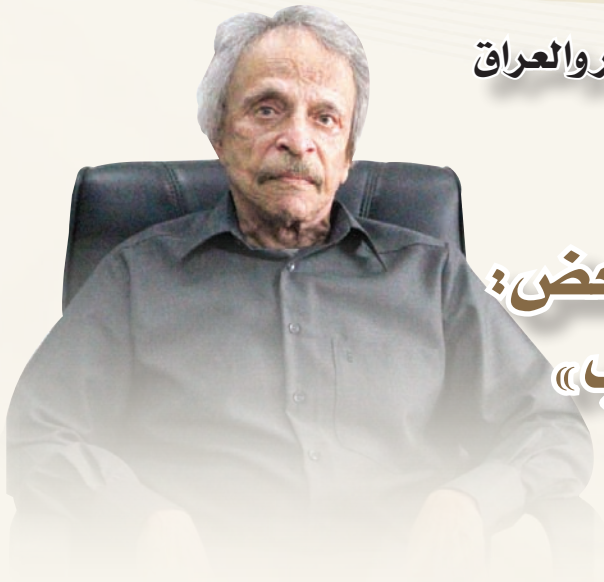

«عابر الأجيال» كتب روايات عن فلسطين ومصر والعراق

إسماعيل فهد إسماعيل

الكاتب الذي قال عنه البعض: «إنه يغرد خارج السرب»

أجرى اللقاء: عبدالله مهدي الشمري

يعد الروائي الكويتي المخضرم إسماعيل فهد إسماعيل الأب الروحي للرواية والقصة القصيرة في الكويت، والمؤسس الحقيقي لها؛ لكونه يمثل إحدى العلامات المحسوبة في سماء فن الرواية العربية، فمنذ أن تلقفت الأوساط الأدبية في الوطن العربي روايته الأولى «كانت السماء زرقاء» في العام ١٩٧٠ بإعجاب ودهشة، وهو مستمر في الكتابة والبحث في مختلف المجالات الأدبية، كالرواية والقصة القصيرة والمسرحية والنقد الأدبي والسيناريو وغيرها من الفنون الإبداعية الأخرى، وعلى الرغم من أنه قدم للمكتبة العربية خلال مسيرته ما يقرب من الأربعين كتاباً إلا أنه لم يفقد حماسته للكتابة وشغفه بالإبداع.

في مكتبه في العاصمة الكويتية استقبل «الخفجي»؛ لنجري معه هذا اللقاء المطول، ونطلع القراء على كثير من التفاصيل حول تجربته في الكتابة والحياة.

• بعد صدور ما يقرب من ٤٠ كتاباً لك ما بين القصة القصيرة والرواية والمسرحية والدراسات وغيرها.. وبعد أن احتفلت قبل سنوات قليلة بعبور بوابة السبعين.. أين سيرتك الذاتية؟ هل ستكتبها؟ هل ستنشرها؟

– أنا سعيد بحضورك، لقد سمعت الكثير عن مجلة الخفجي، وقد وعدتني بأن أكون مطلعاً عليها في المستقبل بعد إضافة اسمي إلى قائمة المشتركين.. حياك الله في بلدك الثاني الكويت.

سؤال جميل بقدر ما هو محرج، لقد حاولت – في الحقيقة – مرات عديدة، لا أحصيها، أن أكتب سيرتي الذاتية، لكنني في كل مرة ربما لا أبدأ ذلك حتى أتوقف بعد أن أجتاز مرحلة كبيرة، حيث أحس بأنه لا جدوى – ربما في الوقت الحالي – من رصد مثل هذا الشيء – وعلى سبيل المثال – اتخذت قراراً – قبل أربع سنوات تحديداً – أن أرصد سيرتي منذ الطفولة – خصوصاً – أن حياتي كانت بين وطنين، لقد ولدت في العراق، وعشت فيه ربع قرن، فأمي عراقية، وتأثرت حياتي بذلك كثيراً، وبدأت الكتابة فعلاً بشكل جدي، وبعد أن كتبت أكثر من مئتي صفحة، وجدت نفسي أتوقف فجأة وأصرف النظر عن إكمال الموضوع.. لكنني احتفظت بالأوراق – وربما أعود إليها – يوماً إن كان في العمر بقية.

لكنني ضمنت كثيراً من ذلك في كتبي، حيث وضعت شذرات من حياتي في صفحاتها، ولعل كتابي الأخير «في حضرة العنقاء والخل الوفي» دليل على أنني ضمنت كثيراً من الشخوص، الذين مروا في حياتي، ومنهم على سبيل المثال: صقر الرشود، ومحمد السريع، وفؤاد الشطي، وسليمان الياسين، وإن كنت لم أضمن حياتي أنا بصفة شخصية واضحة.

أما السيرة الذاتية بمعناها الحقيقي فلم أفعل ذلك بعد، ولم أجد الجرأة أو القناعة لأقوم بذلك حتى اليوم.

• هل يمكن للروائي أن يكتفي بما بثه من سيرته الذاتية في رواياته ليجده القارئ فيها؟ أم عليه أن يوثق هذه السيرة قبل أن يعبث الآخرون بها عن قصد أو غير قصد؟

– لقد كتب الكثير عني وعن أعمالي خلال مسيرتي الطويلة، وفي هذه السنة – مثلاً – حضرت مهرجانين كبيرين في العراق هما: مهرجان المربد ومهرجان بابل، وقد كرمت فيهما، كما أنني كرمت من قبل في مهرجان المربد، وكان تكريمي في مهرجان بابل يمثل طرفة، حيث جرى على أنني الروائي العراقي المقيم في الكويت، وهم يعرفون أنني الكويتي الذي كان مقيماً في العراق، لكن ربما لأنني الوحيد، الذي لديه خمس وعشرون رواية مطبوعة، ويمثل أكثر من ٢٥٪ منها روايات عراقية – أي روايات تدور أحداثها وموضوعاتها في العراق – ويسميني الشاعر البحريني الكبير قاسم حداد بـ «عابر الأجيال» لأن علاقتي ممتدة

* كاتب رأي، عضو الجمعية العمومية لنادي المنطقة الشرقية الأدبي.

الزميل عبدالله الشمري يقدم هدية العمليات المشتركة التقديرية لضيف العدد

بعدة أجيال حتى جيل الشباب اليوم.

• ماذا تبقى من حلم الروائي الشاب إسماعيل فهد إسماعيل بعد رحلة امتدت خمسين عاماً والذي بدأ بنشر كتابه الأول «البقعة الداكنة» في العام ١٩٦٥م؟

– الحلم لا يزال موجوداً، فمنذ أسبوع بدأت كتابة رواية جديدة، وهي ليست جديدة بالمعنى الحقيقي، بل هي الكتابة الرابعة لها بينما كانت الكتابة الأولى لها في العام ١٩٩٧م، وهي رواية تتحدث بشكل خاص عن الأسرى الكويتيين، وتحاول أن تسلط الضوء على قضيتهم في محاولة للبحث عنهم، أو عن رفات من استشهد منهم، وهو أقل ما يرضي أسرهم وذويهم.

وأنا أحتفي بالعمل الذي أشتغل عليه بين يدي فهو الأكثر جهداً، والأكثر قدرة على التعبير عما أريد، وهو الأكثر اكتمالاً وجمالاً، هكذا يكون الظن، لكن بمجرد أن ينتهي العمل، ويأخذ طريقه إلى النشر، تبهت صورته لدي وأثره ومكانته وأهميته؛ ليحل مكانه عمل جديد وفكرة أخرى تستحق الاهتمام والاحتفاء بها من جديد.

• أنت أحد الكتاب العرب الذين يشار إلى أنهم غزيرو الإنتاج على صعيد كتابة الرواية.. هل كتبت كل ما في جعبتك حتى الآن؟

– عندما أتحدث إلى الشباب – خاصة – عندما يشتكون من قلة الموضوعات وندرتها، أو من لديه حيرة بين موضوعين أيهما يختار أقول لهم: كلما تقدمت السن كانت الموضوعات المؤجلة أكثر– أعني أن الموضوعات، التي تبقى في المطبخ كي تنضج هي الأكثر – فأنا كان لدي موضوع آخر، لكنني أجلته وشرعت في الموضوع الذي أعمل عليه الآن، ولا أدري متى سأعود لذلك الموضوع الذي تدور أحداثه بين ثلاث دول هي (السعودية والكويت والعراق)، وكان يفترض أن أسافر إلى الأحساء، وقد قررت السفر فحصل طارئ لظروف خاصة وأجلت، وقررت ثانية فطرأ طارئ آخر فأجلت.

لم أجد الجرأة أو القناعة لأقوم بكتابة سيرتي الذاتية

• نعود إلى البدايات والأسئلة التي لا بد منها.. كيف بدأت الكتابة؟

– هو موضوع كثر الحديث عنه وتكرر، لقد كان والدي – يرحمه الله – ذا حضور اجتماعي، ويمتلك مكتبة أدبية، ويعشق القراءة، لكن بصره كف وأنا ابن ثلاث سنين – ربما ذلك لسوء حظه أو لحسن حظي – فعندما أصيب بالعمى لم يكن له ولد غيري وأخت تكبرني، وبات حبيس المنزل، فأراد أن أكون عينه التي يرى بها، فعمد وأنا في سن مبكرة أن يعلمني القراءة، فأخذ يرسم لي الحروف على راحة يدي وينطقها حتى تعلمت القراءة، وكان يسعى إلى إيجاد وسيلة جذب إلى مجلسه ليعوض دوره الاجتماعي الذي افتقده بسبب العمى، ونجح في ذلك، حيث كان يستقبل في ديوانه ليلاً جمعاً من المعارف والأصدقاء والجيران وجميعهم من الأميين، وكنت راوي المجلس، حيث أقرأ عليهم من كتاب ألف ليلة وليلة – الذي تعلمت القراءة فيه – ولم أتعلم الكتابة حتى دخلت المدرسة فتحسن الحال كثيراً، وقد استهوتني قراءة القصص وروايتها، فكان أقراني يجتمعون عند عتبة دارنا وأروي لهم كثيراً من القصص، التي كنت حفظتها في مجلس والدي، حيث أعطتني ميزة بينهم، فكنت أقص عليهم، لكن مع مرور الوقت باتوا يعرفون جميع ما لدي

من قصص، وعندما بلغت الحادية عشرة من العمر عمدت إلى القيام بعمل مونتاج لتلك القصص، حيث أدخل شيئاً من واحدة إلى الأخرى كي لا أفقد دوري بين أقراني، فاستهوتني الفكرة - ويبدو أنها كانت نواة الموهبة - فصارت القراءة هواية ثم تحولت إلى غواية.

عشقت قراءة التاريخ والشعر، وفي سن الثانية عشرة كتبت قصيدة وأعجب بها مدرس اللغة العربية، ثم أرسلها إلى مجلة «المعلم الجديد» بعد أن وضع لها تقديماً، فنشرت القصيدة وكان ذلك في العام ١٩٥٢م، ثم إن ذلك المعلم المتميز أكمل تعليمه حتى حصل على الدكتوراه، وبات أستاذاً جامعياً، وقد التقيته مصادفة في العام ١٩٩٨م في مهرجان الرواية الأول في مصر فعرفني هو، حيث سمع أحدهم يناديني «إسماعيل فهد» - ونحن في الحافلة التي تقل الوفود - فناداني وجلست إلى جواره، وعرفني بنفسه، حيث أصبح عجوزاً بينما كنت نصف عجوز، وقال لي - ممازحاً -: لقد وافقت لأحد الأغبياء على بحث في الدكتوراه لسبب واحد وهو أن موضوعها في كتاباتك.

• متى وجدت نفسك قاصاً؟ وبماذا بدأت؟ بالقصة القصيرة أم الرواية؟

- ذكرت من قبل أن خيالي هداني لأن أعيد توليف القصص، كأن آخذ حدثاً من هذه وأضيف له من أخرى، وحتى يكتسب فعلي ذاك مصداقية لجأت إلى تدوينه، تلك كانت تجربة تحرير أول نص قصصي، والذي لا يعدو كونه توليفاً، أو اقتباساً، انتهى بأن تخلّصت منه، بعدما توافرت لدي نصوص من تأليفي الفعلي بدءاً من سن الثامنة عشرة.

وقد بدأت قاصاً، وأذكر أنّي نشرت بعض قصصي القصيرة أوائل ستينيات القرن الماضي في مجلة الرائد الكويتية، التي كانت تصدر عن مؤسسة المرزوق الصحافية، وترأسها الأستاذة الفاضلة غنيمة المرزوق - يرحمها الله - أما بخصوص الرواية، فقد كتبت رواية «الحبل نسخة تجريبية» في العام ١٩٦١ لكنها لم تنل حظها في الطباعة قبل العام ١٩٧٢، بعدما سبقتها رواية كانت السماء زرقاء في العام ١٩٧٠ ورواية المستنقعات الضوئية ١٩٧١.

• ينزع كثير من الشباب في البدايات إلى الشعر - وهي ليست حالة عامة - فهل جربت كتابة الشعر ككثير من المبتدئين عادة؟

- القصيدة التي نشرت لي في العام ١٩٥٢ كانت بسيطة ولم أحتفظ بها لحداثة سني، لكن أعقبتها كتابة كثير من القصائد، وكنت نشرت في الصحف والمجلات، وقد ذكر اسمي شاعراً في الخمسينيات والستينيات ممن كتبوا عن تاريخ الأدب في العراق.

كتبت بعض الأغاني والأناشيد ونشرت في مجلة الطليعة الكويتية الأسبوعية، وفي جريدة السياسة، كما كتبت برنامجاً شعرياً إذاعياً اسمه «حكايات كويتية» قدم بصوت صقر الرشود - يرحمه الله - وسعاد عبدالله - أمد الله في عمرها - وأخرجه الموسيقار د. صالح حمدان في ثلاث عشرة حلقة.

> **بدأت كتابة رواية جديدة عن الأسرى الكويتيين تسلط الضوء على قضيتهم في محاولة للبحث عنهم**

كل ما كتبته من الشعر خلال مسيرتي يأتي في أربعة دواوين شعرية، لكن لم تكن هناك جرأة أو رغبة لأني لا أجد نفسي شاعراً، بل أنا غاوٍ للسرد، وقد قدمت كتاباً عن الشاعر الكويتي علي السبتي في نقد شعره، وتبحرت فيه بشكل واسع، ونلت على ذلك الكتاب جائزة الدولة التقديرية.

• ما أهم ما يحتاجه القاص أو الروائي ليستمر في عطائه وتميزه؟

- رأيي الذي أصرح به للشباب أن الروائي والقاص يجب أن يكون موسوعي الثقافة، يقرأ كل شيء، ويعرف كل شيء عن موضوعه وأدواته الفنية والأساليب السردية لغة ونحواً وصرفاً وإملاءً، ويجب أن يقرأ التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والاجتماع والقصة والنقد والشعر وغيرها من العلوم، وأن يكون ابن عصره، ليس سلفي الرؤية والتفكير محصوراً في أطر محددة، وأن تكون فيه علاقة جدلية بينه وبين ذهنه الخاص، وأن يقبل من يعارضه، أي لا ينفي الآخر، ديموقراطي التفكير مع ذاته ومع الآخرين.

كذلك الشعر، فهناك من كان مع الشعر العمودي، ولما ظهر شعر التفعيلة أعلن عداءه له، حتى بعد أن أصبح له كيانه عاد واعترف

به وهكذا، فعلى الكاتب أن يقهر هاجس السلفية لديه، وهذا التغيير قد يحدث قبل بلوغ الأربعين، أما إذا وصل الخمسين فلا أمل – من وجهة نظري – في ذلك التغير ولو بشكل بسيط، ويجب أن تكون لدى الكاتب إرادة نحو التغيير وفهم للحياة من خلال منظور معاصر، وأحبذ أن يكون الكاتب سابقاً عصره كي يستطيع أن يفعل شيئاً مميزاً.

• توقفت عن الكتابة كما يبدو بعد النكبة أو ما يسمونها نكسة ٦٧، فكيف عدت بعد ذلك؟

– لست وحدي من أحس بالإحباط والخذلان وعدم جدوى الكتابة، فمن الأصدقاء سعد الله ونوس، الذي كان يحضر لنيل الدكتوراه في فرنسا وتركها وعاد ليلتحق بالمقاومة في لبنان، وكذلك الدكتور والمفكر الكويتي الكبير خلدون النقيب الذي ترك دراسة الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية وعاد كذلك، وأنا ذهبت إلى جبهة التحرير ليتم ترحيلي إلى لبنان، لكنهم أصروا على بقائي في الكويت لجمع التبرعات.

كنا جميعا مؤمنين – وإن كنا نختلف في بعض أفكارنا – بأن هناك أنظمة عربية قادرة على هزم العدو الصهيوني وإلقائه في البحر – كما كانت توحي لنا إذاعة صوت العرب من خلال أحمد سعيد – كنا نسمع عن إسقاط طائرات العدو حتى تبين لنا أن الأمر عكس ما كنا نسمع بعد أن رأينا شل حركة الطيران العربي وتدمير الكثير من المطارات.

وبسبب ذلك الإحباط انصرفت عن كل شيء حتى المشاريع، التي كنت أعمل عليها، وانزويت على نفسي، ثم عوضت ذلك بالقراءة التي هي غوايتي– كما أسلفت – وبالبحث في التاريخ الذي أعشقه أيضا عن إجابة لتساؤل كان يلح عليَّ بشدة: لماذا واجهت الأمة كل هذا؟

عدت إلى قراءة التاريخ قراءة أكاديمية – وكأنني أقرأه من جديد للمرة الأولى – من العصر الجاهلي حتى توقفت عند عصر المماليك في مصر ما قبل الغزو الفرنسي، حيث كان الوضع المملوكي في مصر رغم أنه يعتبر نظاما متخلفا – متأخرا – بمقاييس العصر الحالي، إلا أنه كانت هناك صناعة مصرية متطورة، ففي القاهرة أكثر من

> **على الروائي أن يكون ابن عصره ويقبل من يعارضه.. ديموقراطي التفكير مع ذاته ومع الآخرين**

أربعمئة مصنع وفيها تصنيفات ودرجات للعمال، كالعامل المتدرب والمتقن.. حتى تصل إلى شيخ الصناعة، ولها هيئات تشبه النقابات، وكانت المنتجات المصرية تغزو الأسواق الأوروبية، وقد عمل الفرنسيون على تفكيك تلك المصانع والمشاغل ونقلها إلى فرنسا، وهو أمر سبب نكسة وتأخراً لمصر بخاصة وغيرها من البلاد العربية.

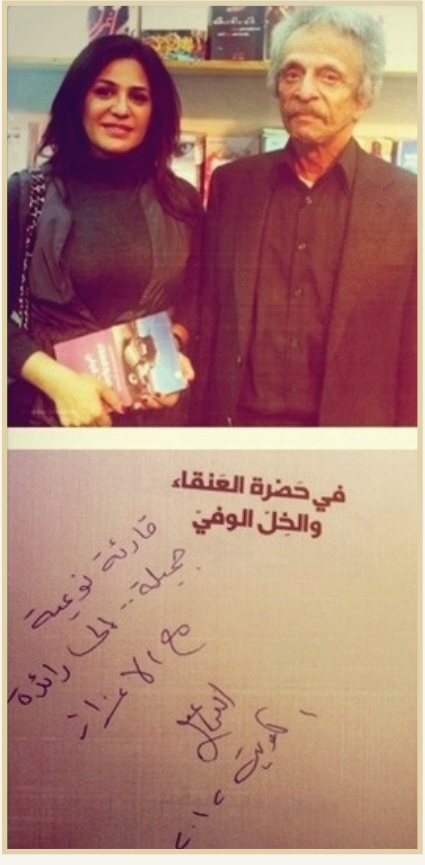

وقد استعادت مصر شيئاً من وضعها الصناعي في عهد محمد علي، الذي فرض الخدمة العسكرية الإلزامية، واحتاج لوجود صناعة حربية، ثم اكتشف ضرورة وجود صناعات أخرى تساندها لينفق على الجيش، فنمت الصناعة المصرية من جديد بتشجيع منه، لكن العدوين اللدودين اتحدا لغزو مصر غزواً اقتصادياً، وساهما في عزل محمد علي وتنصيب ابنه، ولما تبين لهما أنه يشبهه عزلاه ونصبا حفيده.

من خلال هذه المعلومات كأنني وضعت يدي على مفصل تاريخي لأسباب التخلف العربي وإن جرى ذلك بإرادة مستعمر أو قوى مختلفة، وبذلك ندرك أن عصر النهضة في أوروبا بدأ بالصناعة، وما هزيمة ٦٧ إلا واحدة من تلك الجرائم الكثيرة التي ارتكبناها في حق أمتنا.

• لم تتوقف عن الكتابة بعد احتلال الكويت في العام ١٩٩٠ على عكس ما فعلت من قبل، بل إنك – ربما – كتبت أطول رواية عربية، وهي سباعية «إحداثيات زمن العزلة».. فكيف حدث هذا؟

– لاحظت اللوحات الكثيرة في مكتبي – وأشار إلى لوحة مقابلة – فهذه اللوحة هدية من الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط – يرحمه الله – الذي توفي في ألمانيا، ولايزال أهم رسام فلسطيني، ومن أبرز الرسامين العرب، وهو صديق، وكذا زوجته الفنانة تمام، وكان يسكن في منطقة الجابرية، وقد دعا في الأيام الأولى للغزو إلى تكوين لجنة كويتية فلسطينية للحفاظ على التعاون والتآلف؛ كي لا تكون هناك وقيعة بين الشعبين بسبب موقف منظمة التحرير الفلسطينية – التي ربما اضطرت إليها – وكنت من بين أربع وعشرين شخصية أغلبهم من الكويتيين، وبعد تأسيس اللجنة التي أسميناها «لجنة التآخي» وكنت رئيساً لها، وقبل انفضاض الاجتماع طلب مني إسماعيل شموط عدم المغادرة، وبعد أن ودع الجميع ذهبت زوجته لتعمل لنا قهوة تركية، وأخذني إلى مرسمه وأزال الستار عن لوحة لم تكتمل، قال: لقد شلت يدي ولم أعد أستطيع إكمال هذه اللوحة، فما رأيك أن نتبادل الأدوار – أي إنه يكتب وأنا أرسم – لأنني كنت أدرس الرسم،

لكنني لم أف بوعدي ولم أرسم شيئاً، ولم أكتب كذلك عدا ما كنت أعده من تقارير خاصة وترسل عبر الأقمار الصناعية إلى المملكة العربية السعودية، لكنني في رابع أيام التحرير فوجئت بإسماعيل شموط يحمل مجلداً كبيراً يصل إلى أربعمئة صفحة فيه تلخيصات لكل شيء من أحداث يومية وقرارات مجلس الأمن، وخطابات رسمية حتى خطابات صدام حسين، فأخذت المجلد وقلت له: إنني سأعمل عليه، وشكرته على وفائه بوعده واعتذرت منه بعدم وفائي بوعدي، وأنني لم أرسم شيئاً!

كنت قبل الغزو أفكر في أنني عندما أبلغ الخمسين سأعتزل العمل الخاص بي - كما اعتزلت الوظيفة الحكومية من قبل بالتقاعد - بعد أن أجمع مبلغاً مناسباً من المال، وأذهب إلى بلد استوائي وأشتري منزلاً وأعيش هناك بقية عمري، لكن الغزو جاء وتسبب في هدر كثير من المال، ولم يبق إلا القليل منه، وأردت أن أعمل شيئاً من التعويض بعد التحرير، حيث كانت تعمل معي مجموعة من الفلبينيين مدة من الزمن، ولما غادروا البلاد خلال الغزو ائتمنوني على مدخراتهم المالية، فسافرت إلى الفلبين وأعدت إليهم أموالهم، واستأجرت شقة هناك، فوجدت مناخاً مناسباً وجميلاً، لكن ليس بالصورة التي يمكن أن أشتري بها شقة، ثم توسعت بعد ذلك وأخذت مكاناً في الغابة فأصبحت أقضي وقتي بينها وبين العاصمة، وأقمت هناك سبع سنين وفيها كتبت السباعية، وكان مرجعي الأول، والأساس هو ما كتبه الصديق الراحل إسماعيل شموط في ذلك المجلد الكبير، ثم أضفت إليه ما عشته أنا خلال الاحتلال، حيث قدمت أخي الذي استشهد، وابني وابنتي اللذين اعتقلا ولا يزالان يعانيان من بعض العاهات، كما أنني اعتقلت أربع مرات، لكنني كنت أخرج بسبب علاقتي بأصدقاء عراقيين من أيام الشباب والدراسة، ولهم نفوذ كبير، حيث كانوا يبادرون إلى التدخل عندما يصلهم خبر اعتقالي.

عندما انتهيت من كتابة السباعية أحسست بأن الرغبة في العيش خارج الكويت قد أشبعت ولم تعد هناك خصوصية في الأمر،

حيث أصبحت محط رحال كثير من الأهل والأبناء والأحفاد والأصدقاء، وبات الكثير يأتي إلي فيقيم عندي، فلم أعد صاحب فندق، بل أصبحت مرشداً سياحياً لكثير منهم.

• هل الكتابة تعالج أوجاعنا فعلاً؟ تحل مشاكلنا على الصعيد الشخصي أو العام أيضاً؟

- تعالجنا نعم - لكن بشرط - فهي تعالج مشاكلنا النفسية واختلافنا مع ذاتنا - أي داخلنا - إذا كانت لدينا القدرة على استشراف المستقبل، والقدرة على عدم نفي الآخر، وتقبل الجديد حتى ولو كان ضد ذوقنا وضد قناعاتنا، أما إذا افتقدنا هذه الأشياء، فإن الكتابة قد تكون نقمة وتكرس الأمراض وتزيد المشكلات، فمن خلال ما ينشر نرى كثيراً من تلك التناقضات، خصوصاً مع وجود مواقع التواصل الاجتماعي، التي أعطت مساحة كبيرة للجميع، فهناك من يبث الأمراض والسموم، وهناك من يحاول الاحتواء وتقديم الكلمة الطيبة، ولا يخفى أن الكتابة سلاح ذو حدين.

• كيف تنظر إلى القصة القصيرة والرواية؟ وأيهما تفضل؟ ولماذا؟

- قبل أيام وأنا أعمل على روايتي الحالية، التي ذكرتها لك، هناك حدث في الرواية ملخصه اتصال بالكاتب من مدير التحرير في مجلة العربي يطلب فيه من الكاتب أن يكتب قصة قصيرة، لكن الكاتب يقول له: أنا الآن أكتب رواية، ولم أعد أكتب القصة القصيرة، لكن المتصل يبلغه أن رئيس التحرير يسلم عليه ويلح أن يكتب، وينتهي الاتصال، فيظل الكاتب يفكر في الحدث.

القصة القصيرة فن صعب المراس تحتاج إلى احتشاد، وتحتاج إلى أن يكون لها موضوع مكثف، ومقنع، ومجدٍ وممتع؛ لتوفر كل هذه العناصر، أما الرواية ففيها استطراد واسع، فتكون أمام الكاتب الفرصة أن يحذف، ويبدل، ويضيف، ويعالج ما يحدث من هبوط في مرحلة معينة في مرحلة أخرى، لكن هذا غير ممكن في القصة؛ لأنها محددة بزمن ومكان (زمكان) إذا صح المصطلح، والقصة لا يوجد فيها رصد مصيري كالرواية، فهي قد صارت نصاً، ولم تعد «حدوتة»، وهي اليوم أقرب لقصيدة النثر من القصة بمعناها السابق في الاصطلاح النصي، وهي شعر اتصال رقيق.

صارت القصة القصيرة جداً في سطرين أو ثلاثة أسطر، وهي فن موجود في أميركا، وهناك من بات يكتبها في عالمنا العربي، وهي تشبه التغريدة، وممن يكتبها عندنا طالب الرفاعي، ويسمي تلك التغريدة قصة قصيرة.

الرواية عالم حياة يدخلها الروائي ويبحر فيها، فأنا كتبت السباعية خلال سبع سنوات، وكتبت روايتي الأخيرة «في حضرة العنقاء والخل الوفي» في سنتين، وقد تأخذ بعض الروايات شهوراً، وفي كل رواية سياحة لرحلة طويلة تشمل أزمنة وأمكنة متعددة وشخوصاً وأعماراً متفاوتة.

الرواية شيء مختلف ومغاير تماماً للقصة، لكن الكل يبدأ بكتابة الشعر والقصة، ثم يتحول إلى الرواية، وهي تحتاج إلى صبر ومكابدة وطاقة متواصلة ممتدة بعيداً عن الملل، وهي - في نظري - تصلح للمرأة أكثر من الرجل، وقد حرمت المرأة من ممارسة هذا الفن زمناً طويلاً إلا في العقود الأخيرة؛ لأنها محاصرة بسبب المحافظة، حيث لم تكن تمتلك حريتها بشكل كاف، لكن في هذا الوقت دخلت المرأة مجال الروايًة، وقد أصبح عدد النساء اللاتي يكتبنها أكثر من الرجال ولعل الروائيات السعوديات أصبحن أكثر من الروائيين.

اشتباك

• جربت الكتابة المسرحية.. ولك أيضاً مسرحية تاريخية وفلسفية عن الشاعر ابن زيدون عنوانها «للحدث بقية».. لماذا اخترت شخصية شاعر مع أنك روائي لتكتب عنه مسرحية؟ هل كانت مقصودة منك تلك «الخلطة» الثلاثية التي جمعتها في كتاب واحد ما بين الرواية والشعر والمسرح؟

- سؤال جميل، كان عندي حلم أن أكتب وأشتبك من خلالها بالشعر - ربما لأني مغرم به وأقرأ الشعر كثيراً، ولي قصائد كثيرة - كما أن دواوين الشعر، التي في مكتبتي تربو على عدد القصص والروايات. كان اختياري الأول منذ أواخر الثمانينيات هو شعر قاسم حداد، الشاعر البحريني الكبير، فاشتبكت مع شعره من خلال رواية، وقد حاولت وعجزت في بداية الأمر؛ لأن شعر قاسم ليس من السهولة التعامل معه، وقررت أن أشتبك معه بطريق غير مباشر - ربما توطئة - من خلال الشاعر الأموي مالك بن الريب، وهي رواية الظل التي لامست فيها الشعر.

أما التجربة الثانية فكانت مع شعر ابن زيدون، وهناك سبب آخر أعني به إسقاط وضع دول الطوائف وضعفها وصراعاتها على واقعنا المتردي، فابن زيدون - وهو صاحب الإمارتين - إمارة الشعر والوزارة شخصية تستحق الوقوف والتأمل، فهو قد سجن بسبب شعره، وكانت حياته غنية، فقد كان شاعراً وسياسياً ومفكراً، وكتاب طوق الحمامة لابن حزم كان من الكتب التي أثرت

في تفكيره، وقد عاش أيام الانحلال وعاصر «ولادة»، وكان الوليد حفيد ابن حزم صديقاً له، وزميل دراسة.

ونحن لا نزال نعيش الحالة، أما الإسقاط الآخر فإنني جعلت ابن زيدون يقرأ لشعراء جاءوا بعده، قرأ للجواهري وأحمد شوقي ولآخرين غيرهما مما خلق حواراً خيالياً رائعاً.

وبعد هاتين التجربتين وجدت نفسي أصبحت قادراً على أن أخوض تجربة الاشتباك مع شعر قاسم حداد فظهرت رواية «عندما رأسك في طريق واسمك في طريق أخرى».

• كثير من كتبك عالجت مسألة الهوية بشكل أو بآخر.. ماذا تعني لك الهوية؟

- أسئلتك غريبة وعميقة وفي الصميم، كتبت مرة ورقة عن الهوية تحدثت فيها عن أكثر من كاتب، فكان ممن كتبت عنهم «كاتبة دنماركية» كان أبوها قنصلاً لبلاده في اليابان، وعاشت سبع سنوات من طفولتها في اليابان، وتقول: أنا أنتمي لمشاعري، وأنجذب إلى هناك، أحس بأنني يابانية لكنني دنماركية، فوطني يمثل لي ما لا يمكن أن أدركه أبداً، فتنتهي إلى أن تقول: وطني هو الأبدي.

عولجت قضية الهوية في أماكن أخرى، فأنت الآن ما هويتك؟ هل هويتك ككاتب، كصحافي، كمفكر، كمسلم، كإنسان سعودي، كعالم، كليبرالي، كسلفي؟

الهوية خليط يتشكل من كثير من الأمور، ويخضع لظروف متعددة، والهوية ليست الجنسية، ولا يمكن أن تكون هي مطلقاً.

فمثلاً لو تنقلت في الدول الاسكندنافية ستجد آلافاً من الكتاب والمفكرين والسياسيين العرب، وتحديداً العراقيين، الذين يحملون جنسيات تلك الدول المختلفة، لكن لا تزال هوياتهم عربية عراقية، وقد عاد البعض منهم واستقر، وبعضهم عاد ولم يستطع الاستقرار.

في زيارتي الأخيرة للعراق - أثناء حضوري مهرجان بابل - استضافني عراقيون ممن تركوا العراق في العام ١٩٩١ وعاشوا في مخيم رفحاء، ثم غادروا إلى الدنمارك والسويد، وعملوا هناك وباتوا أثرياء، وعادوا

للعراق وأقاموا نشاطاً تجارياً ممتازاً، وبنوا بيوتاً شبيهة بالقصور، ووجدوا ذواتهم من جديد في المنطقة التي غادروها من قبل، لكن المشكلة التي تواجههم هي عدم تأقلم أولادهم، بنين وبنات، مع البيئة الجديدة، حيث ولدوا خارج العراق، فلم يتكيفوا مع الواقع الجديد، وكان خالهم محمد جواد، وهو كاتب مقيم في الكويت، قد نصحهم بأن ينتقلوا بهم إلى شمال العراق، حيث توجد مدارس أجنبية مختلطة كي تكون إقامتهم هناك مرحلة تمهيد، وتوطئة لينتقلوا إلى وسط العراق بعد سنتين أو ثلاث، وقرروا فعلاً الأخذ بالنصيحة – رغم أن الأمر لايزال يقلقهم خوفاً من عدم التأقلم – وهذا أمر متعلق بالهوية، هؤلاء الآباء والأبناء ذوو هويات مختلفة، أستطيع القول إن الهوية «مصيبة».

• ولدت ونشأت في العراق ثم أكملت حياتك في وطنك الكويت التي تحمل جنسيتها، هل ما زلت تحس بشيء من الانشطار الشخصي ما بين البلدين؟

– بدءاً كان قراري متابعة حياتي في العراق من جرّاء الأجواء الأدبية والثقافية الزاخرة أيامها، وكذلك استفادتي من الامتيازات التي يحققها وضعي المالي بصفتي كويتياً مقيماً هناك، لكن الأحداث التي عصفت، والتحولات السياسية الاجتماعية ما بعد العام ١٩٥٨ لتتعقد الحال بالنسبة لي أكثر لدى مطالبة السلطات العراقية وقتها بالكويت، انتهت باعتقالي نتيجة إعلاني موقفي المعارض لمصادرة وطني.

مع تعدد حالات الاعتقال لي كان قرار الرحيل باتجاه الوطن، أمّا ما يخص معاناة الانشطار، فكان وقعه شديداً عليَّ في السنوات الأولى، لكن الزمن كفيل بالمعالجة، وإن جاءت غير ناجزة، إذ إنّ الحنين لا يزال، يُصار إلى تعويضه جزئياً بالزيارات الخاطفة لربوع الطفولة والصبا، ولقاء الأصدقاء، وكذلك اغتنام المناسبات الأدبية، كما حدث هذا العام لمّا حضرت مهرجان المربد الشعري في مسقط رأسي مدينة البصرة، وكذلك حضور مهرجان بابل الثقافي العالمي الذي يقام في مدينة الحلّة.

• ماذا يعني لك أن تكتب معظم رواياتك – تقريباً – عن العراق، وأنت تعيش في وطنك الكويت؟

الكاتب – الروائي تحديداً – غالباً ما يستقي مادّته العاطفية والانفعالية من خزين طفولته وصباه، ثمّ شبابه، فيما يخصّني عشت المرحلتين الأولى والثانية، وكذلك شطراً من المرحلة الثالثة في العراق، لذا كثيراً ما أراني واجداً ذاتي الكتابية، حيث كنت، يبقى أنّ تعويض وجودي هنا يُصار إلى التعامل معه بكتابة نصوص معاصرة بأحداثها ومواجهة شخوصها بما يجعلها أقرب إلى التسجيلية أو السينمائية، لكن الحال بدأت تتغير تدريجياً؛ لتجيء رواياتي الأخيرة كويتية التأريخ والشخصيات والأحداث وكذا المصائر، لينقلب الوضع إلى نقيضه، صرت أحن لكتابة رواية بأحداث عراقية، ويعرقلني احتياجي لمعايشة حسيّة تجاه المكان الروائي والشخوص، بما يستدعي سفراً لهناك وإقامة تطول أو تقصر، في حين إن المسؤوليات المترتبة هنا وكذلك مسألة السن تحولان دون ذلك، إنّما يبقى الأمل بتوافّر ظروف مناسبة في وقت لاحق.

• بعد أحداث الغزو العراقي للكويت، وما تلاه من تعقيدات بين البلدين والشعبين أيضاً.. هل واجهتك انتقادات من قبل القراء في الكويت لإصرارك على الكتابة عن العراق؟

– في الحقيقة كانت الانتقادات قبل ذلك، حيث كنت أتهم من البعض بأنني لم أنتصر للعراق في حربه مع إيران، وكنت أصنف من آخرين بأنني شعوبي، وناكر لأصلي العراقي – أي أمي العراقية – وكان يقال عني أيضاً: الكاتب الذي يغرد خارج السرب؛ لأنني كتبت روايات عن فلسطين ومصر والعراق، ولم أكتب رواية عن الكويت بالمعنى الحقيقي، لكن بعد الاحتلال صار العكس، وكأن رؤياي صدقت لدى البعض.

وبعد التحرير، حيث ابتعدت عن الساحة الكويتية لسنوات حتى خرجت السباعية فصار ذلك الماضي ناصعاً عند المتلقي الكويتي، وكأنني أنصفت هويتي الكويتية.

أما في العراق، فقد كان كل الأصدقاء والمعارف في المعارضة، فهم معي في البدء وفي الآخر أيضاً، حيث كانوا غير راضين عما يحدث في العراق، دخلت روايتي إلى العراق ودرست في الجامعات، وباتت محل دراسة من قبل الباحثين– حتى في زمن صدام – لرسائل جامعية، فالصرح الجامعي له شيء من الخصوصية، وتدخل السلطة فيه محدود جداً.

• في روايتك الأخيرة «في حضرة العنقاء والخل الوفي» عدت للأجواء الكويتية الصرف وأنت تكتب عن عقدة الهوية.. ولاقت الرواية ترحيباً كبيراً من قبل القراء في كل مكان، هل شجعك هذا لتبقى في المنطقة الوطنية الكويتية وأنت تكتب؟ أعني هل ستكون الكويت مكان رواياتك المقبلة أيضاً؟

– لا أدري لماذا أسئلتك – دائماً – فيها إحالات متعددة، فأنت تختار ما يحيلني إلى رمال متحركة.

في التسعينيات كان لدي لقاء أدبي أسبوعي، اسمه «ملتقى الثلاثاء» ومن بين المؤسسين الشاعر الكويتي «البدون» دخيل الخليفة، وقد اقترح عليَّ الكتابة عن مشكلة «البدون»، وأذكر أنني قلت له لا أستطيع فسكت؛ لأن أمر الكتابة – في نظري – لا يمكن أن يصطنع، فلا فائدة من أي كتابة أكتبها إذا لم أحس حقيقة لتتكون عندي الدافعية القوية للكتابة، وقد قلت له أيضاً: أنا «بدون» بشكل أو بآخر، فأنا في العراق كنت «بدون»، وأذكر أنني كنت أصر على لبس الثوب ووضع الغترة على كتفي، وأتعمد لبس النعال النجدية، وقد اعتقلت بسبب ذلك، ولما عدت إلى وطني الكويت بتُ في نظر البعض «العراقي»، فلم

أعد ألبس «الدشداشة»، بل ليس لدي منها ما ألبسه – حتى وقت النوم – وهو ليس عناداً بقدر ما هو الشخصية المرتبكة للكاتب.

لكن أمر الكتابة بقي يلحُ عليَّ بشدة، فهناك أبناء الكويتيات اللاتي تزوجن من غير الكويتيين، وبعدها أبناء الكويتي من غير كويتية، واتسعت دائرة العدد، حيث كانت في الستينيات بضع مئات، لكنها اليوم تصل إلى ما يقارب المئة وخمسين ألفاً بين أبناء وآباء وأجداد.

من بين كتابنا «بدون» استشهد أبوه تحت الراية الكويتية في مصر، وهاجر إلى كندا – ولا يزال يعيش هناك – وهو الآن كهل.

لا توجد نظرة علمية موضوعية إنسانية حقيقية تعالج مشكلة البدون من المنظور الذي يجب أن تكون عليه، فدائماً هناك تأجيل أو ترحيل للمشكلة، فالنظرة الرسمية كمن يهرب إلى الأمام.

عندي أختان متزوجتان من مصريين، أحدهما طبيب والآخر مهندس، وأبناء أختي الكبرى تخرجوا أطباء من جامعة الكويت، وهم اليوم يعيشون في أميركا مع والدتهم ووالدهم، لا نحزن على الفراق بقدر ما نحزن على ما تم صرفه على هؤلاء ثم نتركهم دون أن نستفيد منهم – وهم منا حقيقة – فهناك شيء من الخلل دون شك، فلماذا لا تعامل المرأة كما يعامل الرجل؟

ولماذا تكون خياراتها سوداء ومحفوفة بالمخاطر هي وأبناؤها؟

قضية البدون لها أبعاد خطيرة ومتنوعة، وتتحول إلى خيمة كبيرة يقبع تحتها أناس كثيرون، فجاءت الرواية ملامسة لهذه المشكلة بشكل مباشر وحقيقي.

موضوع الرواية قديم فقد كان لي أخوان قاضيان، وعُين أحدهما في محكمة أمن الدولة، وقد أعطاني صورة عن ملف قضية أحد «البدون» متزوج من كويتية، وتعرض للظلم الشديد مرتين، إحداهما في زمن الاحتلال، والأخرى بعد التحرير، حيث اتهم بسبب وشاية، وكان أخي قد ساعده في زمن الاحتلال على الاختفاء – ويعلم بحقيقة صدقه – وكان عُرض على أخي ملف ذلك الرجل في المحكمة فظهرت براءته.

كما أن أخي هذا كان سببا في ظهور روايتي «ملف الحادثة ٦٧»، حيث أعطاني في الستينيات – عندما كان في النيابة – صورة عن ملف قضية.

كان الملف الأخير عن قضية «البدون» هو نواة الرواية، إضافة إلى ما لدي من معلومات كثيرة عنها، وعزز ذلك طلب الصديق «دخيل» وساهم في تحفيزي، وألحت الفكرة بعد أن أخذت مشكلة البدون في التضخم، فبدأت بكتابة الرواية التي ظهرت أخيراً.

• في تلك الرواية «في حضرة العنقاء والخل الوفي» تناولت واحدة من أعقد المشاكل في المجتمع الكويتي، وهي مشكلة «البدون»، هل هي أول عمل كويتي يتناول هذه القضية بهذا التوسع والجرأة؟

– لا، ليست هي الأولى، بل كانت هناك رواية للكاتبة الكويتية بثينة العيسى اسمها «ارتطام لم يسمع له دويٌّ»، وقد أشرت إليها في روايتي: «هنا .. لا تجد العتمة إلا في باطنك العميق، حيث أنت وحدك، توغل في التيه. العالم من حولك يتحدث كل اللغات إلا لغتك، وأنت بجلدك الأسمر ناشزٌ عن اللوحة، فاخلع نعليك! ليس امتثالاً لطقوس المثول في الأودية المقدّسة، وإنما لتركض في داخلك بأسرع ما تستطيع ..» (مقتبس قصير من جسد رواية «ارتطامٌ»..)، أن توفق الكاتبة بأن تختزل كماً هائلاً من تناقضاتنا (إنّا) الإنسان الشرقيّ العربيّ، ابن أو ابنة العالم الثالث.. الذي لم يعد ثالثاً.. (.. لم يُسمع له دويّ) ليست صوتاً مباشراً أو ضمنياً بأيديولوجية بذاتها، لكنها – بذاتها

– انتصار لإنساننا إياه، فمحاولة لإضاءة جانب – و إن بدا متواضعاً – للظلام الحالك المعشش في الأغوار (منّا)..

عرفتها قاصة، وتابعتها، بين آونة وأخرى، شاعرة مرهفة، وهاهي – أحسدها – روائية، مؤهلة لأن تحتلّ موقعاً تجريبياً مميزاً.

تعرية اللغة إلى جانب جزالتها، رهافة تتشرب بالصدق، مما يحقق للنص حميمية الالتقاء بذات المتلقي، بهدف الإنماء إليه.. إليها. إذا أجزنا لأنفسنا القول «هناك رواية في الكويت» أقول: هذه الرواية خطوة نوعية نحو الواعد.

• يتحدث كثير من الكتاب والشعراء عن طقوس خاصة لهم في الكتابة أو قول الشعر، فما طقوسك الخاصة؟ كيف تكتب؟ ومتى؟ ومتى تعجز عن الكتابة؟

– الشعراء عادة أحوج ما يكونون لطقوس خاصة بهم؛ نظراً لما يتصل به إبداعهم من لحظات أشبه بالإلهام، أو هي الإلهام بعينه، أما عمن يتعاطون السرد – كتاب قصة أو رواية وكذلك المقالة والبحث – فالطقس الوحيد الذي هم يمارسونه لا عشقاً له، لكنّها حاجتهم إليه، هو نشدان المكان الهادئ، حيث ينعمون باللامقاطعة لأي سبب، ولا بأس من توافّر احتياجات محددة، طاولة كتابة مثلاً مع مقعد مريح، واحتياجات شخصية تختلف من كاتب إلى آخر، ولا يغيب عن البال أن المكان الهادئ وحده لا يكفي إذا كان ذهن الكاتب مسرحاً لعاصفة من انشغالات حياتية أو مسؤوليات معيشية أو أنّه يعاني توزّعاً بين عمل وظيفي هو مصدر رزقه، وغواية إبداعية لا تتحقق ذاته الإنسانية إلا بتعاطيها.

• كتب الشاعر صلاح عبد الصبور مقدمة روايتك الأولى «كانت السماء زرقاء»، وكتبت مقدمة روايتك الأخيرة «في حضرة العنقاء والخل الوفي» الشاعرة سعدية مفرح، فلماذا المقدمة أصلاً؟ هل كتابة المقدمات ضرورية للروايات عادة؟ هل تضيف لها شيئاً؟ ولماذا اخترت شعراء ولم تختر نقاداً أو روائيين – مثلاً – لكتابة المقدمة؟

– صلاح عبد الصبور هو من كتب المقدمة، حيث أعطيته نسختها الأصلية ليطبعها لي في مصر، وقد جئته في مصر ومعي الشاعر

والصديق عبد الرحمن الأبنودي، الذي لم يكتشف أنني كنت أكتب حتى ذلك اليوم، فوجدت صلاح قد كتب مقدمة، وسافرت إلى لبنان وطبعتها، حيث كان اتفق مع دار نشر هناك، أما بالنسبة لروايتي الأخيرة فقد طلبت من الشاعرة سعدية مفرح أن تكتب مقدمة للرواية أو أن أضع لها إهداء كونها من البدون من ناحية ومن ناحية أخرى فهي اسم كبير له أثره في أي كتاب، فأنا استثمرت اسمها لانتشار الرواية.

• ما أهم الأسباب أو العناصر – في نظرك – لنجاح القصة أو الرواية؟

– ليس من سبب محدد، فأحياناً تكون جدّة الموضوع أو مغايرته لما هو سائد – عرضاً أو أسلوباً – وأحياناً من جرّاء جرأة وفّق الكاتب لأن يتحلّى بها، ويبقى أن هناك عوامل تحتكم إليها الأعمال الإبداعية عامّة، بصرف النظر إن كانت سرداً أو شعراً أو مسرحاً، رسماً، سينما، أي جنس إبداعي دون تحديد.

برأيي أن الالتزام بقضايا الناس المهمشين، المضطهدين أو مسلوبي الحقوق، أمر أساسي، ولا تغيب عن بالنا ضرورة إلمام المبدع بقضاياه القومية أو الوطنية، وأن يواصل حضوره الفاعل في زمنه، وتتبقى لدينا عوامل ذات طابع شخصي ذاتي، تتمثّل في معايشة الفكرة التي يهدف للتعبير عنها، ومدى نضجها في دخيلته، مع توفّر معرفة كافية بكل ما يتصل بها، ونزوع شعوري لدى الإقبال على التعامل مع الفكرة، وطموح لتحقيق حميمية أحاسيس تنتقل بدورها لمتلقي العمل الإبداعي.

• أنت من الروائيين المهتمين بعالم السينما، وكتبت عن ذلك كثيراً، ومع هذا لم نر أيًا من رواياتك على الشاشة.. لماذا؟

– كتابة الرواية فعل فردي، والفيلم السينمائي عمل جماعي، فضلا عن هذا كلّه نحن نعيش في وسط اجتماعي طارد للفن عامّة، وللسينما بشكل خاص، في حين أن السينما صناعة ثقيلة بكل ما تتضمنه هذه المقولة من معنى، أنت إن سُمح لكتابك المطبوع بالتداول فهذه نعمة، هناك قلق حاد يتربّص بالكاتب ما قبل وصول كتابه لمتلقيه، هل سيصادر كتابه رقابياً؟

هناك كتّاب تعرضوا لمساءلات قضائية

وآخرون دخلوا السجن، من أين للمهتمين بالشأن السينمائي – وهم من الشباب – أن يجدوا دعماً حقيقياً يرقى لمستوى توفير الإمكانات والدعم المالي اللازمين؟

ما يحدث هو أن الشباب ينتجون أفلاماً سينمائية تجريبية – عادة ما تكون قصيرة – وعادة ما تخضع لرقابة رسمية واجتماعية قاسية، لدينا عدد من المخرجين الراغبين في التعامل مع روايات كويتية سينمائياً، لكن غياب الدعم، وحضور المعوقات يحولان دون ذلك، فيما يخصّني على سبيل المثال أعددت خلال السنوات الأخيرة سيناريوهين روائيين للمخرج الكويتي الشاب عبدالله بوشهري، وقد كان عبدالله متحمساً جداً في البدء، لكن غياب التمويل والدعم حالا دون تحقيق شيء، ويبقى تعويضي الوحيد أنّي أكتب قصصاً أو روايات قصيرة بأسلوب المشاهد والمونتاج السينمائي.

• درست السيناريو، وكتبت عدة سيناريوهات تلفزيونية.. فماذا يعني لك فن السيناريو؟ وكيف لروائي مثلك أن يكتب سيناريو لروايات كتبها آخرون؟

– لعلي ضمّنت جزءاً من الإجابة في معرض الرد على السؤال السابق، فكتابة السيناريو فن سردي قائم بذاته، يجمع بين ماهو بصري وتصوّري، ويقتضي ثقافة فنية خاصة ومعرفة حِرَفيّة.

أنا شخصياً أميّز بين صنفين من السيناريو: السيناريو التلفزيوني والسيناريو السينمائي

– رغم كوني اشتغلت الاثنين – ورأيي أن الأول يستدعي حرفية محدودة وطاقة على العمل الكتابي المتواصل، ريثما ينجز كمّاً هائلاً من الورق المكتوب يمثّل كمّاً من مشاهد كافية لتغطية مساحات زمن عرض تلفزيوني مترام، يمتد إلى مسافة ثلاثين حلقة، وهو العددً المطلوب تجارياً.

كما أنني أرى أن التوجه بالكتابة للتلفزيون يحرم المبدع من التجريب والابتكار، وهي في ذات الوقت يعيق فيه ذهنه جراء الجهد الهائل من حيث الطاقة والتفكير إبداعياً، على العكس مما هو عليه حال العمل بكتابة السيناريو السينمائي، حيث تتآخى الكتابة للسينما بالكتابة الروائية، وخلاصة رأيي بهذا الخصوص أن العمل على السيناريو التلفزيوني يشل القدرات الإبداعية للكاتب، بينما العمل على السيناريو السينمائي يصقل الأدوات الإبداعية للكاتب ويطورها في الوقت نفسه.

• كيف تصف لنا المشهد الثقافي الكويتي حالياً؟ على صعيد الشعر والقصة والرواية وغيرها من المجالات الكتابية؟

– هو مشهد مبشر بالخير، فلدينا جيل كبير من الشباب والشابات لهم أعمال تستحق الاحتفاء بها، وهم في تزايد كبير، ولهم إنتاج كبير ومتنوع وهذا ما يجعل المشهد أكثر نضجاً.

• لك حضور فاعل ودائم في موقع التواصل الشهير «تويتر».. ما مدى علاقتك به؟ وما

نظرتك إليه كأداة استعصت على الرقيب أو أعيته؟

– أنا حديث عهد بـ«تويتر»، لكنني وجدت فيه مجالاً رحباً للتواصل، كما أنه يوفر خصوصية – أعني في المتابعة – وفيه ميزة كبيرة نحتاجها في زمن السرعة الذي نعيشه – أعني بها الإيجاز – حيث إن التغريدة لها حد معين من الحروف لا تتعداه، ولقد أتاح «تويتر» مجالاً خصباً للتعبير قد لا يحققه غيره من الوسائل الأخرى.

فالـ«تويتر» بات وسيلة تواصل فاعلة وثرية ومتنوعة، ومن خلاله يكتسب الإنسان كثيراً من المعارف ويطلع على طرق تفكير مختلفة، وأنا وإن كنت متأخراً في التعامل معه إلا أنني وجدته غاية في الروعة والتواصل الفاعل.

• فزت بعدة جوائز.. فما رأيك بفكرة الجوائز؟ وهل تؤمن بمصداقيتها؟ وكيف ترد على من يشكك في بعضها بحجة أنها قائمة على ما يسمى بالشللية والمحسوبيات؟

– أنا مع كلّ أنواع التحفيز والتشجيع الذي يجب أن يحظى به المبدع، أمّا ماذا عن دور لجان التحكيم، فالعالم الثالث يبقى عالماً ثالثاً، ونحن جزء لا يتجزأ منه، لكن مثل هذا الرأي لا يشمل الجوائز كافّة، هناك جوائز ذات آلية تنتمي لعالم أوّل، مثل جائزة البوكر العربية، وجوائز قليلة أخرى لها آليات تحميها من تأثيرات الشللية والمحسوبية وتبادل المنفعة.

هناك حلم أن ترتقي هذه الجوائز بقيمتها المالية على الأقل، ما دمنا دولاً غنية.

• ما الكلمة الأخيرة التي يود إسماعيل فهد إسماعيل أن يقولها في ختام هذا اللقاء؟

– أنا وقد بلغت من العمر عتيّاً، أحسّني محظوظاً، إذ أتابع الحضور الفاعل والمؤثّر لجيل المبدعين الشباب في مجالات الشعر والقصة والرواية والكتابات النقدية، وكذلك النشاط الملموس لمسارح الشباب، ولا أستثني الجهد الجبّار الذي يبذله السينمائيون الشباب أيضاً.

ختاماً الشكر الجزيل لك أستاذ عبدالله على الجهد اللافت لصياغة أسئلة مغايرة هدفت إلى تحفيز الطرف الآخر أو استفزازه كي يفصح، والشكر موصول للقائمين على «الخفجي» وللمجلة ذاتها إزاء توجهها للاهتمام بالشأن الأدبي الثقافي. ■■

أعمال ضيف العدد

إسماعيل فهد إسماعيل، كاتب وروائي كويتي من مواليد ١٩٤٠م، حاصل على بكالوريوس الأدب والنقد من المعهد العالي للفنون المسرحية في دولة الكويت، متفرغ منذ العام ١٩٨٥م، عمل في مجال التدريس وإدارة الوسائل التعليمية، وأدار شركة للإنتاج الفني.

١. البقعة الداكنة، قصص (١٩٦٥).
٢. كانت السماء زرقاء، رواية (١٩٧٠).
٣. المستنقعات الضوئية، رواية (١٩٧١).
٤. الحبل، رواية (١٩٧٢).
٥. الضفاف الأخرى، رواية (١٩٧٣).
٦. الأقفاص واللغة المشتركة، قصص (١٩٧٤).
٧. ملف الحادثة ٦٧، رواية (١٩٧٥).
٨. الشياح، رواية (١٩٧٥).
٩. القصة العربية في الكويت، دراسة (١٩٧٧).
١٠. الفعل الدرامي ونقيضه، دراسة (١٩٧٨).
١١. الطيور والأصدقاء، رواية (١٩٧٩).
١٢. خطوة في الحلم، رواية (١٩٨٠).
١٣. الكلمة - الفعل في مسرح سعد الله ونوس، دراسة (١٩٨١).
١٤. النص، مسرحية (١٩٨٢).
١٥. النيل يجري شمالا – البدايات، رواية (١٩٨٣).
١٦. النيل يجري شمالا – النواطير، رواية (١٩٨٤).
١٧. النيل الطعم والرائحة، رواية (١٩٨٩).
١٨. إحداثيات زمن العزلة، رواية سباعية
١٩. الشمس في برج الحوت، رواية (١٩٩٦).
٢٠. الحياة وجه آخر، رواية (١٩٩٦).
٢١. قيد الأشياء، رواية (١٩٩٦).
٢٢. دوائر الاستحالة، رواية (١٩٩٦).
٢٣. ذاكرة الحضور، رواية (١٩٩٦).
٢٤. الأبابيليون، رواية (١٩٩٦).
٢٥. العصف، رواية (١٩٩٦).
٢٦. يحدث أمس، رواية (١٩٩٧).
٢٧. بعيدا.. إلى هنا، رواية (١٩٩٧).
٢٨. الكائن الظل، رواية (١٩٩٩).
٢٩. سماء نائية، رواية (٢٠٠٠).
٣٠. علي السبتي - شاعر في الهواء الطلق، دراسة (٢٠٠٢).
٣١. ما تعلمته الشجرة ليلى العثمان كاتبة، دراسة (٢٠٠٥).
٣٢. مبدعون مغايرون كلمات مغامرة (٢٠٠٦).
٣٣. للحدث بقية ابن زيدون، مسرحية (٢٠٠٨)
٣٤. مسك، رواية.
٣٥. مالا يراه نائم، مجموعة قصصية.
٣٦. عندما رأسك في طريق، واسمك في طريق أخرى.
٣٧. في حضرة العنقاء والخل الوفي.

الجوائز التي نالها

• جائزة الدولة التشجيعية في مجال الرواية في العام ١٩٨٩.
• جائزة الدولة التشجيعية في مجال الدراسات النقدية في العام ٢٠٠٢.

الصيام..
مدرسة السلوك الإنساني

بقلم: هناء ثابت محمد المداد *
hana2.61@hotmail.com

الصوم عبادة روحية عرفته الأمم القديمة، وفرضته الشرائع السماوية منذ أقدم الأزمان، وهو من دعائم الإسلام الخمس، يسمو بالنفوس المؤمنة إلى أوج المثالية الإنسانية، ويرمي أوّلاً وقبل كلّ شيء إلى تحرير هذه النفوس من الشهوانية الطاغية وتهذيبها، وكبح جماحها عن الملذّات الشاغلة، والانغماس في تيّار النسيان، وهو أيام معدودات يُحلّق بالمؤمنين عبر رحلة الإنسان منذ وُجِد على الأرض، حتّى طوته الأيّام في جوفها، ليستعيد حلو الحياة ومرّها، وتقلب الأزمان، تُقْبِل تارة فتبتسم جنبات الآفاق، وقد ازدانت الدنيا، وانفسح الأجل وطاب المقام، وتُدْبِر تارة أخرى فيكفهر الجو، وتظْلِم الحياة، وهنا تتطلّع الأفئدة وقد انهدّ طغيانها وانزوى جبروتها، وتلك مرحلة

* كاتبة وباحثة سورية.

التوبة والندم، فإنْ كانت توبة خالصة وندماً نابعاً من حنايا أرّقها البعد عن الله تعالى، عاد المرء إلى حظيرة الإسلام وقد استيقظ وجدانه وهَفَت نفسه إلى طاعة لا انحراف بعدها.. وكانت الحياة الجديدة في إطارٍ من السعادة والإشراق..

والصوم بدعائمه الأداة الأولى لِخَلق المؤمن النقيّ البعيد عن المهاترات والانحرافات.. وهو الوسيلة التي تَحول بين المرء والانزلاق في مهاوي الرذيلة، وهو من أهمّ الدوافع التربوية التي ترسم طرق الصفاء والشفافية والإشراق..

إنّها أيام معدودات تعيد للإنسان آدميّته التي أرادها الله لبني البشر.. أيام معدودات كفيلة بأن تزيل ما ران على القلوب من غشاوات، وما عسى أن يكون قد أصابها من علل على مدار العام.. ولن يتحقق ذلك بنسبة واحدة بين الناس كما قد يفهم من النظرة الأولى.. فعلى قدر ما في الصيام من سلبية لمقوّمات المادة من الغذاء والملذّات، تكون الإيجابية لترقى الأرواح في معارج الصفاء، ومن هنا يصبح الإنسان نوراني الخواطر، رباني السلوك، وعلى قدر انغماس المؤمن في صومه، وتفاعله مع مثله تكون حواسّه ومظاهره التعبير الحي عن مكنون صدر.. وعلى ضوء ذلك ينهج الصائم خطه الفهم الحقيقي دون انحراف أو مبالغة.. وهذا هو الصوم الحقيقي كما أراده الله تعالى، ونعني بالصوم الحقيقي: الصوم النابع عن عقيدة أكيدة، تحمل في طيّاتها إيماناً خالصاً، وإحساساً بأداء ركن من أركان الإسلام، لا يبغي به صاحبه سوى إرضاء خالقه جلّ وعلا وتنفيذ توجيهاته.

ونحن إذا دققّنا النظر في الروحانية التي يعكسها الصوم على رؤى وخفايا المؤمنين، نجد أنها روحانية بعيدة في جذورها، واسعة في دائرتها، تسلك به في طريقٍ من الحصانة الإلهية حتى ترقى به إلى مصافّ الصدّيقين والشهداء والصالحين.. وتلك مرتبة عالية لا يصل إليها المسلِم إلاّ إذا تحقق بصومه حكمة ربه، فصلح جسده بصلاح قلبه، وعفّت جوارحه عن محارم الله تعالى، وتنزّهت أفكاره عن خواطر السوء، ونزعات الشّر، واستحقّ أن يكون صيامه أشْرف أعماله، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «كلّ عمل ابن آدم له إلاّ الصوم فإنّه لي وأنا أجزي به»..

ومن حكم الصوم فهمه على حقيقته بألاّ نحشد عند الإفطار ألواناً من الطعام والشراب، نُسْرِف فيها كماً، ونفتن فيها كيفاً، ونجمع ما فاتنا من وجبات، نزحم بها موائدنا، ونرهق مواردنا «فما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه» ومع الجوع، أيّ طعام مريء، ومع العطش أيّ شراب هنيء.

المعدة سبب الشّر، ومصدر البلاء للإنسان، ومبعث الأسقام والأمراض، لذلك فرض الصوم علاجاً لها من هذه الآفات المهلكة، فيقول الرسول صلوات الله عليه: «جوعوا تصحّوا»، ويقول: «نحن قومٌ لا نأكل حتّى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع»، وفي الأثر المروي: «المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء»، وقال تعالى: «وكلوا واشربوا ولا تُسْرِفوا إنه لا يُحبّ المسرفين»،

فالإسراف في الطعام والشراب يؤدّي إلى التخمة، ويضرّ بالصحّة، ويدعو إلى الخمول والركود، وقال لقمان الحكيم لابنه: «يا بُني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة».. وقال صلى الله عليه وسلّم: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإنّ القلب كالنبات يموت إذا كثر عليه الماء»، وإذا مات القلب مات الإنسان، ولهذا

الصوم فترة قصيرة في زمنها بعيدة الأثر في أهدافها.. تتيح فرصة اللقاء الربانيّ في ساحات الرضا والرجوع إلى الدوحة الإلهية

السبب نرى الأطبّاء ينصحون مرضى القلوب بالإقلال من الطعام حرصاً على حياتهم..

والمسلم الصادق مَنْ يذكر عند فضول موائده من لا يجد كفافاً، ويتحسس بأريحيته من لا يسأل الناس إلحافاً.. والمؤمن كيِّس فَطِن، يسبق بالنوال، ولا يُلجئ الفقير إلى ذلّ السؤال ويجعل شكر نعم الله عليه لطف برّ، وسماحة معونة.

والصوم في حدّ ذاته فترة نقاهة يعود فيها الإنسان إلى نفسه ليحاسبها على ما فرّطت، وليستعيد ما فاته من إهمال أو تقصير.. إنها فترة قصيرة في زمنها، بعيدة الأثر في أهدافها، تتيح فرصة اللقاء الربانيّ في ساحات الرضا، والرجوع إلى الدوحة الإلهية، وقد اطمأنّت النفس وهدأت، قال تعالى: «لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً».. إنّها فترة دراسية لها نتائج الدراسات من حيث الغاية والهدف، وعلى قدر مواصلة البحث ونيل الألقاب العلمية، على قدر السموّ والتسامي إلى أوج المعرفة الدينية وملازمة التعاليم الإسلامية، فيكون الاطمئنان والأمان في الدنيا، والثواب وجنان الرضوان في الآخرة..

إنّ الإيمان الذي وحّد العقيدة في إله واحد، ووحّد الاتجاه في الصلاة إلى وجهة واحدة، ووحّد الدستور في كتاب مبين، وسنّة مبينة، وحّد بيننا في الصيام، وجعل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حين يسمعون (الله أكبر) مطلع الفجر يمسكون، وحين يسمعون (الله أكبر) غروب الشمس يفطرون، فيا له من حلال، يحرّم بكلمة ويحلّل بكلمة، ورباط الإسلام الذي جمع بين المسلمين مع اختلاف بقاعهم وأجناسهم وألوانهم من أقوى الروابط التي تدعو إلى التناصر والتآزر والتواصي بالخير، وأن نكون جميعاً أمّة واحدة لا يشذّ عن كيانها الوحدوي شاذّ، ولا يَنْفُر من بينها نافر، فإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية..

والصوم، كركن من أركان الإسلام، نستشفّ من ثنايا مُثُله وأهدافه أنّه دعامة الدّين، ورمز الصفاء وأداة الإحساس، والتفاعل، وسنام العقيدة، وحجر الزاوية في الإيمان والفهم ووقاية النفس وتربية الروح ولبّ الخوف ومطيّة الأمل وغاية الرجاء، به يسمو خلق المرء، ويعمّق إيمانه ويعلو في درجات العِلم الديني، والسلوك الدنيوي.

واجبنا في رمضان أن نمدّ يد العون لبعضنا بعضاً.. وأن نتمسك برباط الأخوّة في أرقى صورها ويوحّد بيننا المصير المشترك والهدف المنشود

ورمضان المعظّم يحلّ بنا هذا العام ونحن في مثل هذه الظروف التي تمرّ بها الأمة الإسلامية، وواجبنا أن نمدّ يد العون لبعضنا بعضاً، وأن نتمسك برباط الأخوّة في أرقى صورها، ويوحّد بيننا المصير المشترك والهدف المنشود. إنّ الساحات الرمضانية بما حباها الله من الخير والنعيم هي ساحات جامعة تضم الجميع في إطار المحبّة الخالصة والوئام الشامل وصدق خالقنا ومولانا حين وصف الأنصار وقد قدم عليهم إخوانهم المهاجرون.. حين فرّوا بدينهم من وجه الطغاة «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»، وهذا هو خلق الدين وتوجيه لنا، فليكن لنا في ديننا نِعْم المرشد، ولنكن لهؤلاء الإخوة نِعْم الأهل. ■■

قصص قصيرة جدًا

بقلم: شمس علي *
shams_ali2_@hotmail.com

مكافأة

رائحةُ العفنِ تملأُ المكانَ، أوصلهم البحثُ إلى الزاويةِ، حيث وجدوا شمعةً ترقدُ في وهنِ الشيخوخة، وتنبعثُ من روحِها رائحةُ الإهمالِ.

حب

الوردةُ لم تظفرْ بوظيفة، لم تُجِد الحب، قررتْ أنْ تلبسَ الكراهية، تحولتْ إلى شجرةِ صبار.

سرطان

درسَ خريطةَ جمجمتِها، تسللَ إليها في غفلةٍ منها، انشأَ قواعدَه، بخبثٍ أجهزَ على أنوثتِها، وعسكرَ فيها حتى استلّ آخرَ خيطٍ يربطُها بالحياة.

شتاء عربي

جثمَ الجفافُ دهرًا على أوديةٍ عربية، تصحرتْ فيها الحياة، انتفضتْ الأفواهُ الجائعة، أرعدتْ، تمكنتْ من الجفافِ وأهلكتْه، واستمرَ بعدها سيلُ الجموعِ هادرا ليقتلعَ في جريانِه كلّ الأشجارِ، وملاعبَ الأطفالِ ومدارسَهم..

العمة

عندما كانتْ عمتُهم تسرقُ فرصَهم الفُضلى في الحياة، كانت «الماما» تؤكدُ بأن العمةَ فاضلة، واليومَ بعد أن كبروا معتادين العيشَ على الفتات، جاء دورُهم ليُجيبوا ابناءَهُم المتذمرين، مؤكدين لهم أن العمةَ هي الشخصُ الوحيدُ المحبُ لهم في الجوار.

جدرانٌ آيلة

فضلَ والدُها أخاها وكتبَ له كلّ الميراث، ظلّتْ الحقيقةُ القاسيةُ تعذبُها سنوات، عندما مات زوجُها المتيمُ الولهان، علمتْ أنه هو الآخرُ ترك أرضَ البيتِ الذي تسكنه لابنها في حين أورثها جدراناً آيلة.

ابتكار..

توقف شريط الذكريات، وتعيد تدويره، آلة الزمن تلتهم أجزاء منه، لتترك لها فرصة الابتكار.

* أديبة وقاصة وإعلامية سعودية.

الثقة وعوامل صنع القرار العشرة

بقلم: أ.د. زيد بن محمد الرماني*
Zrommany3@gmail.com

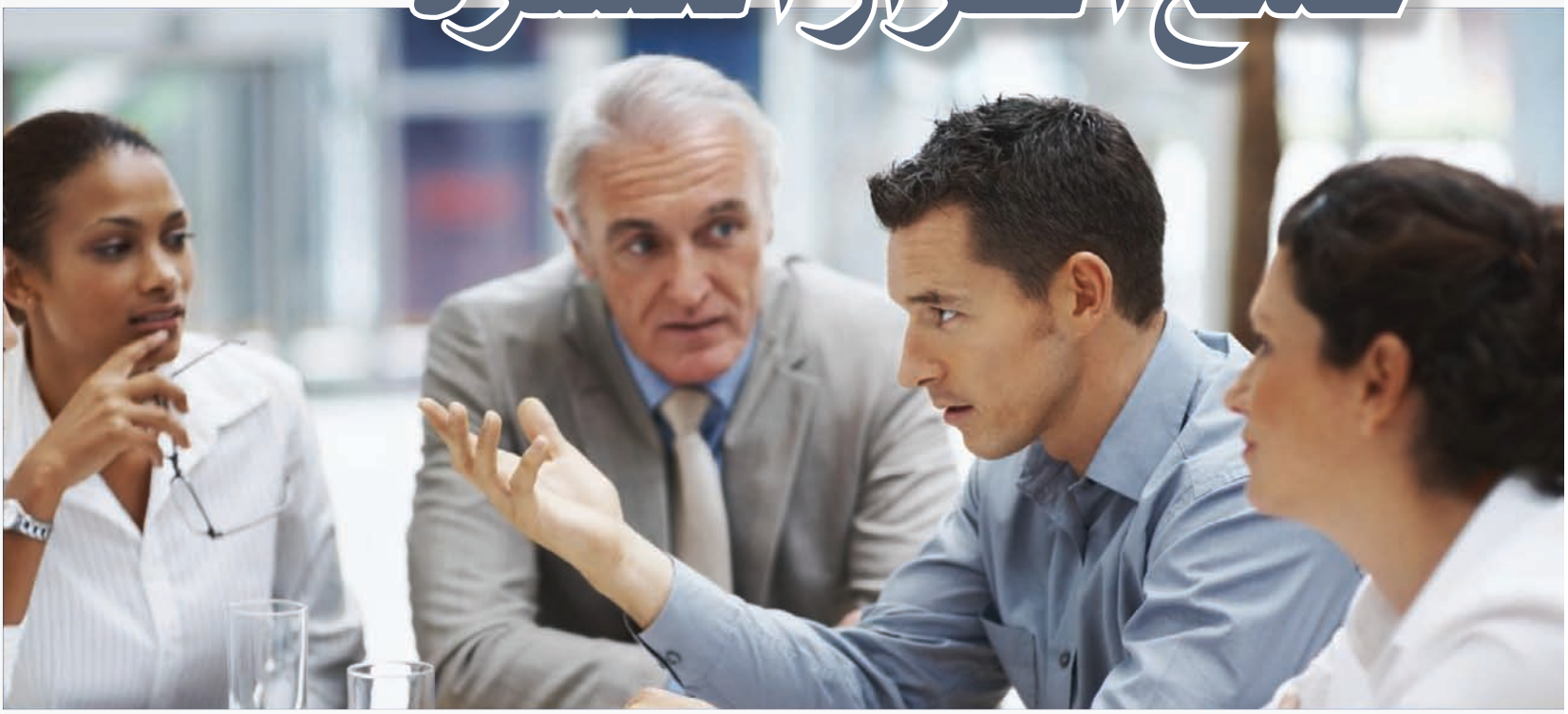

يقول روبرت هيرلي: إن ما يقرب من نصف المديرين لا يثقون برؤسائهم. هذا ما اكتشفته عندما أجريت استطلاع رأي شمل ٤٥٠ مديراً لثلاثين شركة من مختلف أنحاء العالم.

ولقد كانت النتائج، التي توصلت إليها دراسة أجراها جولين هاريس لعدد من الشركات الأمريكية في العام ٢٠٠٢ بالقدر نفسه من التشاؤم، حيث اتفق ٦٩ في المئة على رأي يقول: «إنني لا أعرف بالضبط من الذي سأثق به بعد الآن».

وفي ذلك العام نفسه أجرت جامعة شيكاغو دراسة على نحو ٨٠٠ أمريكي، وتبين من تلك الدراسة أن أكثر من أربعة من كل خمسة أشخاص لديهم «فقط بعض» أو «أقل القليل» من «الثقة بالأشخاص الذين يديرون مؤسسات كبرى»، وبالتأكيد فإن الوثوق بقادة المؤسسات يعد بصفة عامة أمراً مختلفاً عن الوثوق بالرؤساء التنفيذيين المباشرين. كما أنه بالنسبة لبعض الشركات ومسؤوليها التنفيذيين هناك شبه إجماع على أنهم جديرون بالثقة لكن الاتجاه العام مثير للقلق. ومصدر هذا القلق أن بيئة يسودها الارتياب تؤدي إلى مشاكل خطيرة وأحياناً مدمرة.

فمن الأهمية بمكان للمديرين إذن أن يطوروا من المفاهيم المتعلقة بالثقة على نحو أفضل، وأن يحسنوا كيفية التعامل معها، لذا، فإن هناك عشرة عوامل تدخل في عملية صنع القرار تتصل بالثقة.

أولاً: بعض الناس مخاطرون بطبعهم، وبعضهم الآخر حذرون بالفطرة. ومدى ما يسمح به الأشخاص من مخاطرة له أكبر الأثر في رغبتهم في إيلاء الثقة بصرف النظر عمن سيستولي على هذه الثقة.

ثانياً: فقد أظهر علماء النفس أن الأفراد

* مستشار اقتصادي وعضو هيئة تدريس سعودي.

يختلفون بصورة كبيرة بالنسبة إلى مدى نجاحهم في التكيف، ومثل «مدى تحمل المخاطر»، يؤثر هذا الجانب من الشخصية في مقدار الوقت الذي يحتاجه الناس لبناء الثقة، فالناس الذين يتمتعون بدرجة جيدة من التكيف يشعرون بالارتياح من سلوكياتهم وينظرون إلى العالم على أنه على وجه العموم مكان لطيف. وغالباً ما تدفع بهم ثقتهم العالية بأنفسهم إلى الوثوق بالآخرين بسرعة لأنهم يعتقدون بأنه ما من سوء سيقع عليهم بسبب ذلك. وعلى نقيض ذلك، يميل الناس من ذوي التكيف الضعيف إلى توقع الكثير من التهديدات في هذا العالم، ومن هنا فهم يحملون قلقاً متزايداً في كل موقف.

ثالثاً: القوة النسبية عامل مهم من عوامل القرار المتعلق بالثقة، فلو كان مانح الثقة في مركز السلطة فعلى الأرجح أن يمنح ثقته لأنه في وضع يستطيع معه أن يوقع العقوبة على الشخص الذي يخون ثقته، أما إذا كان مانح الثقة لا يملك من السلطة إلا قليلها فعندها سيكون في مركز أضعف، ولن يشعر بالارتياح وهو يمنح ثقته لشخص معين.

رابعاً: هناك قاعدة تقول: «كلما زاد احتمال المخاطر قل احتمال منح الثقة لدى الأفراد». إننا نعاني في هذه الأيام من أزمة ثقة، ويعود ذلك جزئياً إلى أنه ما من أحد – في واقع الأمر – يشعر بالأمن الوظيفي، بينما في الجيل الذي قبلنا مباشرة كان معظم الناس يركنون إلى أنهم باقون في العمل مع مؤسسة واحدة طيلة حياتهم الوظيفية.

كلما زاد احتمال المخاطر قل احتمال منح الثقة لدى الأفراد

خامساً: إننا في أعماق أنفسنا لا نزال ننتمي إلى القبيلة، وهذا هو الدافع وراء ميل الناس إلى أن يمنحوا ثقتهم بسهولة أكبر إلى من يشابهونهم من الأفراد. وقد تتضمن أوجه التشابه قيماً عامة (مثل أخلاقيات العمل القوية).

سادساً: قبل أن يضع المرء ثقته في شخص آخر يفكر ملياً في هذا السؤال: «ما مدى احتمال أن يخدم هذا الشخص مصالحي؟»، وعندما يكون هناك اتفاق تام بين مصالح الأشخاص لا بد أن تكون الثقة نتاجاً لهذا التوازن. لكن الواقع يقول إن للناس مصالح عامة ومصالح خاصة أيضاً، والقائد الناجح هو الذي يحول عوامل النجاح الجوهرية في شركته إلى مصالح عامة.

سابعاً: إن ما جعل من «الثقة» قضية للمناقشة ليس أن الناس أشرار، بل لأنهم في الغالب مهتمون بذواتهم. إن المدير الذي يظهر اهتماماً نبيلاً، ويبين لموظفيه أنه مستعد للمخاطرة بنفسه من أجلهم، لا يولد الثقة فقط، بل وكذلك الولاء والالتزام.

ثامناً: إن النواحي المتشابهة والمصالح المتوازنة والاهتمامات النبيلة لا تعني إلا القليل إن كان طالب الثقة عديم الكفاءة. ويقيم المديرون – بصورة روتينية – المقدرة عندما يقررون منح الثقة أو تفويض الصلاحية إلى من يعمل لديهم.

تاسعاً: عند نقطة معينة في صنع القرار الخاص بالثقة يسأل مانح الثقة نفسه: «ما مدى تأكدي من الكيفية التي سيتصرف بها طالب الثقة؟»، وينظر عادة إلى طالب الثقة الذي يمكن التنبؤ بسلوكه بصورة يعول عليها على أنه أكثر جدارة بالثقة.

القائد الناجح هو الذي يحول عوامل النجاح الجوهرية في شركته إلى مصالح عامة

عاشراً: بما أن الثقة مفهوم ذو صلة بالعلاقات فإن التواصل هنا مهم للغاية. وليس من الغرابة بمكان أن التواصل الصريح والأمين يساعد على تعزيز قرار منح الثقة، وكثير من المؤسسات يتراجع نشاطها بسبب عامل التواصل هذا، حيث إن سوء التواصل يشعر الموظفين بأنهم خُدعوا، وهذا يؤدي إلى مزيد من انعدام التواصل، وفي النهاية إلى انعدام الثقة.

ختاماً أقول: ما إن يفهم المديرون هذه العوامل العشرة فبإمكانهم أن يبدأوا في تطبيق الثقة في علاقاتهم الخاصة وضمن مؤسساتهم. ■■

السلوك البشري وأثره في الصحّة والسلامة المهنيّة

بقلم: محمد ياسر منصور*
mohamed.y.mansour@gmail.com

لا تُعزى جميع حوادث العمل إلى خَلَل في المعدَّات المستعملة فَحسب، لكن غالباً ما يكون سبب
الحادث مزيجاً من خَلَل في المعدَّات أو تَلَف في المواد، أو طرق عمل خاطئة والأفراد الذين يستعملون المعدَّات، وتعد مشكلة الحوادث والحالة هذه مشكلة علاقات إنسانية.

لا يُستنتَج من هذا أنَّ أَمان الصناعة يقتصر على الأفراد، بل يجب أن يُلازِم هذا تأمين الآلات وإزالة الأخطار من جميع أجزاء العمل.

إلاَّ أنه لُوحِظَ، على الرغم من جميع الاحتياطات المتَّخذة في سبيل تأمين الصناعات والعاملين بها، أنَّه لا يزال يقع الكثير من الحوادث الأمر الذي يتطلَّب دراسة طبيعة العمل. ولا توجد بالذات وسيلة لتوفير الأمن بصفة عامة إلاَّ أن العمل المباشر من الأفراد من أَقرب الوسائل لِحَلّ مشكلة الحوادث.

تَفهُّم الأفراد

من المفروض تَفَهُّم الطبيعة البشرية في دنيا العمل، والوسيلة المؤدية لهذا الغَرَض هي فَهم الأفراد أولاً، عن طريق دراسة العوامل المكوِّنة لشخصية الفرد التي تُميِّزه عن غيره. وارتياد هذا المجال يُوضِح وجود عوامل شائعة بين المجموعة، وهذه يمكن تطويرها لصالح الأمن الصناعي.

وبصفة عامة لا يمكن إنكار حقيقة ثابتة وهي أن الفرد بصورته الحالية هو ناتج نَشأته منذ مَولده، فنحن لم نُخلَق جميعاً من عَجينة واحدة، الأمر الذي يتطلَّب تَفَهُّم ماضي كل فرد، فَمَثلاً كيف يتصرَّف عامل ما، حِيال أوامر يُصدرها المشرف عليه بكبرياء وغلظَة لتنفيذ تعليمات معيَّنة بِطَبعه سيكون تَصرُّفه مماثلاً لما اعتادَ عليه بالنسبة لأفراد آخرين أَصدروا له أوامر مُماثلة بنفس الصورة في باكورة حياته، مثل هذه الطريقة التي يتَّخذها المشرف في إصدار أوامره ربما يكون لها أثرها في فَرد بينما لا يُطيعها كثيرون، ممَّا يُوضِح ضرورة التعرُّف إلى ماضي الفَرد قبل التعامل معه، لمعرفة كيف سيتصرَّف حِيَال ما يصدر له من أوامر.

العوامل الفسيولوجية

يُعزى نجاح أي برنامج إلى حُسن تَقبُّله من الأفراد الموجَّه إليهم، وعند البدء في البرنامج الوقائي يلزم ابتداءً أن يُراعى موضوع «الفَوارق الفردية»، وهي من أَعمّ المشاكل وأهمها بالصناعة، رغم أن هذه الفوارق واضحة إلاَّ أنه تدخل ضمن إطارها صفات شائعة بين المجموعة، ثم بعد ذلك يلزم تَفَهُّم الدوافع «البواعث الحَرَكية» للأفراد، فإذا كانت هناك رغبة في الحصول على شيء فهذا دافِع، كذلك عدم الرغبة في الحصول على شيء دَافِع أيضاً، فَمَثلاً استعمال مهمّة واقية للإصبع عند استخدام المنشار أمر يدل

* كاتب وباحث سوري.

على دافع العمل بأَمان، لكن الرغبة في تجاهل استعمال مهمّة واقية، بحجّة أنها ستُسبِّب نَقصاً في الإنتاج يعد أيضاً دافعاً له ولو أنه دافع معقَّد.

فالدوافع المعقَّدة والدوافع السلبية يجب العناية بدراستها عند بَذل أي محاولة لتفهُّم العلاقات الإنسانية، ومن الأمور المهمة الواجب الالتفات إليها.. «الانفعالات»، فغالباً ما يتصرَّف الفَرد طبقاً لمستويات الانفعالية، فبينما تكون الانفعالات بَنَّاءة في بعض الحالات تكون هَدَّامة في حالات أخرى. وتؤدي الانفعالات إلى قَهر التصرفات الملائمة، إذ ربما يفعل الفرد ما يعرف أنه لا يحبّ أن يفعله أو يتصرف بعكس ما يشعر به.

وتَتلازم حالة الفرد مع انفعالاته، ومعلوم الآن في العالم الصناعي أَثر أحوال الفرد في الإنتاج، ولذا يُبذَل الكثير للتعرُّف إلى شعور الفرد نحو أشياء معيَّنة.

ولا يجب إغفال موضوع «التعليم»، فالتعليم يُصاحب الفَرد منذ مَولده، وفي كل ما سَبَق بَيانه يؤدي التعليم دوراً مهماً، إذ يتعذَّر تَفهُّم الدوافع والأحوال والانفعالات التي يمر بها الفرد أو حتى الفوارق الفردية من دون الرجوع إلى وسائل «التعليم» التي تَلقَّاها الفرد منذ نشأته، وكلها تؤدي دوراً كبيراً في موضوع الصحة والسلامة المهنية.

الفَوارق الفَردية

تعد الفَوارق الفردية من أعقد المشاكل في الصناعة، وأحد الأمور المهمة الواجب رعايتها هو تقدير هذه الخلافات بين الأفراد عن طريق الاختبارات النفسية، فالمفروض أن البَشَر مختلفون تماماً، ولا يوجد اثنان متماثلان تماماً.

ويُعزى الاختلاف في الإنتاج بين عاملين، إلى الفَوارق في اللياقة البدنية، أو المهارة أو الذكاء، إلى خلاف ذلك، ويجب أن يُراعى في طرق التعليم ووسائل التدريب الفوارق الجسمانية، والقُدرات العقلية للأفراد. ومن الدلالات الواضحة على تَجاهل هذا الموضوع تصميم الآلات، فقد كانت تُصمَّم بحيث لا يمكن تشغيلها إلاَّ بواسطة أفراد ذَوي قُدرات فوق المستوى العادي ممَّا يحتم التعرُّف إلى الفَوارق الفردية عند بدء أي عملية.

أثر الوراثة في شخصية الفرد

دائماً ما يظهر أثر الفَوارق بين الأفراد، خصوصاً الفَوارق البَدنية المظهرية الملموسة، فنجد أحد الأفراد طويلاً وآخر قصيراً أو نَحيفاً أو سَميناً أو أَصلع أو ذا شَعر أو عَينين أو جلد وجهه بألوان متعددة إلى آخر الفَوارق.

> **غالباً ما يتصرَّف الفَرد طبقاً لمستويات الانفعالية.. فبينما تكون الانفعالات بَنَّاءة في بعض الحالات تكون هَدَّامة في حالات أخرى**

وتتحدَّد الفَوارق الفردية في الأفراد حتى قبل مَولدهم، فالوراثة تُحدِّد ما إذا كان الفرد سيكون طويلاً أو قصيراً أو سميناً أو رفيعاً، أشقر أم أسمر، وكذلك بالنسبة لدرجات الذكاء، فالوراثة كبيرة الأَثر فيها وينطبق هذا أيضاً على سرعة التعرُّف وقُدرة الحَواس على التمييز، وكلها كبيرة الأَثر في توفير الأحوال المحيطية المَأمونة بالعمل. وتُحدِّد العوامل الوراثية القُدرات والكفاءات الأساسية للفرد والتي يلزم أن تستغلَّها الصناعة وتُطبِّقها لصالح الإنتاج، خصوصاً المَواهب التي يمكن استغلالها في نواحٍ مُعيَّنة.

أثر البيئة في شخصية الفرد

يظهر كل مولود على سطح الأرض وله شخصية محدَّدة، وتعد هذه الشخصية معقَّدة إذا كانت تُبعده عن الآخرين، وشخصية الفرد ناتج سنوات طويلة من

التعليم والوسط العائلي الذي نَشأَ فيه والأصدقاء والمدرِّسين والمجتمع الذي نَشأَ فيه واختلطَ به بصفة عامة.

وكثيراً ما نجد أفراداً تعوزهم القُدرة على اكتساب الصداقة مع من يُحيط بهم، الأمر الذي يجعلنا نتساءل «لماذا»، ويُعزى السَّبب في مثل هذه الحالة إلى أن الفَرد لم يسبق له أن مَرَّت به تجربة اكتساب الصداقة أو أن الفرد كان في طفولته خائباً. وعندما يتدَّر إنسان مع آخر يقول له: «يا سَمين» مَثَلاً، فقد يتقبَّلها الآخر بمَرح نتيجة خبرته الطويلة من احتكاكه بالناس، وقُدراته الشخصية على قُبول التحدِّي بروح مَرحة. وقُدرة الفرد على إنجاز عمل ما تتحدَّد منذ مَولده، إلاَّ أن تنمية هذه القُدرة واستخدامها تختلف حسب الفرد، ومن الأقوال المأثورة إنه لا يوجد فرد يمكنه استعمال جميع قُدراته إلى آخر طاقاتها، فهناك أفراد أُتيحت لهم فُرَص التعليم أو التدريب الصناعي أو الثقافة، وانتهزوا هذه الفُرَص، ممَّا أدَّى إلى تنمية قُدراتهم إلى حدود تنقص أو تزيد حسب الأحوال، ويتباين مع هؤلاء أفراد يتمتَّعون بنفس القُدرات، وليست لهم الفُرَص المتاحة نفسها أو لوجود نزاعات عائلية أو خلافات مع الأصدقاء، أو بِوَازع نفسي، فإنهم يتحاشون التعليم على قَدر استطاعتهم. وممَّا يؤثِّر في المهارات الطبيعية العادات التقليدية وتوطيد العلاقات مع الآخرين، وهذه مَرجعها إلى تفاعل الفَرد مع البيئة، فبعض الأفراد اكتسبوا عادات تُيَسِّر لهم أن يكونوا أعضاء نافعين ومتقبّلين في المجتمع بينما أفراد آخرون يتجنَّبهم الناس لصعوبة التعامل معهم. ونَخلص من هذا إلى أن الميِّزات والبيئة يؤديان دَوراً كبيراً في تكوين شخصية الفَرد.

الحوادث نتيجة الخصائص الطبيعية للأفراد

أحد التغيّرات التي وُضعت لموضوع «الاستعداد للحوادث» أنه نتيجة الخصائص الطبيعية للأفراد ثَبَتَ بعد سلسلة طويلة من التجارب أن معظم الحوادث تُعزى إلى نقص في قُدرات الأفراد على الإدراك وسرعة التصرُّف، وكنتيجة للتجارب تَبيَّن أن الفرد الذي يرى بأسرع ممَّا يتحرَّك، هو الشخص الذي يَندر إصابته، أمَّا الفَرد الذي يتصرَّف بأسرع ممَّا يرى، فهو الشخص الذي يُصاب بكثير من الحوادث.

وتَجارب العضلات وتمييز الحواس الخمس يتأثَّران بالميراث أكثر من البيئة، وأثبتت الدراسات أن التدريب ضئيل الأثَر في تنمية هذه القُدرات، وهو دليل إيجابي على وُجود أفراد مستعدُّين للحوادث، وعلى أساس هذا الشرح يُراعى عند اختيار الأفراد لِعَمل ما التعرُّف إلى قُدراتهم مع وَضعهم في العمل الذي يخلو من الخَطَر في حالة إذا كانوا من الأفراد المعتادي تَكرار الحوادث.

الحوادث نتيجة شخصية الفرد

وتفسير آخر لموضوع «الاستعداد للحوادث» عُمِلَ بعد دراسة أفراد مُصابين بكسور وآخرين مصابين بأمراض في القلب، ثَبَتَ أن الأفراد المصابين بكسور سَبَق إصابتهم بحوادث كثيرة، وبعد التحليل والدراسة تَبيَّن أن هناك خصائص طبيعية متماثلة بالنسبة للأفراد المعتادين على على هذا النوع من الإصابات وأهم هذه الخصائص:

. الاندفاع، وهو المَيل إلى أداء عمل في حالة انفعالية.

. المَيل إلى التهرُّب من السُّلطة.

والعامل (أ) يُعزى إلى عوامل شخصية، تتطلَّب دراسة عوامل شخصية الفَرد وكذلك قُدراته البَدنية.

ومن ضمن الأسباب التي يُعزى إليها «الاستعداد للحوادث» بعض الخصائص الطبيعية، مثل حجم الفرد، وقُدرة الإبصار، وقُدرة السَّمع، والاتزان، الأمر الذي يتطلَّب دراسة كاملة.

وقد نَتجَ عن الفَوارق الفردية موضوع «الهندسة البشرية»، التي يُراعى فيها تصميم المعدَّات، بما يتَّفق والطاقة البشرية مع حماية الأفراد بأن يُوضع حواجز لضمان سلامة التشغيل كل الوقت، وكل ذلك محاولات مَبذولة لتقليل أَثَر الفَوارق الفردية في معدَّلات الحوادث. ■■

العوامل الوراثية تُحدِّد القُدرات والكفاءات الأساسية للفرد التي يلزم أن تستغلَّها الصناعة وتُطبِّقها لصالح الإنتاج

أسر البعاد

أهمسُك؟ أم هو العسلُ المصفّى؟
أم الشوقُ المؤجّجُ ليس يَخفى
إذا يَسري ففي النبرات دفقٌ
من النجوى تفوقُ الشهدَ وصفا
يُحاصرُني البعادُ إذا تمادى
على نفسي وعندي النفسُ لَهْفَى
ويوحي لي وعُودا بالتلاقي
وينشُرُ في المدى حُسْنا وظُرْفا
وكم عانقتُ في خطرات فكري
أمانيَ لم تجدْ للصدقِ عُرفا
فأطوي آهتي في النفسِ حرّى
كنارٍ حاصرَتْني كيف تُطفا؟
أعاني في بعادِك ما أعاني
من البلوى إذا ما القلبُ رفّا
تمنيتُ اللجوءَ إليك يوما
فصار هواك للأحلام مَنْفى
ولي في الحبِّ شأنٌ أيُّ شأنٍ
كما طيرٌ إذا يشتاقُ إلْفا
شربتُ ثُمالةَ الأحزانِ تَتْرَى
وكأسي في الهوى ما زال صِرْفا
وأورثني البعادُ شديدَ حزني
معنّى في هواك فكيف أُشفى
دعيني وارحلي فالحزنُ باقٍ
فمِنْ قيدِ الصدودِ مللتُ رَسْفا
ويبقى صوتُك الشهديُّ وهْماً
وإني في الخيالِ أراكِ أوفى

شعر: خليل إبراهيم الفزيع*
khlilf@hotmail.com

* كاتب وشاعر سعودي.. رئيس نادي المنطقة الشرقية الأدبي.

بقلم: د. عدنان حمد محرز*
a_mehrez1@yahoo.co.uk

مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي

هديةُ شاعرٍ لأمة

* كاتب وصحافي سوري، ومدير تحرير مجلة الحصاد.

السيد عبدالعزيز سعود البابطين، وصاحب السمو الملكي المغفور له الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

مبنى أنيق على شكل كتاب مفتوح يزخر من الداخل بأبدع الكنوز الشعرية والمعرفية ويشكل من الخارج تحفة معمارية بديعة، تلك هي مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، أول مكتبة في العالم تختص بالشعر العربي لتوفر زاداً روحياً شافياً لكل مثقف يستلهم من ديوان العرب أفكاره ورؤاه، وأحلامه ولغته.

يعود الفضل في إنشاء هذه المكتبة إلى صاحبها ومؤسسها عبدالعزيز سعود البابطين، وذلك من منطلق رغبته في إثراء الثقافة والمحافظة على الشعر العربي، حيث استشعر أهمية الحفاظ على هذا الإرث من الضياع في مهب رياح الحداثة، التي قد تأتي على أصيل الإبداع الشعري، فجاءت المكتبة وعاءً حانياً يصون القصيدة وقائلها وراويها ومدونها ودارسها والباحث فيها، ولم يقتصر هذا الاهتمام على قديم الشعر، وإنما اهتم أيضاً بجديده، يقيناً بأهمية أن تتواصل الأجيال عبر الجسر الأزلي للإبداع، الذي تشكلت فوقه حضارتنا ونهضتُ.

قبل ما يزيد على عقد من الزمن لم يكن هذا الصرح إلا حلماً يراود الشاعر، الذي كان يطمح إلى إنشاء مركز للتفاعل بين مكونات الثقافة الشعرية ليكون «عكاظاً» آخر دائماً لا مؤقتاً، بحيث تظل شعلة الإبداع مضيئة ومتنامية، فجاءت هذه المكتبة لتلبي طموحه الكبير في أن تكون وعاء يستوعب جل الإبداع الشعري العربي المطبوع والمخطوط، ووقايته والحفاظ عليه، وإتاحته للشعراء والباحثين والمثقفين، ولتكون مرجعية للشعر العربي على مستوى الوطن العربي، بحيث يرجع إليها في كل أموره وتجلياته. وإن رحلة تحقيق هذا الحلم انطلقت بمباركة سامية ورعاية كريمة من سمو أمير البلاد - النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء آنذاك - الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح حين وضع وزير الإعلام في ذلك الوقت الشيخ أحمد الفهد حجر أساسها في ٢٢ شوال سنة١٤٢٢ هـ، الموافق ٦ يناير ٢٠٠٢م، لتكون أول مكتبة متخصصة في مجال الشعر العربي أقامها الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين على نفقته الخاصة، وقدمها هدية خالصة إلى وطنه الكويت وشعبه، وإلى أبناء الأمة العربية، وإلى كل ناطق بالضاد في شتى أنحاء العالم، خدمة للثقافة والشعر العربي.

هدية الشاعر عبد العزيز البابطين إلى الكويت وأبناء الأمة العربية

مبنى ومعنى ومحتوى

في قلب مدينة الكويت العاصمة وليس بعيدًا عن مسجد الدولة الكبير، ومبنى وزارة الخارجية، ومبنى وزارة التخطيط، ينتصب مبنى المكتبة كصرح شامخ من صروح الحضارة التي تميز الكويت ويمتد على مساحة اثني عشر ألف متر مربع تقريباً في إطلالة شاعرية على الخليج العربي، الذي يحدها من الشمال عاكساً لون مياهه الصافية على جدرانها ليعانق زرقة السماء على اتساع أفق الفضاء الواسع، مغنياً الوظيفة الشعرية التي تؤديها المكتبة، مضفياً على المكان جوًّا مفعمًا بالهدوء والتأمل، ومن الجنوب تطل المكتبة على شارع الشيخ عبد الله الأحمد، ومن الشرق شارع «أبو عبيدة»، الذي يفصلها عن القرية التراثية وقد استغرق إنشاء المكتبة أربع سنوات، حيث تم وضع حجر الأساس في العام ٢٠٠٢م وافتتحت

في العام ٢٠٠٦م.
وقد جاء شعار المكتبة من روح المبنى، فهو يتماشى مع التصميم الخارجي للمبنى، ويدل دلالة موضوعية على الجهة التي يرمز إليها: «كتاب مفتوح محراب للمعرفة».

أقسام المكتبة

لم نجد صعوبة في الوصول إلى المكتبة، ووصلنا في الموعد المحدد للقاء المدير العام للمكتبة سعاد عبدالله العتيقي، وحدثتنا بالتفصيل عن كل ما يتعلق بالمكتبة منذ إنشائها وحتى اليوم، وقالت إن مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي تعد إضافة حقيقية في مبناها ومعناها ومحتواها للكيانات الثقافية الكبرى في عالمنا العربي.
وتحدثت عن أقسام المكتبة، مشيرة الى أنها تتوزع بين الدور الأرضي، والدور الأول، والدور الثاني، والدور الثالث، ومبنى المسرح، وبينت أن الدور الأرضي ذو طابع عملي وحيوي من حيث التصميم بما يتيح المجال للحركة والقراءة، حيث يضم القاعة الرئيسة، التي تحتوي على فهارس المكتبة الإلكترونية المتاحة على موقع المكتبة الإلكتروني على شبكة الإنترنت الذي يساعد الزائرين والمستفيدين من المكتبة في البحث عن أي كتاب أو مرجع، كما يضم ركن الصحف والمجلات، ويضم عدداً كبيراً من الإصدارات العربية اليومية والأسبوعية، وركناً آخر لإصدارات المكتبة منذ افتتاحها، التي يبلغ عددها ٢٩ عنوان كتاب، وركناً للكتب والرسائل الجامعية عن الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين، وركناً لإصدارات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وقاعة الإنترنت.
ويضم الدور الأرضي قاعة خاصة لخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة، تضم مجموعة من البرامج المقدمة للمكفوفين، مثل نظام أبصار والذي يمكّن الكفيف بمفرده من التعامل مع جميع تطبيقات الحاسب الآلي والإنترنت، بالإضافة إلى مجموعات من

الأستاذة سعاد عبدالله العتيقي المدير العام للمكتبة

الكتب طبعت على نفقة الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين بطريقة برايل، مثل كتاب علم العروض، وكتاب مختارات من الشعر العربي الحديث، وغيرها من الإصدارات المطبوعة في جمعية المكفوفين الكويتية، بالإضافة إلى ذلك تضم القاعة مجموعة من البرمجيات للصم والبكم، والأطفال الذين يعانون من مرض التوحد، وصعوبات التعلم، تمكنهم كل هذه البرامج من التعامل مع تطبيقات الحاسب الآلي والإنترنت وتساعدهم في التعليم خاصة تعلم اللغة العربية، كما تضم القاعة مجموعة من الأشعار والدواوين المسجلة على شرائط

البابطين: الثقافة بما تكتنزه من علوم معرفية مطلب جوهري في حياتنا.. والمكتبة تهدف إلى تربية جيل قارئ للشعر

كاسيت، والأمسيات الشعرية المسجلة على شرائط الفيديو، علماً بأن المكتبة قد حولت جميع شرائط الكاسيت والفيديو إلى الشكل الرقمي، وأصبحت متاحة على أجهزة الحاسب الآلي تيسيراً للمستفيدين من المكتبة في الاستفادة مما تحتويه هذه المجموعات.
بالإضافة إلى ذلك، يضم الطابق الأرضي ديوانية المكتبة، ومركز التصوير، وقاعات تدريب الحاسب الآلي، والمصلى، والمقهى.

الدور الأول

وبالنسبة للدور الأول أوضحت العتيقي أنه يضم مجموعات المكتبة المتخصصة في الشعر العربي وجميع الموضوعات المرتبطة بالشعر العربي، مثل علوم اللغة العربية وغيرها من الموضوعات، حيث يضم أكثر من مئة ألف كتاب عن الشعر العربي والأعمال الشعرية الكاملة لآلاف الشعراء عبر كل العصور، بدءاً من العصر الجاهلي، مروراً بصدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي، والشعر العربي في الأندلس، والشعر العربي حتى نهاية الدولة العثمانية مرتباً بشكل زمني، وصولاً إلى العصر الحديث، حيث يقسم في هذا العصر حسب الأقطار العربية، كما يضم هذا الطابق الشعر العربي في المهجر والأعمال الشعرية الخاصة بشعراء المهجر، بالإضافة إلى قسم يضم أكثر من ٤٠٠٠ رسالة ماجستير ودكتوراه تناولت الشعر العربي ونقده.

الدور الثاني

أما الدور الثاني من المكتبة فبينت أنه تم تخصيصه بالكامل لمكتبة عبدالكريم سعود البابطين، التي تضم ما يقارب من ١٠٠ ألف كتاب ودوريات جمعها على مدار ٤٠ عاماً، وقام بإهدائها إلى المكتبة، وزين هذا الدور بلوحة مكتوب عليها «أهدى السيد عبدالكريم البابطين مكتبته الخاصة التي تحوي أكثر من ١٠٠ ألف كتاب، أمضى أكثر من ٤٠ عاماً في جمعها»، وتضم مجموعات

نادرة من الكتب بعضها مكتوب بالطباعة الحجرية في إيطاليا وباريس ولندن منذ القرن السادس عشر الميلادي، كما تضم مجموعات نادرة من دواوين الشعر وأدب الرحلات والدراسات اللغوية والأدبية، وفيها مئات الدوريات التي كانت تصدر في القرنين التاسع عشر والعشرين، وبعضها توقف عن الصدور ولم يعد موجوداً الآن، وتضم المكتبة قسماً خاصاً بالدوريات، وقسماً آخر للمخطوطات النادرة، كما تضم طبعات قديمة للكتب، كما يحتوي هذا الدور على ركن لمجموعات مكتبة مدرسة النجاة الأهلية بمدينة الزبير، وما احتوته هذه المكتبة من نوادر الكتب العربية في جميع الموضوعات.

ديوانية المكتبة

المسرح

الإدارة والمسرح

وكشفت أنه تم تخصيص الدور الثالث بأكمله لمكاتب الإدارة والموظفين العاملين في المكتبة، والقائمين على توفير كل ما تتطلبه من مستلزمات وخدمات فنية ومهنية وإدارية وتقنية.

وبينت العتيقي أن مسرح المكتبة يتسع لنحو ٤٠٠ شخص، وهو مخصص لإقامة الندوات والمؤتمرات الثقافية والأمسيات الشعرية، وله مدخل منفصل بحيث لا تؤدي إقامة أي احتفالات إلى حدوث ضجيج من شأنه أن يزعج رواد المكتبة، وقد تم تجهيزه بأحدث المواصفات التقنية العالمية، وزود بغرفة خاصة للترجمة، وقاعة لاستقبال الضيوف.

وقد شهد مسرح المكتبة العديد من الأمسيات الشعرية والثقافية، والاحتفالات المتعددة، بالإضافة إلى استضافته للاحتفالات بالعيد الوطني للعديد من الدول، حيث أقامت السفارات الموجودة في دولة الكويت احتفالاتها الوطنية على مسرح المكتبة، ومن أهم الأمسيات التي شهدها المسرح:

. محاضرة فخامة الرئيس محمد خاتمي، رئيس الجمهورية الإيرانية السابق، وألقى محاضرة بعنوان «تحديات العالم الإسلامي وسبل النهوض» بتاريخ ٢٩ مايو ٢٠٠٦م.

. الأمسية الثقافية لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، مؤسسة الفكر العربي، بتاريخ ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م.

. مهرجان ربيع الشعر العربي، الذي تقيمه مكتبة البابطين بالتعاون مع مؤسسة البابطين منذ العام ٢٠٠٨م إلى الآن، حيث أقيمت ٦ مهرجانات شارك فيها العديد من الشعراء العرب من مختلف الجنسيات العربية.

. ندوة دور الإعلام في حوار العرب والغرب، أقيمت على مسرح المكتبة يومي ٣٠ و٣١ مارس ٢٠٠٨م بمشاركة إعلاميين عرب وأجانب.

. ندوات أقامتها وزارة الأوقاف الكويتية عن حوار الحضارات.

. دورة معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، التي أقيمت على مسرح المكتبة خلال الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨م.

. احتفالية الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، التي أقيمت على مسرح المكتبة بتاريخ ٣ مايو ٢٠٠٩م، وبحضور وزير

الطابق الثاني من المكتبة

السيد عبدالعزيز سعود البابطين ورئيس مجلس الشورى السعودي الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والسفير السعودي لدى الكويت الدكتور عبدالعزيز بن ابراهيم الفايز

الإعلام آنذاك الشيخ صباح الخالد الحمد الصباح.

. ندوة عن الشاعر العالمي «عمر الخيام» أقيمت على مسرح المكتبة بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٠٩م.

. المؤتمر الوطني السابع والثامن والتاسع والعاشر «من الكويت نبدأ وإلى الكويت ننتهي» أقيم على مسرح المكتبة في السنوات ٢٠١٠ و٢٠١١ و٢٠١٢ و٢٠١٣م.

. حفل غنائي روماني بعنوان «سحر الموسيقى» أقامته السفارة الرومانية في الكويت بتاريخ ٢١ مايو ٢٠١٢م قدمته فرقة The Comic Opera الرومانية الحائزة على ١٥ جائزة دولية و ٢١ جائزة رومانية.

. محاضرة «جريدة الدستور البصرية والشؤون السعودية والكويتية فيها عام ١٩١٢» للباحث والإعلامي السعودي الدكتور عبدالرحمن بن ناصر الشبيلي بتاريخ ٩ أبريل ٢٠١٣م.

معرض للوثائق

وأوضحت العتيقي أنه بالإضافة إلى العديد والعديد من الأمسيات والندوات والأنشطة الثقافية والفنية التي تمت إقامتها منذ افتتاح المكتبة إلى الآن، أقيم أخيرا «معرض للوثائق» ضم مجموعة من الوثائق لأسر سعودية وكويتية هي أسرة الثاقب، وأسرة العبدالجليل، وأسرة العتيقي، وأسرة البابطين، مركز البحوث والدراسات الكويتية، حيث احتوى المعرض على وثائق نادرة ومهمة تتعلق بأسرة آل سعود، وأسرة الصباح، وأسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بالإضافة إلى عرض مجموعة وثائق مهمة ونادرة من وثائق مدرسة النجاة الأهلية في مدينة الزبير.

وقد حضر هذا المعرض مجموعة من كبار الشخصيات السياسية والثقافية في المملكة العربية السعودية ودولة الكويت» ولفيف من كبار الشخصيات الثقافية من السعودية والكويت، كما شهد المعرض إقبالاً جماهيرياً كبيراً، واطلع أيضاً على مقتنيات المعرض إمام وخطيب الحرم المكي الدكتور الشيخ صالح بن عبد الله بن محمد بن حميد.

وقد صاحب معرض الوثائق الذي أقامته المكتبة محاضرة «جريدة الدستور البصرية والشؤون السعودية والكويتية فيها» للباحث والإعلامي السعودي الدكتور عبدالرحمن بن ناصر الشبيلي، وقد ذكر الدكتور عبدالرحمن الشبيلي أن محاضرته ستدور

العتيقي: المكتبة حرصت على تحقيق التوافق بين الأصالة بأمسها البهي والعصر بتقنياته المتسارعة

في أربعة محاور مترابطة هي الصحافة المبكرة في ولاية البصرة والصحف التي حملت اسم «الدستور» والنشاط الصحافي لأسرتي «الزهير والطباطبائي» وجريدة «الدستور» البصرية ومحتواها في الشؤون السعودية والكويتية.

أهداف المكتبة

وعن الهدف الرئيس للمكتبة بينت العتيقي أنها تهدف إلى تجميع شتات التراث الشعري العربي بكل أنواعه وأشكاله، وصونه وتوثيقه في مكان ذي صبغة علمية، إضافة إلى الأهداف الأخرى المتمثلة في:

- التعامل الأمثل مع المادة الشعرية المحفوظة، وتجهيزها بالسبل كافة، التي تيسر استرجاع المعلومات بسرعة وسهولة لتوفير وقت الباحث وجهده.
- الرعاية الكاملة للشعر والشعراء، والعمل على تفعيل دور الشعر العربي في المناسبات.
- توطيد علاقات التعاون المتبادل بين المكتبة وغيرها من مواطن الإشعاع الثقافي ومراكز البحث العلمي والأكاديمي، بما يخدم مسيرة الشعر العربي بصفة خاصة، والثقافة العربية بصفة عامة.
- تنمية الحس الشعري لدى الأجيال الجديدة، واستمرار التواصل مع الأصيل من الشعر.
- تفعيل دور اللغة العربية، والحفاظ على

العمل على جعل دولة الكويت مركزاً ثقافياً يخدم طلاب المعرفة من كل مكان.. أهم هدف للمكتبة

الطابق الأول من المكتبة

خصائصها التي جاءت عليها في أمهات الكتب، كمرجع أساسي للدارسين والهواة على حد سواء. وأخيراً .. أهم هدف للمكتبة هو: «العمل على جعل دولة الكويت مركزاً ثقافياً يخدم طلاب المعرفة من كل مكان».

إصدارات مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي

- وحول أهم إصدارات مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي أضافت أنها تضم:
- نوادر النوادر من الكتب (العدد الأول) الصادر في أبريل ٢٠٠٦م إلى العدد (الحادي عشر) الصادر في فبراير ٢٠١٣م.
- كتاب «أكاديمية المأمون في خوارزم»، إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠٠٧م.
- كتاب «قائمة إصدارات الشعر العربي السوري في مكتبة البابطين المركزية»، إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠٠٧م.
- كتاب «قائمة إصدارات الشعر العربي الفلسطيني في مكتبة البابطين المركزية»، إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠٠٨م.
- كتاب «تراجم شعراء قطر وقائمة الإصدارات الأدبية القطرية في مكتبة البابطين المركزية»، إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠٠٩م.
- بروشور تعريفي عن المكتبة، وبروشور تعريفي بخدمات المكتبة.
- مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي «كتيب تعريفي عن المكتبة باللغة العربية، واللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية»، إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠٠٧م.
- مجلة «المكتبة»، من العدد رقم ١، يونيو ٢٠٠٧م إلى العدد رقم (٥) ديسمبر ٢٠١١م.
- كتاب «الاستدراك على أبي علي في الحجة»، تحقيق الدكتور محمد أحمد

كتاب «الاستدراك على أبي علي في الحجة»

فهارس المكتبة

الدالي سنة ٢٠٠٧م.

- دليل الوثائق البريطانية لدول الخليج العربي في مكتبة عبدالكريم سعود البابطين، إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠١٣م.
- وثائق مكتبة مدرسة النجاة الأهلية بمدينة الزبير في مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي إعداد مكتبة البابطين في العام ٢٠١٣م.
- جريدة الدستور البصرية والشؤون السعودية والكويتية فيها، إعداد الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي في العام ٢٠١٣م.

الموقع الإلكتروني للمكتبة

في الكلمة الاستهلالية التي افتتح بها رئيس مجلس إدارة مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين الموقع الإلكتروني للمكتبة، الذي صمم بطريقة بديعة، قال:

«في البدء أحمد الله عز وجل الذي هيأ لي سبل إحقاق كلمته التي جاءت في محكم تنزيله «اقرأ»، وأصلي وأسلم على نبيه محمد الذي تلقى الكلمة، فأحسن تكريسها علماً وأدباً، فكانت فاتحة العبور إلى حضارة شكلت منهلاً إنسانياً لم ينضب

> **أول مكتبة عربية تتيح تطبيقات إلكترونية عن المكتبة على الهواتف الذكية**

معينه على مر العصور، ويسعدني عبر هذه الصفحات الإلكترونية أن أهدي المهتمين بالشعر العربي وهواته ودارسيه وقائليه مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي، لعلهم يجدون في ثناياها ضالتهم المنشودة التي تفيدهم في بحوثهم، أو تلبي ذائقة التواقين إلى الإبحار في عالم القصيد: قديمه وحديثه، إلى جانب ما تضم المكتبة من خيارات ثقافية يجدها المتصفح زاداً يعينه على ري ظمئه المعرفي في شتى مجالات الإبداع، فلئن كان «ديوان العرب» محورها، فلأن اللغة العربية كانت هاجسنا ووجهتنا التي غرسنا لأجلها بذرة هذه المكتبة في أرض الكويت، إلا أن حلمنا هو أن تمتد الأفنان محملة بجني الثمار إلى فضاءات الناطقين بالضاد أينما وجدوا، لذلك كان هذا الموقع الإلكتروني جسراً من المعرفة نتصافح فوقه بالكلمة السامية والشاعرة في انسجام حميم بين الأمس ببهائه، والحاضر بتقنياته، آملين أن نكون قد حققنا بعض ما يجب علينا أداؤه تجاه لغتنا».

خدمات الموقع

يقدم الموقع الإلكتروني للمكتبة عدة خدمات هي:

- الفهرس الإلكتروني.
- معلومات عن المكتبة.
- أخبار المكتبة.
- إصدارات المكتبة.
- خدمات الشبكات الاجتماعية «فيس بوك» و«توتير».
- قناة المكتبة على الـ«يوتيوب».
- التسجيل الإلكتروني لدورات المكتبة.
- مجموعة من المواقع الشعرية ومواقع المكتبات المحلية والعربية والعالمية والتي يوجد ارتباط إلكتروني بينها وبين المكتبة.

ويحتوي موقع المكتبة الجديد على العديد من التحديثات والتطويرات التي تتناسب مع الطابع العصري وعلى خدمات المكتبة الإلكترونية. بالإضافة إلى التصميم الذي راعى الجانب الجمالي الذي تهتم به المكتبة، ويبدو جلياً من خلال ترابط الجمال والإبداع العمراني في أركان المكتبة، لقد تم تصميم الموقع الإلكتروني بسلاسة بحيث يمكن للمستخدم العادي أن يستخدمه بسهولة، فضلاً عن تناسبه مع جميع برامج التصفح العالمية وذلك لمراعاته المقاييس العالمية.

ويحتوي الموقع على الفهرس الإلكتروني للمكتبة الذي يمكن الزائر من البحث عن جميع أوعية المعلومات الموجودة في المكتبة، وقد زود بوسائط فيديو للشرح عن آلية البحث عن كتاب من خلال الفهرس العام الإلكتروني للمكتبة، وتتوافر بالموقع خدمات إلكترونية جديدة، مثل خدمة التسجيل بخدمة المكتبة للهاتف النقال، حيث يمكن للمستخدم بمجرد الاشتراك بهذه الخدمة أن يستقبل عبر هاتفه النقال

آخر المستجدات والفعاليات في المكتبة، كما تتوافر خدمة القائمة البريدية، حيث تمكن من يقوم بالتسجيل بها بتسلم النشرات البريدية التي تقوم بنشرها المكتبة عبر البريد الإلكتروني، ومن أهم الخدمات التي تذكر إمكانية التسجيل الإلكتروني لدورات الكمبيوتر التي توفرها المكتبة.

وتتوافر آخر إصدارات المكتبة على الموقع بالإضافة إلى تخصيص قسم خاص للدواوين الشعرية للشاعر عبدالعزيز سعود البابطين تمكن الزائر من الاستماع إلى القصيدة دون الحاجة إلى برامج تشغيلية، ويحتوي على قسم يدعى «كتاب الأسبوع»، حيث يقوم باستعراض كتاب كل أسبوع، ومن باب الاهتمام في المجال الشعري تم تخصيص قسم شاعر الشهر الذي يتناول سيرة شاعر وفي كل شهر شاعر مختلف.

ومن الإضافات الجديدة قسم الأسئلة المتكررة الذي يتيح للزوار معرفة أكثر الأسئلة شيوعاً والإجابة عنها حول المكتبة، وعلى مستوى الأخبار فقد تم تشغيل خدمة RSS، حيث تتيح لمن يقوم بالتسجيل بها الحصول على آخر أخبار المكتبة فور كتابتها، كما أن الأخبار يمكن مشاركتها عبر شبكات التواصل الاجتماعية مع إمكانية طباعة الخبر بالصيغة المناسبة، أما حول الشبكات الاجتماعية فالمكتبة قامت بعمل صفحة على الـ«فيس بوك» وحساب على «تويتر» (babtainlibrary@) بالإضافة إلى فتح قناة على الـ «يوتيوب» لنشر الفيديوات الخاصة في المكتبة من خلالها، وحساب المكتبة على الـ «إنستغرام» (babtainlibrary)، وعنوان الموقع هو (www.albabtainlibrary.org.kw).

ومن الأشياء التي كان للمكتبة السبق فيها، وتعد أول مكتبة عربية تقوم بذلك، هو إتاحة تطبيقات إلكترونية عن المكتبة على الهواتف الذكية، حيث قامت المكتبة بإطلاق تطبيق فريد للهواتف الذكية يعد من أوائل التطبيقات الخاصة بالمكتبات على المستوى المحلي والعربي لتساعد الزوار على الوصول بشكل أسرع وأسهل لخدماتها، وذلك عبر الأجهزة الذكية، فمن خلال التطبيق الذي أطلقته مكتبة البابطين لمنتجات Apple كهاتف IPHONE وجهاز IPAD وكذلك تطبيق للأجهزة التي تعمل بنظام ANDROID كأجهزة Samsung Galaxy وغيرها مما يتيح للمستخدم معرفة معلومات أولية عن مكتبة البابطين وكذلك البحث من خلال فهرس المكتبة الإلكتروني عن كتاب متوافر في المكتبة عبر عدة خيارات كالبحث من خلال عنوان الكتاب، اسم المؤلف، موضوع الكتاب، سلاسل الكتب.

ويتوافر تطبيق المكتبة لأجهزة APPLE في متجر التطبيقات APPLE STORE باسم Albabtain بينما يتوافر للأجهزة التي تعمل بنظام ANDROID في المتجر ANDROID MARKET باسم Albabtain Library.

منظر عام للمكتبة

مسرح المكتبة يتسع لـ ٤٠٠ شخص ومخصص لإقامة الندوات والمؤتمرات الثقافية والأمسيات الشعرية

مشروع ثقافي

وفي تصريح خاص أوضح رئيس مجلس إدارة مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي عبدالعزيز سعود البابطين أن قيمة المكتبة بما تحويه لا تقدر بثمن، وأنا أطالب جميع رجال الأعمال بدعم العمل الثقافي، وبغير هذا الدعم لن تقوم لنا قائمة، وعلى كل مقتدر أن يؤدي رسالته تجاه وطنه وعروبته ودينه وثقافته.

وأكد أن نهضة الأمم تعتمد اعتماداً أساسياً على الاهتمام بالثقافة، وقال: إن الثقافة بما تكتنزه من علوم معرفية هي مطلب جوهري في حياتنا إذا أردنا إقامة مشروع ثقافي تنموي لأمتنا، وللأسف نحن كعرب ساهمنا فيما وصلنا إليه من تخلف من خلال ترك أهم مقومات الحضارة وهو الشعر العربي، وكلنا نعرف قيمته للحضارة العربية والإسلامية، فالأمة التي لا تقرأ لا تنهض، وكانت أول آية في القرآن الكريم تقول «اقرأ»، لكننا ابتعدنا عن القراءة

الطابق الأول من المكتبة

فبعدنا عن الحضارة، ولذلك حين رأيت رياح التغيير تعصف بلغتنا، وتكاد تفتت أبرز روافدها وهو الشعر، آليت على نفسي أن أقدم هديتي الثانية إلى المثقف العربي بعد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، فولدت هذه المكتبة، وكلي أمل أن تكون مرجعاً لكل محبي الشعر، يجدون في أجوائها المشبعة بعبق الشعر ما يشجعهم على أن يكونوا روافد جديدة لهذا النبع الذي تفجر في صحراء العرب منذ أكثر من ١٥٠٠ عام ولا يزال يتدفق بكل جلال الماضي وعنفوان الحاضر وآمال المستقبل.

تربية جيل قارئ للشعر

وأعرب البابطين عن أمله في أن تنجح المكتبة في تعليم أطفالنا كيف يقرؤون الكتاب، وقال: «إن المكتبة تهدف إلى تربية جيل قارئ للشعر العربي، لأن الجيل الماضي ابتعد للأسف الشديد عن الشعر والقراءة عموماً، الأمر الذي تسبب في تدهور الحركة الثقافية العربية وعدم مشاركتها الفعالة في بناء نهضة حضارية للأمة، وأعتقد أن الشعر ديوان العرب، يستحق منا جميعا وقفة إجلال وإكبار، لأنه أرخ لهذه الأمة طوال تاريخها، ووثق وحفظ أمجادها وانتصاراتها وانكساراتها أيضاً، وكان الوعاء الحافظ للغة العربية بعد القرآن الكريم».

وأضاف: «إن المكتبات هي ذاكرة الشعوب، وتؤدي دوراً مهماً في حياة الأمم التي تتصل حياتها الثقافية والعلمية اتصالاً موضوعياً بالكتاب»، مشيراً إلى أن الثقافة بما تكتنزه من علوم معرفية هي مطلب ملح وليس مؤجلاً أو حدثاً عارضاً تصنفه المجتمعات في آخر سلم اهتماماتها، بل هي محور جوهري يصب في أي مشروع تنويري ونهضوي من شأنه أن ينمي العقل البشري الذي هو أساس الثروة الحقيقية لأي مجتمع.

بالمكتبة قاعة لذوي الاحتياجات الخاصة وتضم مجموعة من البرامج المقدمة للمكفوفين وكل تطبيقات الحاسب الآلي والإنترنت

حفظ الإرث الشعر

وفي كلمته عند افتتاح المكتبة أعرب الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين عن سعادته الغامرة بافتتاح المكتبة، واعتبر يوم الافتتاح يوماً من أيام الثقافة الغربية المجيدة، وأكد أن الهدف من بنائها هو حفظ الإرث الشعري من الضياع والذي يجسد معلماً أساسياً من معالم هويتنا القومية، بعد أن تسبب الجهل والتعصب والغزو الخارجي في ضياع جزء كبير من هذا الإرث.

المنجز الشعري

وأكد البابطين أن المكتبة ستتيح هذا المنجز الشعري للقارئ العربي متذوقاً أو باحثاً بأيسر السبل مستخدمة كل وسائل التقنية الحديثة، ولن نكتفي بهذا المستوى الأول من جمع التراث الشعري وحمايته وإتاحة منابعه لكل وارد، بل ستكون هذه المكتبة مركزاً للتفاعل بين مكونات الثقافة الشعرية لخلق جو من الاحتكاك والتنافس من خلال ما تعده من ندوات ومحاضرات وأمسيات لتكون عكاظاً آخر دائماً لا مؤقتا، بحيث تظل شعلة الإبداع مضيئة ومتنامية.

الأصالة والمعاصرة

أما المديرة العام للمكتبة سعاد عبدالله العتيقي فأكدت في كلمتها أثناء الافتتاح أن المكتبة حرصت على تحقيق التوافق بين الأصالة بأمسها البهي، وبين العصر بتقنياته المتسارعة، وأوضحت أنه قد تم توظيف التقنية توظيفاً أدبياً من شأنه أن يمد جسور القراءة، ويحقق التواصل الخلاق بين الأجيال.

وقالت : «إن هذا الصرح، بل هذا الوعاء المعرفي، هو الهدية التي أراد الشاعر عبدالعزيز البابطين أن يقدمها إلى قراء العربية، والمهتمين بالأدب العربي في كل أرجاء العالم، سواء عبر الموطن الثابت للمكتبة الذي يحتضنها الآن، أو من خلال موقعها الإلكتروني السابح في فضاءات الإنترنت، كي تبقى الحكمة نبراساً تهتدي به المجتمعات، وهي ترتقي بفكرها إلى مصاف الحضارات المتقدمة،

الطابق الأرضي من المكتبة

وكان لهذه الخطوة التقنية التي اتخذتها المكتبة أثرها البارز، إذ سرعان ما دبت الروح في المخطوطات النادرة، وسرى النبض في أمهات الكتب والمطبوعات القديمة، التي كاد الزمان أن يغيبها في عتمة النسيان».

إضاءات

دوام المكتبة من السبت إلى الخميس على فترتين، الصباحية من ٨,٣٠ ص إلى ١ ظ، والمسائية من ٤,٥ م إلى ٩م.

زيّن مدخل المكتبة بصور لأمير الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وولي عهده الأمين الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح.

في مدخل المكتبة مجموعة من أبيات شعرية للبابطين يقول في أحدها:

سيذكر أهل الشعر والشوق أنني
عملت بما أوتيت من سعي جاهد
أعيد لبيت الشعر حلو رنينه
وسحر القوافي فيء البيوت الشوارد

تم تجهيز ديوانية في مدخل المكتبة ليلتقي فيها الشعراء، وكتب على أحد جدرانها حديث لرسول الله ﷺ. يقول فيه «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة». ■■

أقدم مقتنيات المكتبة

أقدم مخطوط موجود في المكتبة:

ضمن هذه المجموعة هو «كتاب الفصيح في اللغة» لمؤلفه ثعلب أبي العباس، أحمد بن يحيى، المتوفى سنة ٢٩١، هـ ٩٠٤، وقد نسخ هذا المخطوط سنة ٥٢٤هـ، ١١٢٩م، أي ما يقارب تسعمئة عام منذ نسخ هذا المخطوط إلى الآن.

أقدم كتاب موجود في المكتبة:

. كتاب «نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق» مختصر كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وهو موجود في مكتبة عبد الكريم سعود البابطين، ومن أوائل الكتب المطبوعة في العالم باللغة العربية، وقد طبع في مطبعة مديتشي بروما (ايطاليا) سنة ١٥٩٢م، وتوجد في المكتبة النسخة الأصلية منه، التي مر على طباعتها حتى الآن ما يزيد على أربعمئة عام.

أقدم دورية موجودة في المكتبة:

. دورية «البشير»، وهي دورية لبنانية، صدرت في العام ١٨٧٠م.

أقدم جريدة موجودة بالمكتبة:

. جريدة «المقطم»، وهي جريدة مصرية، صدرت في العام ١٨٨٩م.

أقدم كتاب نادر في المكتبة المركزية للشعر العربي:

. «ديوان ابن عربي» لمؤلفه ابن عربي، محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله الحاتمي الطائي الأندلسي، وطبع هذا الكتاب في مطبعة بولاق بمصر في العام ١٨٥٤م، أي منذ أكثر من ١٥٠ عاماً مضت.

أقدم كتاب في مجموعات مكتبة مدرسة النجاة الأهلية بالزبير:

. كتاب «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» بهامشه تفسير الجلالين، وهو من تأليف سليمان الجمل، وقد طبع هذا الكتاب في العام ١٧٨٢م، أي من حوالي ٢٢٧ عاماً.

. كتاب «وصف مصر» (وهو من مقتنيات مكتبة الأستاذ عبدالكريم سعود البابطين).

. كتاب «وصف مصر»: النسخة الأصلية من الكتاب المطبوع في بداية القرن التاسع عشر بفرنسا، وهذا الكتاب يعد حصيلة الحملة الفرنسية على مصر والتي استمرت ثلاث سنوات منذ ١٧٩٨م إلى ١٨٠١م، وهو من أهم الكتب التي أفردت صفحاتها للحديث عن أرض مصر وتاريخها بكل جوانبه منذ الحضارة الفرعونية حتى فترة الحملة، فيضم هذا الكتاب شروحاً وصوراً ولوحات شديدة الدقة والتفاصيل لكل أرجاء مصر، ويتكون الكتاب من ٢٣ مجلداً من الحجم الضخم واحتوت على رسومات لجيرار وديفيليه، وهما من أشهر رسامي فرنسا في تلك الفترة، وتعد النسخة الموجودة في المكتبة من هذا الكتاب من أندر النسخ الموجودة على مستوى العالم في جودتها ومتانتها رغم مرور كل هذه السنين على طبع الكتاب، كما أن هذه النسخة لا توجد في الكثير من مكتبات الدول العربية الكبرى منها، وحتى مكتباتها الوطنية، مما يدل على تفرد المكتبة بالكثير والكثير من الميزات على الكثير من المكتبات.

النفسُ ولغةُ الحوارِ والجدل في خطاب القرآن المجيد

بقلم: د.عبدالرحيم الميرابي*
raheem@alsharq.net.sa

جعلَ اللهُ تعالى لغةَ الحوارِ في القرآنِ العظيم أحدَ أسسِ تبليغِ الأنبياءِ رسالاتِ ربِّهم.. والأنبياءُ يحاورون بشراً مثلهم، قال تعالى: «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ».

ولأن الموضوع حول (النفس، واللغة، والحوار، والجدل، والخطاب)؛ فإنه يتعين علينا أن نتفق أولاً على تعريف هذه المفاهيم الخمسة.

اللغة: نعني بها الوسيلة، التي نتحاور بواسطة مفرداتها بلسان عربي مبين، قال تعالى: «لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ».

الحوار: نعني به المراجعة في لغة الخاطب بغرض الإقناع، وكلمة راجَعَ، تعني حاوَرَ. وقد فسّر القرطبي الحوارَ في القرآن العظيم بأنه المراجعة، قال تعالى: «وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا»، أي مراجعتكما.

الخطاب: نعني به محتوى الفكر.. فقد يكون الخطابُ أدباً من الآداب، أو علماً من العلوم، أو ثقافة من الثقافات، كقولنا: الخطاب السياسي.. الخطاب الديني.. الخطاب الوطني.. إلى غير ذلك.

الجدل: نعني به تكرار الكلام، وامتداد الخصومة، مع شدتها، وقد يكونُ الجدالُ محموداً إذا تعلق بإظهار الحق، ويكون مذموماً إذا شَغَلَ عن ظهور الحَقِّ، قال تعالى: «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ»،

النفسُ هي أكثر ما يشقي الإنسان أو يسعده.. ولا ينتصر عليها إلا مؤمن قوي الإيمان

وقال تعالى: «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ». وقال الأوزاعي- رحمه الله تعالى: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ شَرًّا أَلْزَمَهُمُ الْجَدَلَ، وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ).

النفس: نعني بها جملة المشاعر الإنسانية، التي تتأثر بأسلوب اللغة، وطريقة الحوار، ومحتوى الخطاب.

لكن ما علاقة النفس بكل هذا؟!

تلاحظون أنّ مُعظمَ حواراتنا تتخللها أهواؤنا؛ فتتحكمُ فينا تارة، ونتحكم فيها أخرى (وهو ما نسميه بضبط النفس عند اضطرابات الحوار) ومرة تتفلت منا فتوقعنا النفسُ في شرورها.

*كاتب سعودي.

أحياناً نضطر إلى تعاطي الجدل؛ فيضلنا عن الطريق الصحيح.. وقد ورد في الحديث الشريف، قوله- صلى الله عليه وسلم: «ما أُوتِيَ الجَدَلَ قَوْمٌ إلاَّ ضَلُّوا».. والجدلُ يغلبُ عليه - عادة - صفة التنازع.. والتنازعُ يفضي إلى الحدّة، بينما الحوار يتصف بالهدوء والاتزان؛ لذلك لمّا جاءت امرأة تجادل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في زوجها؛ فإن اللهَ تعالى وصف ذلك بقوله: «قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا».. وحينما رَدّ عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: «واللهُ يسمَعُ تحاوُرَكُما»، ولم يقل (والله يسمع تجادلكما)، أي إنّ الرُسُلَ - عليهم السلام - يتخذون من الحوار، لا من الجدال، لغة لخطابهم؛ ليأتي على نحو من الاطمئنان وسمو النفس البشرية.. أما إنْ كان لا بُدّ من الجدال؛ فيجب أن يكون بالحسنى.. قال تعالى: «وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ».. والحُسْنُ يعني: الرفقُ في القول.. وقد جاء في الحديث الشريف، أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الرفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنزعُ من شيءٍ إلا شانَه»؛ لذلك نلاحظ أن الحوارَ حسنٌ في ذاته، ولا ينبغي للنفس أن تحوله إلى مشاعرَ غضبٍ، أو تعصبٍ لرأي، لا لشيءٍ إلا لإشباع رغبات النفس وميولها تجاه الجدل وليس تجاه نصرة الحق؛ لذلك نجد في القرآن الحكيم أن قومَ نوح - عليه السلام - لم يكونوا ليحاوروه. قال تعالى: «قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ». ومع أن نوحاً كان صادقاً، وهم يعلمون ذلك، إلا أنهم كانوا يستحيلون الحوار معه إلى جدل.

مُعظمَ حواراتنا تتخللها أهواؤنا فتتحكمُ فينا تارة ونتحكم فيها أخرى.. ومرة تتفلت منا فتوقعنا النفسُ في شرورها

الإنسانُ - أيّ إنسان - هو عبارة عن مجموعة من التراكيب النفسية لا يمكن أن يعمل خارج إطار الصراع بين النفس والعقل.. بين الحق والباطل.. بين الخير والشر.. بين المنطق والجدل.

النفسُ هي أكثر ما يشقي الإنسان أو يسعده.. ولا ينتصر عليها إلا مؤمن قوي الإيمان.. يقول أحد القادة الكبار: لقد حققت انتصارات هائلة أذهلت خصومي، لكنهم لا يعلمون أنني لم أستطع الانتصار على رغبات نفسي، ما لم تؤمن وتطمئن إلى الله خالقها.

ولأننا قلنا في البداية: إن الأنبياءَ والرّسُلَ هم بشرٌ مثلنا، لهم أنفس وعواطف ومشاعر إنسانية، وإنْ كانت تختلف من رسولٍ إلى آخر؛ حيث فَضّلَ اللهُ بعضهم على بعض. قال تعالى: تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ»، والتفضيل هنا في المكانة والدرجة، قال تعالى: «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ».

إن نبيَّ اللهِ نوحاً - عليه السلام - لمّا لم يستجب له قومه بعد أن لبث يحاورهم، وهم يجادلونه ألفَ سنة إلا خمسينَ عاماً؛ دعا عليهم، قال تعالى: «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً»، وكذا نبي اللهِ، موسى - عليه السلام - حين بلغ به تعنت وجدل اليهود مبلغاً؛ دعا عليهم، قال تعالى: «رَبَّنا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأليمَ».. بينما نبيُّ اللهِ عيسى - عليه السلام - اتخذ نهجاً آخر تجاه قومه، فهو لم يَدْعُ عليهم، ولا لهم، قال تعالى: «إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عِبادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».. أما محمدٌ - صلى الله عليه وسلم، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين - حينما ناداه مَلَكُ الجبال، قائلاً: «يا محمد إن الله قد سمع قولَ قومك لك، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين»؛ فقال - عليه الصلاة والسلام: «بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشركُ به شيئاً».

إذن، لندرك أن الدعوة إلى الله وما تقتضيه من وجوب الحوار بين الرسل كبشر، وبين أقوامهم من البشر، لم تكن بالأمر الهين على النفس البشرية.

أحيانا يقفزُ الإنسانُ المسلمُ فوق قناعاته بأحقية رأي غيره؛ فيجادل وهو يعلم في ذات نفسه أنه ليس على حق، مكابراً أن يتخذ من الحوار القرآني منهجاً! ■■

تشكيل مفهوم الذَّات عند الأطفال والعوامل المؤثرة فيه

إنَّ موضوع الذَّات تناولته العديد من الدِّراسات والكتابات، كما ناقشه الفلاسفة في الشرق والغرب، وربما كان هو السبب الذي دفع الفيلسوف سقراط إلى أن يتخذ هذه العبارة «اعرف نفسك بنفسك» شعاراً لفلسفته، التي كان يحاول بها أن يخلق الإنسان الفاضل المتوافق.

فالذات تعد جوهر الشخصية، ويعد مفهوم الذات بعداً من الأبعاد المهمة في الشخصية الإنسانية، التي لها أثر كبير في سلوك الفرد وتصرفاته. ويؤدي مفهوم الذات، أو فكرة الفرد نفسه، دوراً كبيراً في توجيه السلوك وتحديده.

تشكيل مفهوم الذَّات عند الأطفال والعوامل المؤثرة فيه

إنَّ مفهوم الذَّات ليس شيئاً موروثاً لدى الإنسان، لكن يظهر تأثير العوامل الوراثية في تكوين وتطور مفهوم الذات من خلال تفسير الأطفال لسلوك الآخرين نحوهم، وفقاً لمستويات ذكائهم، إذ إن لمستوى ذكاء الفرد تأثيراً كبيراً على الوعي الاجتماعي، فالأطفال الأكثر ذكاء يفسرون بشكل أفضل من الأطفال الأقل ذكاء مواقف ومشاعر الآخرين نحوهم، وهذا الشعور يؤثر بدوره في تطور مفهوم الذات الملائم لدى الأطفال.

ويتشكل مفهوم الذَّات من خلال التفاعل مع البيئة، التي يعيش فيها الطفل، ابتداء من الطفولة وعبر مراحل النمو المختلفة، كما أن الوعي بالذات يبدأ ضيقاً عند بداية حياته، وينمو ويتطور باتساع البيئة، التي يتعامل بها ومن خلال الخبرات الجزئية والمواقف التي يمر بها الفرد في أثناء محاولته للتكيف مع البيئة المحيطة به.

وتساعد اللغة في تطوير مفهوم الذات، فاستعمال بعض الضمائر، كياء الملكية وضمائر الغائب، دليل على تمييز الطفل لذاته. وزيادة استخدامه للضمائر تعكس زيادة في لغة الطفل، إذ يستطيع من خلالها التعبير عن نفسه كفرد له مشاعره وحاجاته وخصائصه، وتشكل مؤشراً لنضج فهمه لوجوده ودليلاً على تمييز الطفل لذاته عن الآخرين، فعندما يتحدث الطفل فإنه يستخدم من الألفاظ ما يشير إلى حاجاته ورغباته.

وكلما اتسعت رقعة الطفل دخلت عناصر جديدة لها أهميتها بالنسبة للطفل، كالمعلمين وأقران الدراسة، وتعد الخبرات المدرسية من المصادر المهمة في تشكيل مفهوم الذات.

بقلم عصام خليل الدايح *
esamaldaeh@yahoo.com

تقول ويلي: تبدأ عملية التقمص والاحتذاء بالنموذج المتمثل في صورة الأب أو الأم، والتي أكدتها نظرية التحليل النفسي، من أهم العمليات النفسية التي تشكل الذَّات المثالية لدى الطفل، لذلك فإنَّ كثيراً من الدراسات بحثت أثر فقدان أحد الوالدين أو كليهما أو التصدع الأسري، وتوصلت إلى أنَّ هناك فرقاً في مفهوم الذات بين هؤلاء الأطفال وأقرانهم الذين يعيشون في كنف والديهم.

مراحل إدراك الذات في مرحلة الطفولة

يستهل الطفل الحياة بتفرقة غير واضحة بين الذات واللا ذات.. فالأطفال لم يتعلموا بعد الحدود التي تفصلهم عن الموضوعات أو الأفراد الآخرين .

فالطفل ليست لديه بعد أي معرفة عن وجود ذات جسمية أو ذات اجتماعية. يعطي تحديد مفهوم الذات في كل مرحلة عمرية من حيث أبعاده المختلفة للفرد في المرحلة التي هو فيها وصفاً لذاته.

* كاتب سوري، متخصص بتكنولوجيا التعليم.

ومن أبرز المراحل التي تتطور عبرها عملية إدراك الذَّات في الطفولة هي:

أولاً: مرحلة الرضاعة: يمر الوليد عقب الولادة بمرحلة تسمّى العبرية أي إنه لا يوجد تمايز بين ذاته وغيره، وإنما تتكون ذات الطفل وموضوعها تدريجياً أثناء السنة الأولى من العمر ويدرك بيئته في أول الأمر ككُل ضئيل. ويدرك أصواته واستجاباته لا على أنها صادرة منه، بل على أنها مقومات البيئة، فالبيئة وجسمه شيء واحد، والثدي الذي يوفر له الغذاء ويشبع حاجاته يدركه بوصفه جزءاً منه، وينحصر إدراك الطفل لما في داخله من مثيرات حشوية (الجوع والعطش).

ترى مارغريت ماهلر أنَّ للطفل نقطتين أساسيتين يحاول من خلالهما أن ينمِّي تشكيلاً لذاته:

الأولى: هي أحاسيسه الداخلية، مكوناً الجوهر الأوليّ للذات.

الثانية: هي إحساسه بمانح الرعاية والمتمثّل في الموضوع الليبدي – الأم.

تنمو الذَّات على النحو التالي في الرضاعة:

– من الميلاد حتى ثلاثة أشهر يخرج الوليد وهو لا يعلم شيئاً عن ذاته.

– من(٣ – ٤) أشهر يكون التمايز من خلال الحواس والعضلات.

– (٩) شهور يفهم الأطفال الإشارات «باي باي».

يكون العام الأول مرحلة الكشف والاستكشاف، وتنمو صورة الذَّات ويزداد التفاعل مع الأم والآخرين. وفي عمر العامين يزداد التمايز بعد ذلك ويكون متمركزاً حول ذاته يفرق بين الآخرين وتتكون الذات الاجتماعية ويزداد نمو المشاعر الاجتماعية وتزداد القدرة على فهم الذات.

يرى عالم النفس الشهير ألبورت أنَّ الإحساس بالذَّات الجسمية من الإحساسات العضوية المتكررة، التي تصدر من العالم الخارجي، فالإحساس بالذَّات الجسمية هو في نظر ألبورت وثيقة وجودنا – لكن يمكن رغم ما للذات الجسمية من أهمية إلاَّ أنها ليست كل شيء في تكوين فكرة الذات عند الطفل في هذه المرحلة إنما هناك أفكار أخرى لها أهميتها.

ثانياً: مرحلة ما قبل المدرسة: تتقابل هذه المرحلة عند بياجيه مع مرحلة ما قبل العمليات، التي تمتد من الثانية حتى السابعة من العمر. إنَّ أهم ما يميز هذه المرحلة هو مركزية الذات، فطفل هذه المرحلة يكون بالنسبة للتصورات مركزي الذات، ولصفة التمركز الذاتي في هذه المرحلة نتائج كثيرة من أهمها أن الطفل يكشف باستمرار عن عجز نسبي في الأخذ بعين الاعتبار بوجهة نظر الغير – ونجد أن التفاعل الاجتماعي هو الذي يحطم مركزية الذات عند الطفل.

.. وتبدأ ملامح مفهوم الذات في الظهور من خلال حديث الطفل واستخدامه الدائم والمستمر للضمير «أنا» ولضمير الملكية في حديثه عن لعبته – قطته – كتابه.

فالطفل في هذا العمر يزداد شعوره بفرديته وشخصيته، ويعرف أنَّ له شخصية وللآخرين شخصياتهم، وفي هذه المرحلة يتميز في نظر ألبورت بمظهرين هما: امتداد الذات واتساعها، ثم صورة الذَّات.

فالذات في هذه المرحلة في نظر ألبورت تتسع لتشمل أشياء كثيرة، كما يؤدي الإحساس بالملكية في نفس الوقت دوراً مهماً، مثلاً «هذه كرتي، وهذه الدراجة دراجتي».. وكلها تصبح امتداداً للذات، وتشير أيضاً إلى اتساعها لتشمل العديد من الأشياء بما في ذلك الكبار. بالإضافة إلى امتداد الذات واتساعها، تأخذ صورة الذات تتضح أكثر وأكثر، فعن طريق التفاعل المتبادل مع الكبار والوالدين يمكنه أن يقارن بين سلوكه الواقعي وما هو متوقع منه، وصورة الذات هنا ليست نامية بشكل جيد.

الخبرات المدرسية من المصادر المهمة في تشكيل مفهوم الذات

يرى أريكسون أنه في هذه السّن يكون الضمير قد نما وأصبح أعظم حاكم للمبادأة، فالطفل لم يعد موجهاً بالناس من الخارج فحسب، بل أصبح أيضاً يسمع الصوت الداخلي لملاحظة الذَّات وتوجيهها وعقابها. هذا الصوت الذي يعلق على أفعاله ويحذره ويهدده، وتلك هي بداية نشوء الأخلاق عند الطفل.

ثالثاً: مرحلة المدرسة الابتدائية:

تمتد هذه المرحلة من السنة الخامسة أو السادسة وحتى الحادية عشرة أو الثانية عشرة. ومع دخول الطفل المدرسة يزداد إحساسه بهويته وبصورة ذاته وقدرته على امتداد الذات، وسرعان ما يتعلم الطفل أن ما هو متوقع منه خارج المنزل يختلف عما هو متوقع منه داخل المنزل، فهو يحاول أن يدمج نفسه مع جماعات وأن يندمج مع الشلة في عالم الواقع.

ويقول الفيلسوف الاجتماعي الشهير جورج ميد إن مفهوم الطفل عن ذاته يشتق عبر ظاهرة «الاستحسان المنعكس» عند الآخر، غير أنَّ الطفل يعجز عن تلقي الاستحسان المنعكس إلا بعد نمو قابليته الإدراكية،

ويبدو أن طفل المدرسة الابتدائية يتحسس استحسان أقرانه ويميل لتقويم ذاته في إطار ذلك الاستحسان.

مفهوم الذَّات الإيجابي

إنَّ بناء مفهوم الذَّات الإيجابي هو مطلب نمائي للأطفال، وحقيقة الأمر أن مفاهيم ذات الأطفال ليست محددة فطرياً أو سابقة التحديد تؤكد على أهمية مساعدة الأطفال على نمو صورة إيجابية لأنفسهم. إنَّ تكوين مفهوم سوي للذَّات في الطفولة يمهِّد السبيل للنمو الصحي لهذا المفهوم في المراحل التالية على أسس سليمة.

ويقدم لنا روبرت كيجان تصوره عن كيفية مساعدة الأطفال لاكتساب مفهوم إيجابي عن الذات، وذلك من خلال تأكيده على ضرورة الإشباع للاحتياجات الأساسية، فقد أوضح كيجان أن مفهوم الذات الإيجابي وتقدير الذات المرتفع يتحققان حينما يشبع احتياجين أساسيين للأطفال في كل مرحلة من النمو.

الحاجة الأولى من أجل التضمن (أي يكون الطفل مرتبطاً، مسنداً، مرحباً به، جزءاً منه)، أو بعبارة أخرى، إشباع حاجة الطفل إلى الارتباط، أمَّا الحاجة الثانية فهي الاستقلالية أو التميزية أو الانفصال (أي أن يكون مستقلاً بذاته غير معتمد، يختار أهدافه بنفسه).

مفهوم الذات المتدني (السَّلبي)

من بين أهم المشاكل التي يمكن أن تعترض بعض الأطفال الشعور بمفهوم الذات المتدني.

يشعر هؤلاء الأطفال بأن لا قيمة حقيقية لهم، وبأنهم يفتقرون إلى احترام الذَّات الذي يؤثر في دوافعهم واتجاهاتهم وفي سلوكياتهم. إنهم ينظرون إلى الأشياء نظرة تشاؤمية، وهؤلاء الأطفال الذين يفتقرون للثقة بالنفس ليسوا متفائلين بالنسبة لنتائج جهودهم، إذ يشعرون بعدم القدرة والدونية والتشاؤم والإحباط. إنهم يرون أنَّ الأشياء دائماً تسير في الطريق الخاطئ، إنَّ هؤلاء الأطفال يستسلمون وبسرعة، ودائماً يشعرون بأنهم سيئون ويشعرون بالعجز. إنهم لا يستطيعون التعامل مع الإحباط والغضب، وغالباً ما يحولانهما إلى سلوك انتقامي ضد أنفسهم أو ضد الآخرين. ولسوء الحظ، إنَّ سلوكهم هذا يقود الآخرين لينظروا إليهم بسلبية كما هم ينظرون لأنفسهم بذلك.

نجد أنَ مفهوم الذات السَّلبي ينطبق على مظاهر الانحرافات السّلوكية والأنماط المضادة أو المتناقضة مع أساليب الحياة العادية للأفراد، والتي تخرجهم عن الأنماط السلوكية العادية المتوقعة من الأفراد العاديين في المجتمع، والتي تجعلنا نحكم على من تصدر عنه بسوء التكيف الاجتماعي أو النفسي.

هناك ثلاثة أسباب شائعة للمشاعر التي تعكس مفهوم الذات السَّلبي هي الحماية الزائدة، والسيطرة، والإهمال:

. الحماية الزائدة: الأم تتفاعل مع طفلها مئات المرات يومياً، فإذا ما قامت بأداء الأشياء له باستمرار، تلك الأشياء التي يستطيع أن يؤديها لنفسه بنفسه، إطعامه وإلباسه، والتفكير واتخاذ القرار له. إنَّ هذا الطفل يمتلك مع مرور الوقت آلاف المؤشرات والدلائل بأنه عديم الحيلة وغير قادر. كذلك محاصرة الطفل داخل دائرة محبة الأم المطلقة لا يسهل انطلاقته لإقامة علاقات حميمة أخرى، ويعرقل تحقيق الذَّات وتنمية الاستقلالية والثقة بالنفس.

. السيطرة: السيطرة على الطفل بدرجة لا يستطيع معها أن يتخذ قراراته لنفسه تحت دعوى أنه ليس قادراً أو غير أهل لذلك يؤثر بشكل سلبي في مفهوم الطفل عن ذاته، فالآباء الذين لا يثقون في أطفالهم يمتلئ أطفالهم بمشاعر السلبية تجاه أنفسهم، كما أنهم لا يستطيعون تعلّم الثقة في أنفسهم، ونجد هؤلاء الأطفال يشعرون بالضآلة وبأنهم غير أكفاء، وغير مرغوب فيهم، وهنا يمكن أن نقرر بأن لديهم مفهوم ذات سلبياً، وعادة ما يشعرون بنوعين من السلبية: الشعور بعدم القدرة على التعامل مع العالم، والشعور بكونهم غير قابلين لأن يحبوا وحينما يتحدث هؤلاء الأطفال عن أنفسهم، فإنهم غالباً ما يبدون مفاهيم سلبية للذات بصورة لافتة للنظر.

. الإهمال: يحدث الإهمال حينما تكون مشاغل الوالدين أكثر أهمية من الطفل، فحينما ينصرف الوالدان، وينشغلان دوماً عن الأطفال، فإن الطفل يستنتج بسهولة أنه غير جدير باعتبار واهتمام الوالدين. هذا الإهمال قد يعطي الطفل شعوراً بالنبذ الشَّخصي أو التحقير، وهؤلاء الأطفال الذين يُهملون غالباً ما يميلون لرؤية أنفسهم كأفراد سيئين، وغالباً ما يفترضون أن سلوكهم يستحق شرعاً مثل هذا الانتهاك. هناك عامل آخر وهو الأوصاف السلبية، فالأوصاف والنعوت السَّلبية تدمج في صور ذات الأطفال وتساعد على تعزيز النظرة السَّلبية وتقود إلى سلوك غير توافقي، فإذا ما ألصقت كلمة أو صفة بالأطفال لمدة طويلة جداً، فإنهم يميلون لأن يصبحوا هذا النوع من الشخص، الذي وصف بالصفة المعينة، وتثبت هذه الأوصاف بأن يسلك الأطفال هذا السلوك الذي يتلاءم مع الصفة.

وظائف مفهوم الذات

يتفق العلماء والباحثون على أنَّ مفهوم الذَّات يعد حجر الزاوية في الشخصية، وأنَّ وظيفته الأساسية هي السعي إلى تكامل واتساق الشخصية ليكون الفرد متكيفاً مع

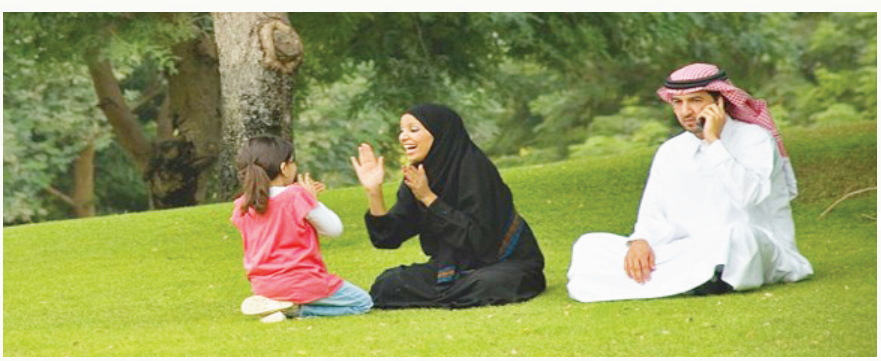

البيئة التي يعيش فيها وجعله يشعر بهوية تميّزه عن الآخرين، فهذا ألبورت يقول إنَّ وظائف الذَّات هي العمل على وحدة وتماسك الشَّخصية وتميز فرداً على آخر، وهي تساعد على اتساق الفرد وتقييماته ومقاصده.

ويعتقد أنَّ لمفهوم الذات بوصفه بؤرة الشخصية دوراً رئيساً في تحديد المفاهيم التي يمكن استيعابها وتضمينها في التنظيم الكلي للشخصية، وهناك من يرى أنَّ وظيفة الذات الأساسية هي تنظيم عالم الخبرة من أجل التكيف السلوكي.

ويرى كولمان أنَّ وظائف مفهوم الذَّات نمو الشَّخصية، بينما يرى آخرون أنَّ مفهوم الذَّات هو القطب الفاعل الذي يحدد سلوك الفرد.

ويعتقد المليجي أنَّ مفهوم الذَّات يحدد أداء الفرد الفعلي.

وهكذا تتميز وظيفة مفهوم الذَّات بأنها انتقائية من خلال إدراكه للخبرات والمواقف، التي يتعرض لها، والتي تتلاءم أو تتعارض مع ميوله ورغباته وحاجاته واعتقاداته.

أشكال مفهوم الذات

تحدَّث الكثير من علماء النَّفس عن أشكال مفهوم الذَّات واختلفوا في تصنيفهم لهذه الأشكال.

وسنعرض هذا التقسيم لمفهوم الذَّات على النحو التالي:

• مفهوم الذَّات الاجتماعي:

يشير هذا المفهوم إلى تصوّر الفرد لتقويم الآخرين له معتمداً في ذلك على تصرفاتهم وأقوالهم، ويتكون من المدركات والتصورات التي تحدد الصورة، التي يعتقد أنَّ الآخرين يتصورونها، يتمثلها الفرد من خلال التفاعل الاجتماعي مع الآخرين.

• مفهوم الذَّات الأكاديمي:

ويعرفه شافلسون وبولص بأنه اتجاهات الفرد ومشاعره نحو التحصيل في موضوعات معينة يتعلمها ذلك الفرد، أو هو تقرير الفرد عن درجاته أو علاماته، في الاختبارات التحصيلية المختلفة. ويشير إلى السلوك الذي يعبر فيه الفرد عن نفسه من حيث قدرته على التحصيل، وأداء الواجبات الأكاديمية بالمقارنة مع

> **إنَّ تكوين مفهوم سوي للذَّات في الطفولة يمهِّد السبيل للنمو الصحي لهذا المفهوم في المراحل التالية على أسس سليمة**

الآخرين الذين يؤدون الواجبات أو المهام نفسها.

• مفهوم الذَّات المُدْرَك:

ويتكون من المُدركات والتَّصورات، التي تحدد خصائص الذَّات، كما تنعكس إجرائياً في وصف الفرد لذاته، وهو عبارة عن إدراك المرء لنفسه على حقيقتها وواقعها، وليس كما يرغبها، ويشمل هذا الإدراك جسمه، ومظهره وقدراته ودوره في الحياة، وكذلك قيمه ومعتقداته وطموحاته.

• مفهوم الذَّات المثالي:

ويسمَّى المفهوم بذات الطموح، وهو عبارة عن الحالة التي يتمنى أن يكون عليها الفرد، سواء ما كان يتعلق منها بالجانب النفسي أو الجسمي أو كليهما معاً، معتمداً على مدى سيطرة ومفهوم الذات المُدرك لدى الفرد، ويتكون من المدركات والتصورات التي تحدد الصورة المثالية التي يود الفرد أن يكون عليها.

ولكي يستطيع الفرد أن يكوِّن مفهوماً إيجابياً عن ذاته ويقدرها تقديراً أفضل ينبغي أن يحدث تطابقاً بين الذات المثالية والذات الواقعية (المدركة) أي بين ما يتمنى الفرد أن يكون عليه وبين ما هو موجود بالفعل.

الحرمان من الوالدين واضطراب مفهوم الذَّات

إنَّ موت أحد الوالدين أو كليهما يؤثر سلباً في مفهوم الطفل لنفسه، لأن الشعور بالمحبة والقبول والشعور بالانتماء والحصول على الرعاية والعناية والتوجيه والتعلّم من الوالدين حاجات ضرورية في حياة الطفل، خصوصاً في سنواته الأولى، وقد يختلف تأثير موت الأب وفقاً لطبيعة المجتمع. ففي المجتمع الشرقي الذي يتميز بالأسرة الممتدة قد لا يكون تأثير موت الأب كما هو الحال في الأسر الضيقة، إذ قد يتوافر في الأسرة الممتدة من يعوض الطفل حناناً وحباً ورعاية، لكن لا يمكن أن يكون هناك بديل على الدرجة ذاتها من النفس الحقيقي لتحقيق حاجات الطفل كما يمنحها الأب أو الأم. ■■

المراجع والمصادر

• أبو جادو، صالح، ٢٠٠٠، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط٢، دار المسيرة للتوزيع والنشر، عمان.
• أحمد، سهير كامل، ١٩٩٩، الصحة النفسية والتوافق، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.
• أحمد، سهير كامل، ١٩٩٨، دراسات في سيكولوجية الطفولة، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.
• السبيعي، عدنان، ١٩٨٥، سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل، الجزء الأول الشركة المتحدة للتوزيع.
• الظاهر، قحطان أحمد، ٢٠٠٤، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، ط١، دار وائل للنشر.
• العناني، حنان عبد الحميد، ١٩٩٥، الصحة النَّفسية للطفل، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
• المالكي، موزة، ١٩٩٦، أطفال بلا مشاكل زهور بلا أشواك، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
• حمدان، محمد زياد، ١٩٨٦، تطور شخصية الطفل، عمان، دار التربية الحديثة.
• رمضان، رشيدة عبد الرؤوف، ١٩٩٨الصحة النفسية للأبناء، ج١، ط١، القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
• عبد الله، مجدي أحمد محمد، الطفولة بين السَّواء والمرض،١٩٩٧، دار المعرفية.
• عيسوي، عبد الرحمن، ١٩٩٥، علم النفس الأسري وفقاً للتصور الإسلامي والعلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
• قاسم، أنسى محمد أحمد، أطفال بلا أسر، ط١،١٩٩٨، تصدير بقلم الدكتور سهير كامل أحمد، مركز الإسكندرية للكتاب.
• قناوى، هدى محمد، ١٩٩٦، الطفل تنشئته وحاجاته، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية.
• مجيد، ريسان، سكر، ناهدة، رسن، الأنصاري، عبد الرحمن،٢٠٠٤، استراتيجيات حديثة في نمو الطفل، ط١، دار المناهج للنشر والتوزيع.
• مختار، عزة، بواليز، محمد، ١٩٩٠، طرق دراسة الطفل دار الفكر للنشر، ط١، والتوزيع.
• مهنا، عدنان،١٩٩٩، الاضطرابات السّلوكية المدرسية تحليل وعلاج، حركة الريف للثقافة، جمعية الإنماء التربوي في البقاع.
• مخول، مالك سليمان، ١٩٩٩، علم نفس الطفولة والمراهقة، ط٥، منشورات جامعة دمشق.
• وملمان، شيفر، ت: سعيد حسني العزة، سيكولوجية الطفولة والمراهقة دار الثقافة للنشر والتوزيع.

بقلم: أ.د. علي إسماعيل عبد الرحمن *
alysmail4@gmail.com

الاكتئاب «الطاعون القادم»

يعد الاكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً بين البالغين، حيث تصل نسبة الإصابة بالاكتئاب في وقت ما من حياة البالغين إلى ٢٠٪ لدى الإناث و١٠٪ لدى الذكور. وتُقدّر منظمة الصحة العالمية أنه يوجد ما يُقارب من نصف مليار شخص في العالم يُعانون من مرض الاكتئاب.

ومرض الاكتئاب حسب تقارير الأمم المتحدة يُكلف سنوياً أكثر من ٩٢ مليون يوم غياب عن العمل ومليارات الدولارات تخسرها أماكن العمل بسبب تغيب مرضى الاكتئاب عن أعمالهم، كما أنه أكثر تكلفة على الاقتصاد القومي نتيجة زيادة مصروفات العلاج، وانخفاض الدخل بسبب المرض أو الوفاة.

ومما يزيد من وطأة هذا أن الاكتئاب يبدأ عادة ما بين سن ٢٠ و ٤٠ سنة بنسبة قد تصل إلى ٥٠٪، وهو سن العمل والإنتاج في أغلب المجتمعات، وتجعل العوامل الاجتماعية والضغوط الاضطرابات أعلى بين الشباب.

* استشاري الطب النفسي بمستشفى عمليات الخفجي المشتركة.

ووجدت الأبحاث أن الوقت الذي يقضيه الإنسان في الفراش، وعدم القدرة على العمل، يفوق العديد من الأمراض المزمنة الأخرى، مثل ارتفاع ضغط الدم، والسكري، والسرطان.

ويعد الاكتئاب هو السبب الرابع للإعاقات في الوقت الحاضر، وتقول تقارير وتوقعات منظمة الصحة العالمية إن الاكتئاب سوف يُصبح المرض الثاني للإعاقات في العام ٢٠٢٠ بعد أمراض القلب.

ويعد إبراهام لنكولن، الرئيس السادس عشر لأمريكا ومحرر العبيد، من أشهر الشخصيات التي عانت من الاكتئاب المتكرر، كما عانى العديد من الفنانين والسياسيين منه.

مقدمة تاريخية

يرجع وصف الاكتئاب والأمراض العقلية إلى ما سجله الفراعنة٢٦٠٠ سنة قبل الميلاد حين تحدثوا عن الرغبة في الموت والكسل والنوم الزائد، وقد ذكرت أعراض الاكتئاب في إلياذة هوميروس في القرن الثامن قبل الميلاد.

كما وصفها أبقراط بمصطلح الميلانخوليا في العام ٤٥٠ قبل الميلاد، ويعد هو أول من درس هذه الأعراض ونظمها وحاول الربط بين المزاج المميز للشخص وبين نظرية الأخلاط الأربعة (الدم، والتراب، والبلغم، والصفراء)، وبين الشخصية، حيث رأى أن كل شخص لديه الاستعداد لحدوث أحد الأمراض الأربعة (الهوس، والميلانخوليا، والبارانويا، والجنون phrenitis) حسب المزاج المميز له حسب الأخلاط.

وقسم ابن سينا الميلانخوليا إلى أربعة أقسام، وذلك في العام ٨٥٠ م، واستمر استخدام لفظ الميلانخوليا لوصف الاكتئاب حتى جاء كريبللين في نهاية القرن التاسع عشر(١٨٨٦) وأدخل مصطلح الهوس الاكتئابي حتى يفرق بينها وبين الخرف المبكر (demenia precox).

وتعاقبت بعدها التصنيفات حتى وصلنا إلى التصنيف الأمريكي الخامس DSM V والتصنيف الدولي العاشر ICD10 حتى الآن.

العوامل التي تساعد على ظهور الاكتئاب

الحالة الاجتماعية: وجد أن نسبة الاكتئاب تكون أعلى بين المطلقين والمنفصلين وأقل بين العزاب والمتزوجين، وقد يختلف هذا حسب الجنس، فالآنسات أقل تعرضاً للاكتئاب من المتزوجات، بينما العزب أكثر تعرضاً من المتزوج، كما وجد أن الاكتئاب الجسيم MDD أعلى بين الأشخاص الذين يعيشون منفردين ضعف الذين يعيشون مع آخرين (وهذا بدوره يؤكد على فكرة الأسرة الممتدة العربية ودورها في الحماية من الاكتئاب)، وحجم العائلة ليس له علاقة بالاكتئاب، بينما وجود الدعم وحجمه واختفاء الصراعات داخل الدائرة الاجتماعية أهم العوامل التي تساعد على الحماية من الاضطرابات الوجدانية، خصوصاً الاكتئاب.

التاريخ العائلي: لا يمكن إنكار العوامل الوراثية ودورها في حدوث الاضطراب، فقد وجد ارتباط شديد بينه وبين وجود تاريخ عائلي من الدرجة الأولى للاضطرابات الوجدانية في العديد من الدراسات، كما

> **للضغوط الاجتماعية دور كبير في ظهور اضطراب الاكتئاب الجسيم**

وجد ارتباط بوجود تاريخ عائلي للانتحار بين المكتئبين.

خبرات الطفولة: ترى الدراسات أن فقد الأبوين قبل المراهقة عامل مهم لحدوث الاكتئاب عند الرشد، كما يظهر الاكتئاب بين الأشخاص الذين يموت آباؤهم أو يعيشون في بيئة مضطربة اجتماعياً.

مواصفات الشخصية: الأشخاص المعرضون للاكتئاب هم الأكثر ميلاً للوحدة Introverted والأكثر اعتمادية وحساسية والذين يفتقرون للحماس والطاقة، فالاكتئاب الجسيم MDD يكون انتشاره أعلى مع وجود سمات أو اضطرابات الشخصية (التجنبية، والاعتمادية، والعدوان السلبي).

الضغوط الاجتماعية: تأخذ الضغوط الاجتماعية الدور الأعلى بين باقي العوامل في ظهور اضطراب الاكتئاب الجسيم.

وهناك ثلاثة أنواع من الضغوط

- أحداث الحياة: فالتغيرات التي تحدث في حياة الآباء تؤدي إلى خلل في السلوك المعتاد للطفل، وتهدد وجوده، مثل الفقر، وفقدان الأحباب.
- الضغوط المزمنة: وهي الظروف طويلة المدى التي تتحدى الشخص، مثل صراعات العمل، والتهديد المستمر للأمن (الحياة في أماكن خطيرة).
- المنغصات اليومية (Daily hessless): هي ضغوط تحدث عادة في الحياة العصرية، مثل العلاقات السيئة مع الجيران، والخلافات الزوجية.

لقد أثبتت العديد من الدراسات وجود علاقة قوية بين الأحداث السيئة وبداية ومآل اضطراب الاكتئاب الجسيم، فقد وجد أن مرضى الاكتئاب لديهم ارتفاع المعدل في ثمانية من الأحداث الحياتية خلال الأشهر الستة السابقة لحدوث نوبة الاكتئاب وهي الخلافات الزوجية، والانفصال، وبداية عمل جديد، وتغييرات

في العمل، ومرض عضوي خطير، ووفاة عضو من الأسرة، ومرض خطير لأحد أفراد الأسرة، وترك أحد الأفراد المنزل، وهذه الضغوط عادة ما يصاحبها استمرار وثبات الاضطرابات الاكتئابية.

ووجدت دراسة إنجليزية أن الأحداث السلبية أثناء العام التالي لبداية ظهور نوبة الاكتئاب غالباً ما يصاحبها مآل سيئ للنوبة، ويختفي تأثير هذه الأحداث عن طريق معادلة الحدث، فمثلاً إذا فقدت المرأة وظيفتها ثم وجدت أخرى معادلة لها تماماً في الوقت والأجر قد يحسن ذلك من حالة الاكتئاب.

ووجدت الدراسات أن الأشخاص الذين خبروا نوبات اكتئابية متكررة أقل تسجيلاً لوجود أحداث حياتية مصاحبة لحدوث نوبة الاكتئاب في أول نوبتين، وهذا يرجع إلى حدوث تغير في الخلايا العصبية مما يجعلها هشة فأصبحت أكثر استعداداً لظهور المرض حتى بلا ضغوط (تفسير بيولوجي ثبت بالعديد من الفحوصات)، وهو ما يجعل العالم يتجه حالياً نحو الوقاية أو علاج النوبة الأولى مبكراً لمنع هذا.

ووجد أن الضغوط المزمنة تتسبب في ظهور الاكتئاب الجسيم أعلى من باقي أنواع الاكتئاب، بينما وجد أن الأفعال الاندفاعية (Impulsive)، مثل الانتحار، لها علاقة قوية جداً بالمنغصات اليومية (Dailyhessless)، حيث يفشل في التأقلم معها.

حقائق حول الاكتئاب

- الاكتئاب الجسيم في السيدات ضعف الرجال.
- اضطراب يصيب ١٥-٢٥٪ من السيدات خلال فترة العمر.
- ٣٠٪ من النساء يصبن به قبل الدورة الشهرية، و١٠٪ من النساء أثناء الحمل، و١٠-٢٠ ٪ من النساء بعد الولادة، و١٠-١٥٪ منهن بعد انقطاع الدورة الشهرية.
- يزيد الاكتئاب بين الأرامل والمطلقات ومن يعيش وحيداً.
- الرجل يصاب بالاكتئاب عند الطلاق أكثر من المرأة.
- المرأة تصاب بالاكتئاب عند الزواج أكثر من الرجل.
- ٣٠٪ من المكتئبين يفكرون في الانتحار، وقد يخططون له.
- ١٠-١٧٪ من المكتئبين يقدمون فعلاً على الانتحار.
- ٩٧٪ من المكتئبين يشكون من نقص المجهود.
- ٨٠٪ من المكتئبين يشكون من اضطرابات النوم.
- ٩٠٪ من المكتئبين يصاحبهم قلق نفسي.
- الاكتئاب يزداد مع تقدم العمر.
- الاكتئاب في أطفال ما قبل المدرسة ٠,٣٪.
- الاكتئاب في أطفال ما بعد الذهاب إلى المدرسة ١٪.
- الاكتئاب في مرحلة الشباب والمراهقة حوالي ٥٪.
- ١٢ ألف طفل يدخلون المستشفيات في أمريكا سنوياً بسبب محاولات انتحارية بعد تعرضهم للاكتئاب.
- ١٣,٦ من كل ١٠٠ ألف من المراهقين ١٥-١٩ سنة ينتحرون سنوياً في أمريكا بسبب الاكتئاب.
- ٣,٦ من كل ١٠٠ ألف من البنات البالغات من ١٥-١٩ سنة ينتحرن سنوياً في أمريكا بسبب الاكتئاب.
- ٤٠٠ من كل ١٠٠ ألف من الكبار ينتحرون سنوياً في أمريكا بسبب الاكتئاب، والذي يصيب ١٥٪ المسنين.

متى أحتاج إلى زيارة الطبيب؟

زيارة الطبيب النفسي لا تعني أنني مريض، بل تعني التأكد من عدم تعرضي لنوبة اكتئاب أو لتحديد الخطة العلاجية، التي أحتاجها حسب المرحلة التي أعاني فيها وحسب شدة المرض أيضاً.

فعندما يشعر الشخص بالحزن أو يلاحظ الآخرون ذلك، أو يعاني من فقد الاستمتاع والاهتمامات لمعظم الأنشطة اليومية أغلب فترات اليوم وكل يوم لعدة أيام متتالية، فهذا يعني أنه ربما يعاني من نوبة الاكتئاب، ويتأكد ذلك عندما يصاحب ما سبق فقدان الشهية والوزن، وصعوبة الدخول في النوم أو أرق يتخلل النوم أو أرق في الصباح الباكر، والنوم أكثر من المعتاد أو النوم المتقطع، وعدم القدرة على الاستقرار في مكان أو الطرق باليد أو شد الشعر أو حك الجلد، أو بطء الحركة أو الكلام مع فترات صمت قبل الإجابة عن الأسئلة، والكلام بصوت خافت وعلى نغمة واحدة، ونقص كمية الكلام أو البكم، والشعور بالإجهاد أو فقدان الطاقة دون مجهود جسماني (تبدو أمامه المهام مستحيلة)، والشعور بالذنب المفرط وغير المناسب، وصعوبة التفكير أو صعوبة التركيز.

كل ما سبق لا يعني أنك مكتئب، لكن يعني أنك يجب أن تزور الطبيب النفسي.

العوامل والنظريات التي تفسر الاضطرابات الوجدانية

الوراثة بيولوجية فسيولوجية الضغوط

لا تزال الأسباب حتى الآن غير معروفة، ولذا يطلق عليها عوامل، ولاحظ العلماء وجود عوامل مختلفة سواء بيولوجية أو نفسية أو اجتماعية تشترك في ظهور الاضطرابات.

- الجينات الوراثية: كشفت الدراسات الأسرية ودراسات التوائم عن أدلة تشير إلى وجود عامل جيني له دور مهم في نقل الاضطرابات الوجدانية، فـ٩٠٪ من

مرضى الوجدان لديهم قريب من الدرجة الأولى يعاني من اضطرابات الوجدان، كما لوحظ ارتباط جيني بين ثنائي القطبية وكروموسومات ١١، ٥، إكس.

والخلاصة إن النتائج تدعم دور الجينات في اضطرابات الوجدان، وإن كانت المشاكل التي تواجه هذه الدراسات هي صغر حجم العينات مع صعوبة الحصول عليها.

• الأمينات الحيوية: لوحظ وجود علاقة سببية بين الأمينات الحيوية في الدماغ والاضطرابات الوجدانية، خصوصاً نقص ناتج أيض النورأدرينالين، ونقص مادة السيروتونين، ونقص نشاط الدوبامين، كما وجد دور لبعض الناقلات العصبية الأخرى، خصوصاً الجابا والبيبتيدات النشطة عصبياً، خصوصاً المورفينات الداخلية في بعض الاضطرابات الوجدانية.

• اختلال النشاط الهرموني: لوحظ وجود اختلالات هرمونية في مرضى الوجدان من خلال نقص إفراز الكورتيزون، وهو ما يشير إلى خلل في المحور الطرفي الهيبوثلامي النخاعي الكظري، ونقص إفراز الميلاتونين ليلاً (يوجد دواء حالياً يعمل عليه)، ونقص إفراز البرولاكتين، ونقص الهرمونات الجنسية (F.S.H & L.H.)، ونقص معدل التستوستيرون لدى الرجال، وأهم المحاور الهرمونية التي تتأثر في اضطرابات الوجدان هي (الكظرية الأدرينالينية والدرقية وهرمون النمو).

ولوحظ أن الاكتئاب انعكاس لنظام شاذ في إيقاع الساعة البيولوجية الداخلية، ويؤكد ذلك شذوذ نمط النوم في الاكتئاب مع التحسن العابر في الاكتئاب الذي يحدث بتأثير الحرمان من النوم، كما أن بعض التجارب على الحيوانات أشارت إلى أن مضادات الاكتئاب المعتادة فعالة في تغيير إيقاع الساعة البيولوجية.

• اكتئاب الدورة الشهرية وما قبلها وتوقف الدورة الشهرية في حالات اضطراب الوجدان الشديدة.

• اختلال الكهارل: حيث لوحظ زيادة الصوديوم المتبقي في حالات الاكتئاب بنسبة (٥٠٪)، وهناك أسباب طبية وعصبية للاكتئاب هي:

. بعض العقاقير: ومنها حبوب منع الحمل، ومقفلات البيتا، والأفيونات، والبنزوديازبين، والباربيتورات.

. أمراض عصبية مثل السكتة الدماغية، وأورام الدماغ، والتصلب المتناثر، والباركنسون.

. مرض الذئبة الحمراء الجهازي S.L.E..

. اضطرابات الأيض (الغدة الدرقية، الكظرية، مرض الكبد، نقص السكر بالدم، سرطان البنكرياس والقناة الهضمية).

• الخرف (الزهايمر، ومرض هنتنغتون).

العوامل الاجتماعية والبيئية

• لوحظ أن الظروف الحياتية الضاغطة في الطفولة (مثل فقد أحد الوالدين وطريقة التربية وتشدد الأم في معاملة الطفل والتربية الاعتمادية) تهيئ لحدوث الاضطرابات الوجدانية، كما أن فقد الزوج (أو الزوجة) والعزلة الأسرية والضغوط الاقتصادية أو الدينية قد ترسب الاضطرابات الوجدانية.

العوامل النفسية

• التفسيرات السيكودينامية للاكتئاب: ينظر للاكتئاب على أنه كبت للغرائز، وما ينتج عن ذلك من عدوان يرتد على الذات، فالمكتئب

الابتسامة تؤثر في الشرايين التي تغذي المخ بالدم فيزداد التدفق إليه مما يبعث في النفس الهدوء والإحساس بالبهجة والسرور

يفسر الفقد على أنه رفض، ولما كان ما فقده الشخص مصدراً للحب والتقدير، فإن المكتئب لا يستطيع أن يعبر عن غضبه صراحة، وبدلاً من ذلك يحوله إلى الداخل، وبذلك يشعر بالعجز، والشعور بالذنب، وعدم القيمة، وتجريم الذات، ويستخدم حيلة لا شعورية لإنكار الفقد تعرف بالاستدماج (Introjection)، حيث يتم استدماج الموضوع المفقود داخل الذات، ومن ثم يوجه إليه غضبه في صورة توجيه اللوم إلى الذات. وتؤدي أحداث الحياة التالية، كالفقد، إلى إعادة تنشيط هذه العملية وتفجيرها في الرشد لتظهر أعراض الاكتئاب. وعلى الرغم من أهمية التفسير السيكودينامي، فإنه ليس بالضرورة أن ينشأ الاكتئاب عن خبرات الفقد، فهناك الكثير من حالات الاكتئاب ممن لم يتعرض أصحابها لخبرات الفقد في طفولتهم، الأمر الذي يجعل هذا المنحى قاصراً في التفسير.

التفسير السلوكي للاكتئاب

المكتئبون يتلقون في الواقع إثابة أقل وعقاباً أكثر من الآخرين على ما يقومون به من أعمال من البيئة المحيطة بهم، كذلك فهم يميلون أيضاً إلى إعطاء أنفسهم إثابات أقل وعقابات أكثر لما يصدر عنهم من سلوك، كما أن ما يلقاه المكتئب من رعاية واهتمام من المحيطين به قد يعمل على إثابة السلوك الاكتئابي، ومن ثم تدعيمه.

التفسيرات المعرفية للاكتئاب

• المخطط المعرفي السالب (Negative Cognitive Schema): وترى أن لدى المكتئبين حالات معرفية سالبة تجعلهم يركزون على نواحي القصور والنقص والعيوب الشخصية فقط، مما يساعد على وجود المزاج الحزين، الذي يؤدي بدوره إلى الاكتئاب.

• العجز المكتسب للاكتئاب (Learned Helplessness Model): يرى هذا النموذج أن الأفراد يتعلمون بشكل صحيح أو خاطئ أنهم لا يستطيعون التحكم في النتائج السالبة في المستقبل، ونتيجة لذلك يشعرون بالعجز

الحقيقي، مما يرسب في الفرد اعتقاداً بأن المواقف غير السارة في المستقبل ستكون خارج نطاق سيطرته، ولن يستطيع التحكم فيها. ويكمن الفارق الأساسي بين كلا النموذجين في أن الأفراد ذوي المعارف السالبة يعتقدون أنهم مسؤولون عن الأشياء السالبة التي تحدث في حياتهم، بينما الأفراد ذوو العجز المتعلم يعتقدون أنهم عاجزون عن التحكم في الأشياء السالبة.

ملخص للعوامل النفسية

عدم النضج الانفعالي، وثنائية المشاعر، والشعور بالعجز المتعلم، والفهم الخاطئ للخبرات الحياتية، وتقويم النفس السالب، والتشاؤم واليأس، كلها عوامل نفسية تهيئ لحدوث الاضطرابات الوجدانية. والنموذج التحليلي كالتالي:

• فقد الحب يؤدي إلى نكوص الأنا إلى المرحلة الفمية فتسبب الاكتئاب.

• ازدياد الحاجات النرجسية (الحب) يؤدي إلى الاكتئاب.

التقييم النفسي الاكتئاب

باستخدام القياسات النفسية: لتأكيد التشخيص ومتابعة العلاج

. التقويم المقنن للاضطرابات الاكتئابية المراجعة الخامسة: Standerdised Assessment of Depressive Disorders 5th Rivision-، وهو يصلح لتقييم شدة الاكتئاب، لكنه لا يصلح للتشخيص.

. مقياس تقدير هاملتون للاكتئابHamilton Rating scale for Depression، ويستخدم بواسطة الطبيب النفسي لقياس شدة أعراض الاكتئاب، ويفيد جداً في متابعة العلاج بشرط أن تتباعد الفترات (٢-٣ أسابيع).

. مقياس قائمة بيك للاكتئاب Beck Depression Inventory، وهو يعتمد على التقدير الذاتي بواسطة المريض، ولا يفيد في مرضى الاكتئاب الشديد جداً، كما أنه سهل الاستخدام لمن يجيد القراءة.

استراتيجية العلاج في مريض الاكتئاب

• مكان العلاج: يعالج أغلب المرضى في المنزل مع زيارات متكررة إلى الطبيب إلا في حالة وجود محاولات انتحارية وأعراض شديدة، ووجود مرض طبي خطير في القلب أو الكبد أو الكلى، وعدم وجود رعاية منزلية جيدة، وفشل العلاج في المنزل سابقاً.

نوع الدواء والجرعة

يتم استخدام دواء من مضادات الاكتئاب ومن أشهرها:

- مضادات الاكتئاب ثلاثية الحلقات ومن أشهرها التربتزول، وأنا فرانيل.
- مضادات إعادة اخذ السيرتونين SRI، ومن أشهر الأدوية في هذه المجموعة فلوكساتين، ولوسترال.
- مثبطات إعادة التقاط السيروتونين والنورأدري ناليين S.N.R.I.، مثل فينلافاكسين Venlafaxine، وإيفكسور Effixor.
- مثبطات السيرتونين والميلاتونين MT1 MT2 5HT2c، وهو أحدث علاج في ٢٠١٠، ويسمى فالدوكسان Valdoxan

. مثبطات الإنزيم المؤكسد للأحماض الأحادية M.A.O.I: وتستخدم في الاكتئاب غير النمطي مثل ١- فينلزين Phenelzine ونارديل (Nardil)، ويشترط في حالة التوقف عن هذه المركبات ألا يتم قطع العلاج فجأةً ويكون الانسحاب تدريجياً، حيث تخفض الجرعة كل ٤-٥ أيام.

.مثبطات إعادة أخذ الدوبامين مثلبوبروبيون Bupropione، والبيتارين Welbutrin بجرعة ٢٠٠-٣٠٠ ملغم يومياً.

. مثبطات إعادة أخذ النورأدرينالين NRI، مثل سيمبلتا Subalta .

. جلسات العلاج بالكهرباء: خاصة الاكتئاب المصاحب بميول انتحارية والشديد وتكون مصاحبة بالعقاقير.

• العلاج النفسي (فردي، أسري، أخرى).

• المتابعة باستخدام القياسات النفسية والملاحظات الطبيبية والتمريضية.

شرح الخطة العلاجية

• المرحلة الحادة، وهي تستمر لمدة ٤-٦ أسابيع (الحجز في المستشفى أو العلاج في المنزل حسب المعايير التي ذكرت في الخطة، وعمل الاستقصاءات النفسية لتأكيد التشخيص أو للمتابعة، وعلاج دوائي حسب معايير اختيار الدواء في الخطة العامة، وعلاج نفسي تدعيمي وسلوكي، وإرشاد أسري).

• المرحلة المكملة، وهي تستمر لمدة ٤-٦ أشهر (استمرار العلاج الدوائي على نفس الجرعة التي تحسن عليها المريض، وعلاج نفسي معرفي سلوكي، أو تحليلي تبصيري، تفاعلاتي، أسري، وعمل الاستقصاءات النفسية للمتابعة).

• المرحلة المستمرة، وتستمر لعدة سنوات (تتم مع الاكتئاب المزمن أو المتكرر).

كيف نحمي أنفسنا من هذا المرض؟

يمكن الوقاية من هذا المرض ومحاولة منعه عن طريق التعامل مع العوامل السابقة من خلال نشر أنماط التربية الصحيحة، وزيادة التواصل بين الآباء

والأبناء، وزيادة استقلالية الأبناء، ونشر مفهوم الهواية والرياضة في المجتمع، وتفعيل دور الاختصاصي النفسي في المدارس وتدريبه على سرعة اكتشاف المرض بين الطلاب.

الغذاء والاكتئاب

ترى الدراسات زيادة الاهتمام بأنواع معينة من الأغذية، مثل القرنبيط، والبروكلي، والخضراوات الورقية، والخضراوات المحببة، مثل الفاصوليا، والعدس والحمص، والنشويات قليلة الدسم (البطاطا، والفشار، والباستا)، حيث تحتوي هذه الأطعمة على مضادات الأكسدة، وحمض الفوليك، وقد وجدت الأبحاث أن لهما دوراً كبيراً في تقليل خطورة حدوث الاكتئاب.

ووجدت الدراسات أيضاً أهمية الأسماك، خصوصاً أسماك التونة والسلمون في منع حدوث نوبات الاكتئاب، وكذلك الفاكهة الطازجة، حيث تحتوي هذه الأطعمة على مضادات الأكسدة أيضاً.

وتنصح الأبحاث أيضاً بالتقليل من الأطعمة المحفوظة، والمقليات، واللحوم المصنعة والحلويات، وذلك لاحتوائها على أحماض دهنية مشبعة مما يساعد على زيادة حدوث المرض في الأشخاص الذين لديهم استعداد كبير له.

بينما يهتم الشق العلاجي بنشر أعراض المرض إعلامياً مما يساعد في سرعة توجه المرضى للعلاج، والانتظام على العلاج الدوائي والنفسي لمدة لا تقل عن ستة أشهر لمنع تكرار المرض وحتى لا يصبح مزمناً، وتغيير نمط الحياة سلوكياً من خلال:

. الابتسام: أثبت أحد البحوث العلمية أخيراً أن الابتسامة تؤثر في الشرايين التي تغذي المخ بالدم فيزداد التدفق إليه مما يبعث في النفس الهدوء والإحساس بالبهجة والسرور.

. تغيير الروتين (السفر، تغيير المنزل، تغيير العمل، التجديد في الزيارات..).

. الاستمتاع بالترفيه المباح: استمع إلى أغنيتك المفضلة.. خصوصاً تلك التي لها تأثير إيجابي وتعطيك شحنة عاطفية إيجابية محببة لك، حاول أن تشاهد بعض شرائط الفيديو المرحة أو الأفلام المرحة الكوميدية والمحببة لنفسك.

. الانخراط في أنشطة بدنية: أظهرت الدراسات أن رياضة الجري تعادل في فاعليتها فاعلية العلاج النفسي في معالجة حالات الاكتئاب البسيطة والمتوسطة.

. عدم الاسترسال في الأفكار السلبية: الأفكار السلبية تصبح أمراً يحدث من تلقاء نفسه ومن العسير عليك أن تقاومها. احمل معك مفكرة بالأمثال والأقوال المأثورة التي تعطيك مفاهيم إيجابية عن الحياة، واسترجعها إذا شعرت بالاكتئاب، مثل (المتفائل يرى في كل نكبة فرصة) (الحياة مجموعة اختبارات يمكن تجاوزها) (كل شيء يمر، أليس الأمس قد مضى كذلك الغد سيمر، وكذلك المشكلات).

. اكتب أي خواطر تدور في ذهنك: لأن الكتابة تساعد الذهن على التخلص من الإحساس بالبؤس والشقاء وتقطع دائرة التفكير المرضي المستمر.

. المخالطة والمجالسة: أظهرت إحدى الدراسات التي نشرت أخيراً في مجلة «اسينشيالز» البريطانية أن الصداقة تحميك من الاكتئاب، كما أن الأصدقاء يساعدون أيضاً في التقليل من خطر الإصابة بأمراض القلب ويعملون على تعزيز نظام المناعة. لاعب أطفالك بعض الوقت بألعابهم.

. القراءة: اقرأ أي شيء، وكل شيء.. اذهب إلى المكتبة واختر الكتب التي كنت ترغب في قراءتها منذ مدة طويلة.. ثقف نفسك واطلع على الكتب التي تحوي معلومات عن الاكتئاب وأعراضه وكيفية التخلص منه، والكتب التي تحوي تجارب بعض الذين عانوا من الاكتئاب واستطاعوا التغلب على هذا المرض.

. خذ دشاً دافئاً يومياً، وتعطر بعد ذلك بالعطر المفضل لديك.

. اقض بعض الوقت في مشاهدة الطبيعة، خصوصا ذات اللون الأخضر.

وفي الختام نقول إن الاكتئاب مرض أوجد الله تعالى له العلاج، لكننا أحياناً نهمل ذلك مما يجعله مزمناً وملازماً للشخص، فعلينا بالوقاية، لأنها خير من العلاج. ■■

المراجع

• الطب النفسي بين القديم والمعاصر، علي اسماعيل، مكتبة دار اليقين ٢٠١٠.

• Alexopoulos GS. The vascular depression hypothesis: 10 years later. Biol Psychiatry. 2006;60:1304-1305.

• Allan V. Horwitz, PhD and Jerome C.Major Depressive Disorder or Normal Sadness?| November 1, 2008

• Bhalla RK, Butters MA, Mulsant BH, et al. Persistence of neuropsychologic deficits in the remitted state of late-life depression. Am J Geriatr Psychiatry. 2006;14:419-427.

• Gorwood P, Corruble E , Falissard B , Goodwin GM. Toxic effects of depression on brain function: impairment of delayed recall and the cumulative length of depressive disorder in a large sample of depressed outpatients. Am J Psychiatry. 2008;165:731-739

• Hranov LG. Comorbid anxiety and depression: illumination of a controversy. Int J Psychiatry Clin Prac. 2007;11:171-189.

• Mohamed S, Osatuke K, Aslam M, Kasckow J. Escitalopram for comorbid depression and anxiety in elderly patients: a 12-week, open-label, flexible-dose, pilot trial. Am J Geriatr Pharmacother. 2006;4:201-209.

• Pettit JW, Lewinsohn PM, Seeley JR. Effect of maternal depression on child behavior: a sensitive period? J Am Acad Child Adolesc Psychiatry. 2010;49:699-707

• Quevedo L, da Silva RA, Coelho F, et al. Risk of suicide and mixed episode in men in the postpartum period. J Affect Disord. 2011 Jan 27; (Epub ahead of print).

قلم الحبر «القلم النباع» اخـــ

بقلم | سهير أبوبكر الشاذلي*
sohiralshazly@yahoo.com

طالعت في عدد «الخفجي»، مارس – أبريل،٢٠١٣ مقال «الحبر رحيق اليراع» في رواق العدد، واستوقفتني فقرة بعنوان «لويس وترمان مخترع قلم الحبر الحديث»، لذا كان هذا التعقيب:

القلم صغير الرسم، نحيل الجسم، خفيف الحمل، جميل العلم، كبير العزم، طويل الجهد، قوي الواقع، سيف إذا سل، غيث إذا همل، به تكتب المناجاة، وتمحى المعاناة، به يرسم الخيال، ويوضح الجمال، به يفرج عن المكروب، ويواصل المحبوب، يحتاجه الناس، وهو دائم رافع الرأس، فإذا نكس برأسه أينعت له رؤوس، فكتبه هو المحسوس، وهو يوجد في كل مكان، لأنه لا يستغني عنه إنسان، وهو الموثق، وهو المشوق، وهو المعوق، يبقى تأثيره، إلى أجيال كثيرة.

والقلم: ما يكتب به، قلم العود يقلمه قلماً: قطع منه شيئاً. ويقال: قَلَم القلم ونحوه: براه.

وقَلَم الظفر: قص ما زاد منه، ومنه القلم لأنه يقطع شيء من طرفه ليسوى، فهو على وزن فعل بمعنى مفعول، مثل سلب وقدر، كما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم.

والقلم أيضاً يطلق على السهم أو القدح – يجال بين القوم في القمار أو القُرعة وجمعه أقلام وهو جمع قلة وكثيراً ما يستعمل في الكثر.

وفي المعجم الوجيز: القلم: ما يكتب به وقلم الحبر: قلم مداده مخزون لا يسيل على سنه إلا وقت الكتابة.

وقلم الرصاص: قلم سنه من الجرافيت لا مداد له.

ويقال جف القلم: قضي الأمر وأبرم.

وعند الخطاطين: نوع من الخط. يقال مثلاً: يكتب بالخط النسخي.

وفي اصطلاح الدواوين: قسم من أقسام الديوان...

الجمع أقلام، والقلامة: ما قطع من طرف الظفر أو الحافر أو العود.

وقلامة الظفر: مَثَلٌ في القلة والحقارة يقال: لم يُغنِ عني قلامة ظفر.

والمقلمة: وعاء الأقلام.

ولقد تعددت مسميات القلم – الذي هو أداة الكتابة – فمنها المذبر أو المزير الذي يزير به، أي يكتب به، وقيل اليراع، والمرقم، ولكن أكثر هذه التسميات شيوعاً القلم.

وقد تعددت الآراء كذلك حول اشتقاق هذه التسمية، فقيل القلم، لأنه قُلِم أي قُطِعَ وسُوي كما يقلم الظفر، وكل عمود يقطع ويجز رأسه ويقلم بعلامة فهو قلم. وكذلك قيل للسهام أقلام، قال الله تعالى: "إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم" (آل عمران، ٤٤) وكانت سهاماً مكتوبة عليها أسماؤهم. وذكر القلقشندي أنها سميت أقلاماً لاستقامتها كالقداح.

وقيل هو مأخوذ من القُلام وهو شجر رخو، فلما ضارعه القلم سمي قلماً.

وتكشف أقوال الحكماء والبارزين في التاريخ الإنساني كله عن منزلة القلم وأهميته، ويكفي أن نشير إلى أن أثره فضيلة الخط الذي هو – لسان اليد –، ورسول الضمير، ودليل الإرادة الناطق عن الخواطر، وسفير العقول، ووحي الفكر وسلاح المعرفة، ومحادثة الأخلاء على التنائي وأنس الإخوان عند الفرقة، ومستودع الأسرار، وديوان الأمور، وترجمان القلوب، والمعبر عن النفوس، والمخبر عن الخواطر، وموروث الآخر مكارم الأول، والناقل إليه مآثر الماضي والمخلد له حكمته وعلمه، والمسامر للعين بسر القلب، والمخاطب عن الناصت، والمجادل عن الساكت، والمفصح عن الأبكم، والمتكلم عن الأخرس.

صُنِعَ القلم قديما من لب الجريد الأخضر، لكن استخدام القصب – نوع من البوص– في صناعتها كان سائداً، لما له من مزايا، فالأقلام المصنوعة من القصب تظهر قواعد الخط، وهي سهلة الاستعمال، وطوع يد الكاتب يقطعها كما يشاء، بحسب حجم الكتابة ونوع الخط، بالإضافة إلى أن متانته تسمح بكتابة رفيعة جداً.

وهناك أدوات ارتبطت بالقلم لا يصح إلاّ بها، سواء التي تستعمل في صناعته، كالمبراة أو السكين والمقط وغيرها، أو أدوات الكتابة كالدواة، أو المقلمة التي يحفظ بها أو يوضع فيها، والتي كانت غالباً متصلة بالدواة ونادراً ما انفصلت عنها.

وبراية القلم كانت من العمليات الأساسية في صناعته، إذ القلم لا يسمى قلماً حتى يبرى، وإلا فهو قصبة. وكانت السكين هي الأداة المستعملة في بري القلم ونحته وشقه، ثم قطعه ليعاد بريه، من حين إلى آخر.

وكانت الأقلام المصنوعة من القصب تحتاج إلى أدوات أخرى حتى يمكن الكتابة بها، فهي في حاجة إلى الدواة التي تمدها بالمداد، وكذلك كانت تستخدم أدوات أخرى لتنظيف القلم والمحافظة عليه كالوقيعة: وهي خرقة يمسح فيها الكاتب قلمه، وكذلك الرغميد أو الغلاف أو القمجار وهو ما يدخل فيه القلم للمحافظة عليه.

وتعد المقلمة من أشهر أدوات الحفاظ على الأقلام، وقد تكون من الدواة نفسها، أو تكون منفصلة عنها، وقد لا تعد من آلات الكتابة لكونها من جملة الدواة غالباً.

وقد سعى المسلمون إلى تطوير القلم، بحيث يكون أداة متكاملة لا حاجة له إلى الدواة التي تمده بالمداد، والتي تلازمه ملازمة دائمة، ويصعب حملها والتنقل بها في كل وقت.

وقد حدث هذا التطوير في بداية القرن الرابع

* قاصة وكاتبة مصرية.

ـــــتراع عربي إسلامي

الهجري/ العاشر الميلادي على يد الخليفة الفاطمي البارز المعز لدين الله الفاطمي، وكان ذلك بتخيل الصورة التي يكون عليها قلم ممتلئ بالحبر في جوفه، ولا يحتاج إلى دواة معه، ووصف هذا التخيل للصانع ومتابعة التنفيذ.

قلم الحبر اختراع عربي إسلامي

قد يعتقد الكثيرون أن قلم الحبر الذي نعرفه اليوم هو من اختراع الأمريكي لويس أديسون وترمان في القرن الثامن عشر، إلا أن المتتبع لتراثنا العربي يجد أن ذكر القلم الحبر قد ورد في إحدى المخطوطات العربية التي ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية.

هذه المخطوطة هي كتاب «المجالس والمسامرات» لأبي حنيفة النعمان، حيث يذكر فيه أن المعز لدين الله الفاطمي هو أول من أوعز لاختراع أقلام الحبر التي تحوي مخزنا للحبر، فقد جاء في هذا الكتاب أن المعز لدين الله الفاطمي ذكر القلم فوصف فضله، ثم قال في حضرة القاضي النعمان بن محمد: «نريد أن نعمل قلماً يكتب به بلا استمداد من دواة، ويكون مداده من داخله، فمتى شاء كتب به ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد، وكان القلم منه ناشفاً، ويجعله الكاتب في كمه فلا يرشح شيء من مداده، فيكون آلة عجيبة، لم نعلم أنا سبقنا إليه، ثم يكون دليلاً على حكمة بالغة، فقلت ويكون هذا يا مولانا؟ قال: يكون إن شاء الله، فما مرت بعد ذلك إلا أيام حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة بقلم من ذهب، فأودعه المداد على مقدار الحاجة، وكتب به فكتب، وزاد شيئاً من المداد، فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه، وجاء به وكتب به أحسن كتاب، ثم رفعه عن الكتاب، فأمسك المداد، وهو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية، فلا يبدو منه شيء من المداد، فإذا أخذه الكاتب وكتب به أحسن كتاب ماشاء أن يكتب به، ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد، فرأيت صنعة عجيبة، لم أكن أظن أني أرى مثلها».

وهذا ما تعترف به المؤرخة ألبرتين قور في كتيبها «مواد الكتابة في المشرق»، حيث تقول: «إن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أمر بأن يصنع له قلماً يحمل حبره وينساب الحبر إلى ريشته ذاتياً عند الكتابة بحيث لا تتسخ ملابسه عند حمله، فصُنع له قلم بهذه المواصفات من الذهب الخالص»،

وبذا يكون الخليفة المُعز هو المخترع الأول لقلم الحبر السائل.

والمعز هو معد بن اسماعيل بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمي العبيدي، أبو تميم: صاحب مصر وأفريقيا، فتح بلاد المغرب ومصر، واختط مدينة القاهرة. ولد عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م، ومات عام ٣٦٥هـ /٩٧٥م، قدم إلى القاهرة ٣٦٢هـ، وهو رابع الخلفاء الفاطميين، وبدت الدولة الفاطمية في أوج قوتها في عهده، ومن بعده جاء من يطور فكرة المعز ويصبح الحبر جافاً ليكون بالصورة التي عليها هذه النوعية من الأقلام الآن.

أول هؤلاء هو العالم العربي الإسلامي

أبو القاسم عباس بن فرناس بن فرداس القرطبي مخترع وفيلسوف وشاعر أندلسي من قرطبة. عاش في عصر الخليفة الأموي الحكم بن هشام وعبد الرحمن الناصر لدين الله ومحمد بن عبد الرحمن الأوسط في القرن التاسع للميلاد. كان له اهتمامات في الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء. اشتهر أكثر ما اشتهر بمحاولته الطيران، إذ يعده العرب والمسلمون أول طيار في التاريخ.

توفي في حدود العام ٨٨٧ م. عاصر الأمراء الثلاثة: الحكم بن هشام وعبد الرحمن بن الحكم ومحمد بن عبد الرحمن (١٨٠-٢٧٤هـ/ ٧٩٦-٨٨٧م)،

حيث مارس نشاطه العلمي والفكري، وقام بتجاربه في جو من الحرية والتشجيع لم يوجد في عصر آخر، وهذا المناخ هو الذي أفرز علماء الأندلس المسلمين وأفذاذها، الذين استطاعوا تحقيق أروع الكشوفات في ميادين العلوم التجريبية، ومهدوا الطريق للأجيال اللاحقة من علماء العصر الحديث.

ومن مخترعات عباس بن فرناس ما شابه القلم الحبر، وهو آلة اسطوانية الشكل تستخدم للكتابة والخط وتغذى بالحبر فكان واضحاً وأفاد النساخ والكتاب، حيث سهل مهمتهم في الكتابة والنسخ، ووفر عليهم مؤونة حمل الأقلام والمحابر أينما ذهبوا. وهذه الآلة هي بمنزلة قلم الحبر المعروف في الوقت الحالي، وبذلك يكون عباس بن فرناس قد سبق مخترعي الأقلام الحديثة بمئات السنين. وأوجد هذه الآلة التي تشكل أهمية كبرى في نشر العلم والمعرفة والثقافة على نطاق واسع، كما أنه ابتكر كثيراً من الأدوات التي أعانته في تنفيذ أفكاره وابتكاراته، ويقال إنه ابتكر أشياء طريفة عجيبة وكثيرة، لكن تفاصيلها فقدت آثارها.

يشير أبو بكر الزبيدي إلى أنه كان من أهل الذكاء والتفحم على المعاني الدقيقة والصناعة اللطيفة، كما يذكر ابن حيان: «أبدع إبداعات لطيفة واختراعات عجيبة». ■■

المراجع

القرآن الكريم.

د. سهير الدفراوي المصري، القراءة والمخ، مجلة العربي، العدد ٦٢٢، شوال ١٤٣١هـ، سبتمبر ٢٠١٠م

د. علي عفيفي غازي، نشأة وتطور الخط العربي في الإسلام، المجلة العربية، العدد ٤٠٥، شوال ١٤٣١هـ، أكتوبر ٢٠١٠م.

ابن منظور، لسان العرب، الجزء الثالث، مادة (قلم)، طبعة بولاق ١٣٠٨هـ.

الزبيدي، تاج العروس، الجزء التاسع، مادة (قلم)، دار القلم القاهرة، بدون تاريخ.

الثعالبي، فقه اللغة، دار الكتب المصرية ١٩٥٤م.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الجزء الرابع، طبعة بولاق ١٢٧٢هـ.

شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون العرب، ج١١، دار الكتب المصرية ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م.

عبد العزيز الميمني الراجكوتي، الطرائف الأدبية، سلسلة الذخائر١٨١، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٩م.

حسن الكرمي، قول على قول، دار لبنان للطباعة ١٩٦٩م.

أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، الحكم والأمثال، تحقيق محمد دبوس وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث ٢٠٠٦م.

الجاحظ، البيان والتبيين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ٢٠٠٨م.

صلاح عبدالستار الشهاوي، عباس بن فرناس أول رائد فضاء في التاريخ، مجلة حراء، العدد ٢٧ نوفمبر – ديسمبر ٢٠١١م.

العمارة الإسلامية

«علم العمارة الذكية»

بقلم: أ.د.إيمان مسعود *
emesoud@hotmail.com

تقف العمارة الإسلامية حتى الآن شامخة تتحدى الزمن وربما تسخر من العمارة الحديثة، التي من المفروض أنها نشأت في ظل تقدم تكنولوجي، ومناخ علمي تجريبي، وخبرات واسعة في الهندسة والمعمار، الأمر الذي وفر من الأدوات الميكانيكية والمادية ما يساعد على الإنجاز والدقة والتوسع والتنوع بلا حدود.. ولا نزال نرى أبناء الحضارة الغربية المعاصرة يقفون في خشوع أمام بوابة أي مبنى من المباني الكثيرة، التي بنيت في ظل العصور الإسلامية المتقدمة، كالمساجد والخانقات والوكالات والتكايا والأسبلة والأضرحة والخانات والأرباع وغيرها، حتى وصفت بأنها العمارة الذكية.

وأخذت كل الفنون من بعضها بعضاً، ففن العمارة الإسلامي أخذ أول الأمر عن الحضارة الهلينيستية التي كانت سائدة قبل الإسلام، في بلدان أوروبا الشرقية، وكل الأماكن التي وقعت تحت نفوذ الإمبراطورية الرومانية، ثم ما لبثت أن تطورت العمارة الإسلامية وأصبح لها طابعها الخاص الذي يعكس جوهر الفكر الهندسي والبنائي الإسلامي، الذي يقف أمامه اليوم دعاة التخطيط المحدثين بانبهار وإعجاب، يصل إلى حد وصف هذا الفكر بأنه إعجاز خرافي. ويشتهر دعاة التخطيط العمراني الجديد بإعادة تصميم الضواحي المعهودة، كالمدن الصغيرة، على أسس من هذا الفكر الإسلامي المتحضر حتى فيما يتعلق بالتخطيط الحضري أو الريفي أو الإقليمي.

استفادت العمارة الإسلامية من العمائر الهلينيستية، التي كانت بعض الحليات المعمارية فيها على شكل ورقة عنب منحوتة في الحجر أو من الجص، وكانت هذه الورقة بارزة التفاصيل أو لنقل التضاريس، وقد ظهرت هذه الورقة على تلك الهيئة في العمائر الإسلامية المبكرة، لكن مع الزمن، حدث تطور تحت تأثير التجريد في الفكر الإسلامي، فأسقط الفنان المسلم من اعتباره تلك التفاصيل الكثيرة لورقة العنب، واستطاع أن ينفذ إلى الجوهر فوجد أن لها عروقاً خمسة وأطرافاً خمسة، وأن شكلها الهندسي المجرد هو الشكل الخماسي، وأحياناً، ومن رؤية أخرى، يمكن أن يصبح الشكل سداسياً.. وبدأت الأشكال الهندسية تأخذ طريقها لتصبح من الملامح الأساسية للفن الإسلامي، فإذا تأملت منبراً لمسجد أو محراباً فستجد أن نقوشه

* كاتبة وناقدة مصرية، وفنانة تشكيلية.

قد تكون تفعيلات لشكل هندسي واحد وربما ترديداً لهذا الشكل ليصبح المجموع كلاً واحداً، وهذا يوحي إلينا بفكرة الكل الواحد، كما أن الخطوط التي صنعت تلك الأشكال الهندسية يمكن أن تمتد إلى ما لا نهاية، وتظل تعطينا الأشكال نفسها، فلا نعرف من أين بدأت، ولا أين ستنتهي، وهذا يعيدنا إلى فكرة الأول والآخر أو الأزلية والأبدية، كما أن تلك الأشكال الهندسية، عندما تتكرر وتتجاوز طولاً وعرضاً، تنشأ بين وحداتها أشكال هندسية أخرى تكاد لا تظهر من النظرة الأولى، وهنا تبرز لنا فكرة الظاهر والباطن، أو النهار والليل، وربما تذكرنا بالموجب والسالب وهما عنصرا الحياة.

إذن فهذه الزخارف الهندسية، التي حفلت بها العمائر الإسلامية هي انعكاس لفكر وفلسفة معينين، وهي زخارف إذا تأملتها بفكر صاف، رفعتك إلى طبقات أعلى من الفكر المجرد، وهي تبعث بموسيقاها لمن يحسن الاستماع، فالعمارة الإسلامية أخذت أشكالاً عديدة حسب تنوع أغراضها، بين مسجد وضريح وخانقاه (دار يقصدها الصوفيون للعبادة والتنسك) وتكية (مكان لإيواء الدراويش العابرين أو المنقطعين للعبادة) وسبيل «لشرب الماء» وخان «ويسمى أيضاً وكالة، وهو مبنى مخصص لإقامة المسافرين العابرين أو قوافل التجار، وله مداخل ضخمة وصحن مكشوف وأماكن لربط الدواب وأماكن لإيداع البضائع وحوانيت تفتح أبوابها على الطريق، وأدوار عليا للسكنى»، وسوق وحمام وسور وبوابة، ومبخرة وسكن خاص. ولأن المسجد يحتل المكانة الأولى بالنسبة للعمارة الإسلامية باعتباره مكاناً للعبادة، الأمر الذي اقتضى ضرورة ضخامته وعظمته المعمارية.

العمارة الإسلامية.. فلسفة عصرية

الإنسان المعاصر عندما يتأمل شكل البناية الإسلامية يراها مبنية على فلسفة معمارية واضحة البيان للعيان، حتى لمن لا يفهم في أمور الفلسفات، إنما الحكمة المتمثلة في شكل البناء وموقعه، وحداته وتنوعها، طوله وعرضه، مساحته، متانته، كل ذلك ينطق بأن وراء هذه التحفة الفنية الرائعة تقدماً هائلاً في العلوم الهندسية وعلوم الجمال، ولا بد أن يصيبه الذهول من فظاعة النسبة بين حجمه البشري وشموخ البناء، والشكل الذي فيه، ففي كل سنتيمتر مكعب يبدو البناء من الداخل كأنما هناك يد جبارة صبورة قُدت من الصلب و«لضمت» خيوط الصخر في «إبرة»، وطرزت بخيوطه الملونة تشكيلات زخرفية في أشكال هندسية تارة، وفنتازية تارة أخرى، ما بين أصداف وأحجار كريمة وأخشاب من فرط أصالتها استحقت أن تطعم بالذهب والفضة والإبريز.. ما هذه الأيوانات والقباب التي تجعل من الكتلة الواحدة عدداً من الكتل المتناسقة، ومن المساحة الضيقة رحابة ومرونة، وتضفي على البقاع ثراء لا حدود له، تستطيع من دون مبالغة أن تجلس في غرفة كصحن مسجد قايتباي – مثلاً– الذي أصبح علامة مسجلة مرسومة على عملة الجنيه المصري، أقول تستطيع أن تجلس في صحن هذا المسجد منذ مولدك إلى قيام الساعة دون أن يصيبك الملل أو تشعر برغبة ملحة في الاتصال بالعالم الخارجي. فلو رفعت بصرك وأنت جالس على المصطبة الملاصقة للجدار الخلفي ورميته في اتجاه القبلة، لطالعك ديوان مهيب عظيم مشغول بالمقرنصات والخطوط المتداخلة في صور شعرية رصينة تنقلك إلى عوالم شتى. ولو نظرت إلى أعلى قليلاً تقع صريعاً في أسر هذا الجمال الخرافي، سيمفونية الألوان كلها

الأشكال الهندسية بدأت تأخذ طريقها لتصبح من الملامح الأساسية للفن الإسلامي

بكامل هيئاتها تتألق مشعة بالضوء، كل لون بمعزوفته المشتعلة الملتحمة في نفس الوقت بالمعزوفة اللونية الكلية، فيأتيك النغم، نغمها العظيم من خلال زجاج معشق في رأس كل نافذة بشكلها المخروطي.

وإذا كانت سيمفونية الألوان تتألق في كل نافذة على حدة، فإن مجموع النوافذ المتجاورة على استطالة الجدار يكون سيمفونية أخرى، لكن العين ترى الأفق المطل على جنة الخلد فعلاً، نفس التكوين في جميع الحوائط، فأعلى الحوائط مطرز بمربع النوافذ المتجاورة، التي تدفق على صحن المسجد ألواناً لا نهاية لها من الانسجام النفسي والهدوء المنقطع النظير، الهدوء الذي لا يمكن أن يتوافر بهذا القدر إلا في مكان كالجنة مثلاً، فتراك تتزحزح فوق المصطبة كطفل صغير يريد أن يلهو في هذا البراح الرخامي من مربع إلى مربع حتى يصعد إلى المصطبة اليمنى الداخلة كجناح مستقل مربع الشكل يفضي إلى النافذة الكبيرة المطلة على زاوية أخرى من الشارع، ذلك يبدو لك من خلف المربعات النحاسية، التي تبدو كأنها حبال مجدولة من النحاس، تحدد العقد مساً يعبر أمام عينيك في الشارع، حتى إذا ما أوشك على الاختفاء، كشفه لك الشباك الملاصق لها الذي يفتح على الزاوية المختفية، ولك أن تنظر بجانب عينيك في هذا الشباك أو بالمواجهة في الشباك المواجه، فإنك ستستمتع بالرؤية في أيهما، بل كليهما معاً، هذا إذا أردت النظر للخارج.

أغلب اليقين أن النوافذ العالية المطرزة بالألوان المتألقة لا بد أن تضع لعينيك أرضية من التحليق السامي، فتصبح نظرة عينيك كطائر هدهدته أبسطة من الألوان المريحة المهدهدة لأعطافه، فبات غير راغب في النزول عنها، إنها ألوان ليست متناسقة، متضافرة، متكافئة فحسب، بل إنها كالأبسطة والسجاجيد لها وبر كثيف شديد النعومة، والأصالة تستكين للمسها النظرات، وتبغي السمو إلى أعلى فأعلى. وياله من علو ذلك الذي سيخطف البصر بمغناطيس.

إن العين، التي طارت وحلقت في الآفاق، محمولة على أوتار سيمفونية الألوان قد آن لها أن تسكن في سويداء هذه القبة العميقة التي تبدو من بعيد كأيكة أو عش لطائر، أما داخلها فعالم متكامل ذو ثراء بعيد المدى، وسرعان ما تصبح العين كهذا الطائر في عشه الحميم، سرعان ما تتقافز صاعدة هابطة رائحة غادية، ففي كل سنتيمتر مكعب لها فن جميل، إنك وأنت مستغرق في رؤية التفاصيل الدقيقة لهذه القبة تحس بأنها أبداً غير مغلقة، فأنت لا تفقد الشعور بأنك محصور في بقعة محدودة، فكل تفصيلة من هذه التفاصيل الفنية بتكوينها وألوانها مفتوحة على خلاء هائل يمرح فيه الخيال ويرتفع ويجوب ويحلق. إنني حين يقع بصري على مسيرة هذه القبة الساحرة أحس بأن هذا الفن الزخرفي، الذي طعم به هذا البناء الشامخ، لم يكن عبثاً، لم يكن مجرد زخرفة للزخرفة، لم يكن مجرد مخرج ينفس فيه الفنانون المسلمون عن طاقات فنية تشكيلية مكبوتة لديهم، إنما هي الإبداع الإنساني في أعلى مراتبه.

أن يصل الإبداع في التشكيل والتلوين والبنية إلى هذا الحد من الشفافية والشموخ لا بد أن يكون إبداعاً عظيماً، فقمة الفن في أعلى مراتبه تتحقق حينما ينجح في أن ينقل إليك الإحساس بالشموخ، كما أن ضآلة جسم الإنسان، وهو مقبل على بوابة كبوابة الفتوح أو باب النصر أو باب زويلة، أو بوابة الجامع الأزهر، أو جامع السيدة نفيسة، أو قايتباي أو برقوق، سرعان ما تتلاشى تماماً في موكب الزهو الذي يحفك وأنت في كامل الأبهة تصعد هذا المعراج الرخامي إلى مدخل المبنى، فكل مبنى لا بد أن تدخل إليه صاعداً، وهذه اللمسة المعمارية بادرة شموخ وعظمة، وإشارة زهو إلى العلو، لكنها تضفي عليك الأبهة وتمدك بدرج العلو، فإذا أنت تصعد إلى الرحاب الكريمة مشمولاً بالكبرياء والشموخ.

فضل العمارة الإسلامية على العمارة الغربية

هي إذن أبنية أعدت كي تزرع الإحساس بالشموخ والعزة والكبرياء في نفوس المسلمين، وكي تجذب الإنسان بسحرها إلى الداخل فإذا هو بعد خطوة أو خطوتين قد صار في رحمها! وإذا هي كلما سحبته إلى داخلها أعطته

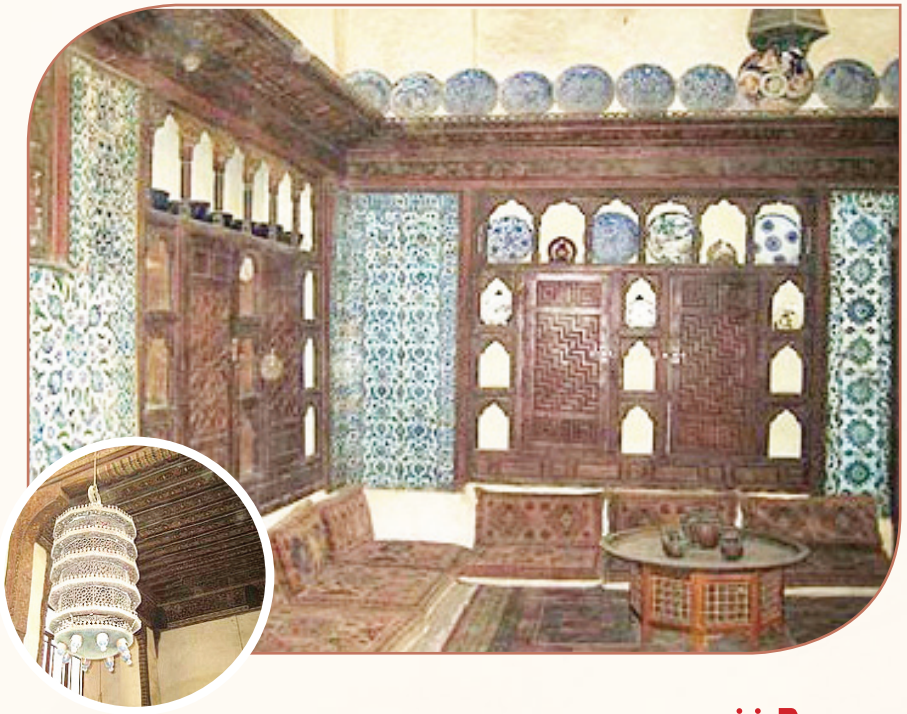

نفسها شيئاً حتى تضع يده على منطقة اللب، لكن بعد رحلة طويلة حافلة من المجاهدات والمكابدات والرياضات.. إنها أبنية كالحضارة التي أولتها، تعطيك نفسها بمظهر غاية في السمو والكبرياء والصلابة والقوة، وهذا المظهر كالصدفة السميكة الجميلة التي تخفي في جوفها اللؤلؤ، وأن النفس لتجد لذة كبرى في محاولة اختراق هذه الصدفة والوصول إلى اللؤلؤ.

لو تصورت نفسك سائراً في شوارع القاهرة القديمة في العصور الوسطى الإسلامية، فإن منظر السبيل – أي سبيل من الأسبلة الكثيرة التي اشتهرت بها القاهرة والتي لايزال بعضها قائماً بنفس الشموخ في نفس المكان حتى اليوم – لا بد أن يجذبك من بعد كبير، فهو دائماً في موقع مختار بعناية، وهو دائماً، كالفنار يخطب ود بصر القادمين من هنا أو من هناك، مبهور بسيمفونية الأوان، والمرء لا بد أن يقشعر بدنه من فرط الشعور بالبهجة والاغتباط بمجرد وقوع بصره على هذه التحفة المعمارية التشكيلية في أيام جدتها، وإنه ليشعر اليوم وهو يراها بعد أن تراكمت عليها القرون بما يصل أحياناً إلى أكثر من ستمئة عام وربما ألف عام، وبعد أن تراكم عليها الهوان، فما بالك في عصور شبابها؟.

انظر إلى نظام الخانات، أو الوكالات، مثل وكالة الغوري مثلاً، هي النموذج الباقي من عدد من الوكالات، التي كانت في عصرها تحفاً فنية معمارية تزرى بفنادق العصر التي تقيمها الشركات العالمية لاجتذاب الزوار، تخيل نفسك مسافراً إلى القاهرة في العصور الوسطى الإسلامية، أو في العصر المملوكي مثلاً، وأنت تاجر ومعك دواب وبضائع وزاد، ولسوف تقصد الكريم في سوق القاهرة فجر وصولك ولعدة أيام، فأنت حينئذ تأخذ سمتك إلى وكالة الغوري، وإذا هي تستقبلك باسمة بسيمفونية الألوان في أحجارها وصخورها ومشربياتها المشغولة بفن الحفر، تتدلى من خلفها ومن تحتها ومن أمامها الفوانيس والثريات.. بوابة مهيبة مفتوحة على فناء كبير مربع تحوطه مباني الوكالة من الداخل، وتفتح عليه الأبواب، وتطل عليه شرفات الأدوار بأفاريزها الخشبية المشغولة الملونة.

هذه النماذج من المدن الإسلامية وثقافة عمارتها، استفاد منها علماء الغرب في التخطيط العمراني، وأضافوا وأبدعوا، وقد اشتهر دعاة التخطيط العمراني الجديد بإعادة تصميم الضواحي المعهودة، كالمدن الصغيرة، بيد أن مبادئهم مهمة أيضاً فيما يتعلق بالتخطيط الحضري والريفي والإقليمي، وقد كانت كلمة التوسع (Growth) تعني للأمريكيين دلالات إيجابية، كالحصول على عمل أفضل، وعلى محلات تجارية أفضل، وتعليم أحسن ونوعية حياة أيضاً، لكن ذكر الكلمة حالياً قد يجعلك تسمع استنكاراً قاسياً، إذ إنها ترتبط بالاختناقات المرورية والضرائب العالية والمدارس المزدحمة وزحف الأرصفة والمنشآت على المساحات الطبيعية، فكيف تسللت هذه الأزمات إلى أمة كانت تفخر بتوسعها على مدى ثلاثة قرون؟ أمة شعبها قام بتشييد كوكبة من القرى الجميلة والمدن الصغيرة والكبيرة على طول القارة وعرضها؟ فما الذي جعلها تغير نظرتها جذرياً؟.

لقد انتقد البعض حركة التخطيط العمراني الحديث تلك باعتبارها تركز على الضواحي، وذلك لأنهم لا يرغبون في العيش في نسخة جديدة من المدينة الأمريكية الصغيرة التقليدية، قد يفضلون أيضاً صخب المدينة أو هدوء الريف، بيد أن التخطيط العمراني الحديث يتسم بالعمومية، بحيث يستوعب أنماطاً متنوعة من البيئات البشرية (تماما كفكرة الخانات)، فهو يتصف باستراتيجية تخطيط شاملة تصلح لجميع أنواع التطوير من البرية النائية وحتى قلب المدينة المزدحم، والنظام المعروف باسم (المقطع المستعرض Transect) هو الآن دليل الكثير من المدن الجديدة ويجري تبنيه بوصفه قانوناً وشريعة في العديد من المقاطعات الأمريكية.

لقد استعير مفهوم المقطع المستعرض من علم البيئة، وهو مقطع مستعرض جغرافي لسلسلة من البيئات التي تتكون القرى والمدن بمقاييس مختلفة منها، فالمدن الكبرى تمتد حتى وسط حضري مكون من المباني مع قليل من الطبيعة – إن وجدت – وتحقق جميع القطاعات مجموعة احتياجات البشر ورغباتهم، واعتماداً على ملاحظاتنا حول المجتمعات النابضة بالحياة نجد أن هناك أموراً مشتركة بين أسس التصميم لكل جزء من المقطع وفلسفة الفكر المعماري الإسلامي، فهناك تداخل في السمات المتخيلة عند الحدود فيما بين الأجزاء، بما في ذلك الأجزاء الطبيعية والأجزاء المصطنعة التي صنعها الإنسان، مما يجعلها تتلاءم فيما بينها بصورة سلسة. ■■

قمة الفن في أعلى مراتبه تتحقق حينما ينجح في أن ينقل إليك الإحساس بالشموخ

أهم المراجع

• خيري شلبي، تراث الإسلام، العمارة الإسلامية «مقدمة تمهيدية»، القاهرة.

• هبة عنايت، من الفن الإسلامي، مقال، مجلة صباح الخير، القاهرة.

• د. عز الدين سليم علي، ذكاء علم التوسع العمراني الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

• أندريس ديواني، نظرية جديدة في التخطيط العمراني، مقال، مجلة العلوم، الكويت مارس / أبريل ٢٠٠٢.

• د. جويدان نبيل سليم علي، الفن الإسلامي بين الإبداع وقدسية الرسالة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ط١.

يسقط المطر تموت الأميرة.. لمنى الشمري
قلب رواية في جسد مجموعة قصصية

بقلم: سعدية مفرح*
saadia111@hotmail.com

لا أدري بالضبط لماذا تأخرت منى الشمري كل هذه السنوات الطويلة التي ربما تقترب من ربع القرن لتصدر كتابها الأول؟ كل الحجج التي سمعتها منها أو قرأتها أحيانا لم تقنعني ولن تغفر لها ذلك الذنب.

في مجموعتها القصصية الأولى والتي صدرتها هذا العام بعنوان «يسقط المطر تموت الأميرة»، تبدو منى وكأنها تعيد رسم الماضي بألوان من الحاضر، وهو ماض رغم قوة تأثيره وحضوره في ذاكرة الكاتبة الا انه حضور موشح بالوجع الخاص الذي يتشارك فيه كل شخصيات هذه المجموعة.

تنوعت الشخصيات تنوعا شديدا ولكنها تضافرت فيما بينها لتخلق ذلك الفضاء المفتوح وتعزف نغما واحدا هو في واقعه نحيب على ماض سرعان من تلاشى وبقيت بعض أيقوناته من تفاصيل الحياة اليومية لتشهد على هيمنته الجبارة في زمان بعيد.

من تلك الأيقونات ما فضلت منى الشمري أن يكون غلافا لمجموعتها الصادرة عن الدار العربية للعلوم في بيروت وهو عبارة عن صورة فوتوغرافية لباب آخر بيت طيني من مدينة الفحيحيل، يقاوم ما تبقى من ألوانه الزاهية تصاريف الزمن وشحوبه، وسنتذكره عندما نمضي في خضم المجموعة ونقرأ عن ذلك الباب الذي صار طعاما للنار بعد ليلة عاصفة لم يستطع الصمود في وجه ريحها البارد، في قصة "يسقط المطر.. تموت الأميرة".

ويبدو أن القاصة هي من اختارت تلك اللوحة التي التقتها عدسة منيرة الشريفي، لتكون بوابة القارئ الى فضاء القصص المفتوح على غوايات هذه المدينة الكويتية العريقة والتي جمعت في ديموغرافيتها الثنائية ما بين الحضر والبدو في تجانس مجتمعي بدا عفويا ومناسبا لتنوع البيئة ما بين البحر والصحراء فيها.

في مدخل المجموعة بدت القاصة التي أمسكت بخيوط الكتابة كلها منذ البداية وكأنها تريد بناء مدخل آخر لقصصها يتجاوز باب الغلاف ذي اللون الحائل، فتكتب قصة قصيرة عنوانها «السير حثيثا الى أمس». وواضح من العنوان أنه سير للوراء في تلافيف الذاكرة المثقوبة لامرأة غادرت ماضيها ولكنه لم يغادرها أبدا. وعلى الرغم من تلك الحيلة النفسية التي ارتكبها وعيها الحاضر عندما غيب عنها كل تلك التفاصيل استجابة لتداعيات حادث مروري، الا ان المكان الذي بقي محتفظا بالكثير من أساسياته على صعيد البيئة في ذلك التزاوج البحري الصحراوي قاوم تلك الحيلة، فانسربت الحكايات تلو الحكايات وحضرت الوجوه الغائمة لتأتلق ثانية في تجاويف الجمجمة المهشمة وتنفتح القاصة على عالمها القديم بأدوات الكتابة والقصة متوسلة بالموهبة العالية والوعي الشديد بالمتغيرات التي ألمت بالمدينة وناسها وبتراكم معتنى به من الخبرات.

في البداية تحضر لنا منى الشمري زاد الخطوة الأولى هكذا: «المدينة الغافية على البحر تفتح لي قميصها الأزرق القديم، وأنا كائن صغير طاعن في الحبّ، وكينونة الصور المغبشة التي تُبعث من حنين خامد،

* شاعرة وناقدة وكاتبة صحفية من الكويت.

الحادث المرويّ المأساوي الذي سرق ذاكرتي حين هشّم جزءاً من جمجمتي يزفنّي إلى بواكير الأيام الأولى ببياض موحش يُغطّي العالم، يتسلّمني أبي من مستشفى العدان بذاكرتي المثقوبة، يأخذني إلى مدينتي في سيرتها الأولى، نسير حثيثاً إلى دروب الأمس لعلّني أتذكّر، يغمسُني لوناً في ريشة الحياة، أتساءل طوال الطريق: من أكون يا ترى؟ إغماءة حزن أم هذيان حمّى؟ خرافة أم كذبة بيضاء؟ كأنني لا أنتمي لرجل، ولم أُخلق يوماً من ضلعه الأعوج»..

وتختتم توطئة المجموعة بما يفسر لاحقا ذلك التداعي الحر الذي لجأت له الكاتبة وهي تنتقل من حكاية لأخرى من دون أن تتغير نظرتها ولا لغتها ولا يخف وجعها المكتوم أو نشيجها السري:

«لكني بروح مستبشرة أتعافى، يحبس والدي الهواء بصدره وينفخ حزنه على جمر الذاكرة التي بدأت تشتعل بالصور، أقترب من همهمات بعيدة، أسمع تمتمات تسكن أذني كلما وضعتها على مخدة ريش جرحت وجه النوم، وأنساق لضجة دكاكين صغيرة مثل سفائن تتلوى قبل أن تغرق، أصارع النسيان نصف الموت، وابتسامتي بلور عين أبي، أشرب الماء المالح وأجدف في شوارع معبدة، فعقدت العزم على المضي نحو حكايات أجمعها بقلبي المكسور وأتشافى بمكر التذكر ليتداعى نشيج المكان والذاكرة، أحضر وأعاند الغياب القسري».

ليست الشخصية المحورية لنصوص هذه المجموعة هي التي تحضر هنا بل الكاتبة تحضر أيضا فيما يشبه صفقة معلنة عقدتها الاثنتان لتندمجان معا في سرد متداع على بعضه البعض فلا تضطر القاصة لتفسير ذلك التداعي الزماني والمكاني حول بؤرة واحدة هي بؤرة الراوية في كل قصة جديدة من قصص المجموعة.

هذا يعني أن من يتجاوز القصة القصيرة الأولى من مجموعة «يسقط المطر تموت الأميرة» لأي سبب من الأسباب أو انسياقا وراء ترف قرائي غالبا ما توفره فكرة المجموعة القصصية كفن كتابي لقارئها حيث يستطيع أن يبدأ من أي قصة من دون ضرورة الالتزام بالترتيب غالبا، فإنه لن يفهم خصوصية تلك المجموعة والتي ميزتها كما ميزة منى الشمري من خلالها كقاصة وكروائية ايضا رغم أنها لم تصدر أي رواية حتى الآن.

فالمجموعة في قراءة أخرى عبارة عن رواية حقيقية وإن بدت غير ذلك، بل وإن حاولت الكاتبة إيهام القارئ بأنها مجموعة قصصية، فصحيح أن الكتاب مكون من ١٣ قصة قصيرة وفقا للتعريف الكلاسيكي للقصة القصيرة، لكن الصحيح أيضا أن كل هذه القصص تنتظم في خيط روائي واحد مفتول من شخصيات الراوية ومكان القص وزمنه ونسيجه العام وفضاءاته الأخرى، بالإضافة الى تقنيات السرد فيه. ولم يكن من العسير على منى الشمري، لو أرادت، أن تقدم نصوصها كرواية حقيقية بقليل من إعادة ترتيب بعض القصص في سياق المجموعة كأن تنتهي بقصة «نمش يختفي.. صفرة تتمدد»، أو قصة «جبل وارة» مثلا، لتصير حكايتها هي مجموع الحكايات كلها حيث كانت عدسة الكاتبة تلتقط في كل قصة مشهد لشخصيتها هي من زاوية مختلفة باختلاف المكان الذي تقف فيه وسط كل قصة من القصص الأخرى.

ومع أن إحدى أهم جماليات الكتابة لدى منى هي عنايتها الفائقة باللغة الا أنها تبدو هنا وقد بالغت في شعريتها أحيانا، وخصوصا في بعض الحوارات الحية التي تجري على ألسنة شخصيات لا يناسبها مستوى الحوار المكتوب، مما أودى بها الى ما يشبه التكلف ساهم في إبرازه طول الجمل المبالغ فيها غالبا.

والأميرة.. التي تحضرت بقوة في عنوان المجموعة وتهيمن على الأجواء في بعض القصص داخل المجموعة ليست أميرة حقيقية بقدر ماهي صورة مشتهاة لفتاة غارقة في تهويمات الحلم بين سطور القصص والروايات وبؤس الواقع الحزين والتي يقذفها على هامش الثروة لتعيش العوز بشكل مضاعف. فتكون تلك الأميرة هي الصورة المنطقية لكل «أميرات» المجموعة من النساء المهمشات والمسحوقات بغض النظر عن نوعية مستواهن الاجتماعي ودرجتهن الطبقي في مجتمع يراوح ما بين انتقاد ذلك السلوك الطبقي الحاد والغارق فيه بتناقض رهيب.

ويبلغ ذلك التناقض مداه الأقصى في تناول القاصة لشخصيات من مجتمع الوافدين، وهي التسمية التي تطلق في الكويت على كل غير كويتي يأتي للإقامة والعمل فيها، فيكون سبب وجوده المستمد من حاجته المادية، بالضرورة غالبا، مدخلا لعنصرية أهل البلد تجاهه.

ومن هنا نستطيع من خلال ذلك الاعتناء رسم الملمح النفسي لشخصيات مثل الايرانية فاطمة، والشامية ريما، والعراقية زهرة، والتركي جبريل، واليمنى مهدي، وغيرهم ممن أولتهم الكاتبة اهتمامها الكبير وهي تنبش من دواخلهم ما يعين القارئ على سبر الغور النفسي لشخصية المغترب في مجتمع ينظر إليه غالبا بريبة.

وكنت أتمنى لو أن مقام كتابتي هنا يسمح لي بأن أكتب عن كل قصة من قصص المجموعة على حدة، فهي تستحق ذلك لكنني سأكتفي بإشارات إعجاب ببعض العناوين مثل «نشيج بدوي»، و«بنت من عجين»، و«نمش يختفي وصفرة تتمدد»، و«يسقط المطر تموت الأميرة»..

وفي العنوان الأخير تصف منى ليلة ما هكذا: «كانت البارحة ليلة مُظلمة، انقطعت فيها الكهرباء، وتجمدنا، حتى أشعل لنا أبي دوة الفحم، النعاس يتمدّد على جفوني حين ألقى إخوتي جبّات الكستناء ذات الزغب في جوف النار، رائحة شواء متأخرة، صوت حسيس النار، وحبّات الكستناء وهي تخلع صندوقها الخشبي فوق لظى الجمر لتبدو ثمرة ناضجة بداخله قد حان قطافها. مشهد سرق النوم من عينيّ».. والمجموعة كلها مرشحة لأن تسرق النوم من عيون قرائها.. ■■

بين الرفوف٤:

مشنقة الكلمات:

الكتابة مشنقة الكلمات، والكلمات حبل الكاتب الواصل بين المقصلة وبئر السقوط الأخير، أيمكن أن يكون البوح بهذه القسوة وبهذه الصورة البشعة؟ قد تكون بشعة لكنها ممتعة بعكس القتل الحقيقي الذي لا مقارنة بينه وبين الجنون المتناثر هنا.

نكتب ربما كي لا نموت أو كي لا نُجن، فنحفظ حياتنا وعقولنا.

هكذا يمكن أن تكون الأمور مقبولة ومعقولة، أو تقترب شيئا ما من الانصياع للقبول، أو التقبل لجميع أشكال هذه العلاقة المحمومة بين امرئ معتوه وصحيفة ولهى وقلم يتوق للبكاء.

(من كتاب:حديث الليل، شيخة محمد الجابري)
(دار إصدارات ٢٠١٢)

شرايين الذكرى

لو كنتِ أنتِ طرقتِ الباب، لرمَّمتُ حطام نفسي، ولَمْلمتُ روحي المبعثرة، ورسمتُ على شفتَيَّ بسمة، وخلعتُ المصاريع، وقلعتُ العتبات، وأوسعت لك المداخل والممرّات، وفرشتُ لك أهداب العين والجفن...

لكن، لكنَّ طيفك، يا أثيرة، هو الذي أطلَّ عليَّ في غير الأوان، ليسخر من محاولاتي البائسة للنسيان، ويُريق شرايين الذكرى في فضاء حجرتي، ويؤثِّث سريري بالحمّى وأوجاع الذكريات.

(من رواية: مرافئ الحب السبعة، علي القاسمي)
(المركز الثقافي العربي ٢٠١٢)

كبقية الحكايا

عزيزة المولعة بالأفلام المصرية تفقد بصرها في ليلة عاصفة محمّلة بالغبار. وفي العيادة، تطيل الإصغاء إلى صوت الدكتور أحمد. هي لا تعرف صوت من يشبه، حسين فهمي أو رشدي أباظة أو شكري سرحان؟ بعد شفائها تغرم به. ليس لأنه مصري، هي لا تحبّ اللهجة بل تحبّ الحنان الذي تسكبه لتصبح حديثاً دافئاً. عائلتها تعارض الارتباط به لتصبح قصّتها، كبقية حكايا الحب في شارع الأعشى، من دون ثمر.

هل تهرب معه إلى بلاده وتغيّر اسمها كي لا يعرفها أحد، تماماً كما فعلت تحية كاريوكا؟

(من رواية : غراميات شارع الأعشى، بدرية البشر، دار الساقي ٢٠١٣)

رسائل معتقة

أنت محظوظة، كم تمنيت أن يكون لي أب روحي أتعلم منه حكمة... تكفَّلت الحياة في غيابه بتعليمي... ماذا علمتكَ الحياة؟... قالت

لي: أن تعيش هو أن تتعلم المضي قدماً مثقلاً بما ينقصك... أجل حبيبي... أول ما نتعلمه منها هو أننا حتماً نفقد من نحبهم وعلينا أن نستمر من دونهم... انتابني رعب ساعتها، وأنا أفكر في نفسي، بأنني لست مستعداً لأن أفقدها... ولا أعتقد بأنه من الممكن أن أستمر بعدها... التقينا في زمن الحب المقتضب كالرسائل الإلكترونية... وأحببتها على طريقة زمن الرسائل المعتّقة كنبيذ الشفاه... قبلتها بحدة خوفي وأنا أستعيد بيتاً شعرياً لعمر الخيام: أسعد باللحظة... فهذه اللحظة هي حياتك .

(من رواية: الحق في الرحيل، فاتحة مرشيد)
(المركز الثقافي العربي ٢١٠٣)

كيف يكون العطر؟

قال لها... هاكِ هذه الوردة... تتحدث مثلنا... حديثها متى شئت... واسمعي منها الحديث... فهو عذبٌ مثل قطراتِ الندى... لكن إياك أن تسيري أمامها... فقد مكثت طول الطريق أقنعها... بأن الورود لا تسير...

ضحكا معاً ملء سماء قلبيهما... ثم نظرتْ في عينيه وقالت... أي طفل ساحر هذا الذي في داخلك!... فأجابها... وأيّ ملاك رائع هذا الذي قد أضحَكه!...

أرسل إليها باقة ورد... أرفقها ببطاقة كتب فيها... قبل أن تشُمّيها... علّميها كيف يكونُ العطر.

(من كتاب : أطياف صور، نذير الزعبي)
(الدار العربية للعلوم ٢٠١٣)

الراوي أم الروائي؟

ترى من أين يبدأ الروائي حياته؟ من نصه المكنون، في سطوره وبين انثيالات خطوطه الحبرية المتعرجة أم تبدأ حياته الجديدة، القديمة بنص يتحرش به لماماً في اليوم الأكثر حزناً وفي الليل الأكثر أنساً، يجب القول إن الروايات المثقلة بالرموز والأساطير والمحشوة بأعباء التاريخ والجغرافيا والأخرى المحشوة بمحظورات الدين والسياسة والجنس لا تلبث أن تظل وتبقى وتحضر أمام الروايات الحياتية النابضة، بدهشة اليومي وعفويته وارتباكه، (سؤال هو الأهم من كل الأسئلة والاستفهامات من يقلد الآخر الرواية أم الحياة، ومن يخلق الآخر الراوي أم الروائي؟.

(من كتاب :حبر الغوايات، عبد الوهاب معوشي)
(منشورات الاختلاف ٢٠١٣)

تجارب صناعة الطيران العـ

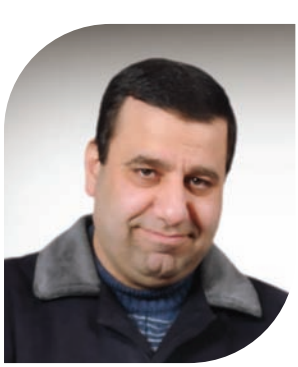

بقلم: د.سائر بصمه جي *
saerbasmaji@gmail.com

المخترع السوري عبد الله الأحمد

قد يستغرب القارئ من عنوان المقال، فيجيب نفسه بسؤال: وهل عرف العرب صناعة الطيران أصلاً حتى نبحث عمن أجهضها؟ لنتتبع معاً القصة من بدايتها، ثم نحاول أن نفهم الحقيقة التاريخية، التي غابت أو غُيّبت، عن الأجيال بشكل أو بآخر، محاولين استخلاص الدروس والعبر من أخطائنا في الماضي، عسى ولعل أن ننتفع بها في المستقبل، دون أن نخوض في تاريخ تطور الطيران الحديث، فهو معروف ومتناول كثيراً، لكننا سنمر بسرعة على المحاولات القديمة الأولى التي سبقت محاولات العرب من باب الأمانة التاريخية.

التجارب القديمة

روى قدماء اليونانيين أسطورة قصة مخترع يدعى ديدالوس وابنه إيكاروس كانا قد طارا في الهواء بأجنحة من الريش والشمع، ولما اقترب إيكاروس كثيراً من قرص الشمس تسببت حرارتها في انصهار أجنحته، وسقط في مياه البحر وغرق.

نحو العام ٤٠٠ ق.م، صنع عالم يوناني يدعى أرشيتاس حمامة خشبية تتحرك في الهواء، ولم يعرف حتى الآن كيف استطاع أرشيتاس أن يجعل هذه الحمامة تطير. ويُعتقد أنه قام بربط هذا الطائر بذراع دوار، واستخدم بخاراً أو غازاً لتحريكه في اتجاه دوراني. وفيما بين العام ٤٠٠ ق.م و ٣٠٠ق.م، اكتشف الصينيون طريقة تصنيع الطائرة الورقية، وهي شكل من أشكال الطائرات الشراعية، وبعد فترة استخدمت الطائرات الورقية لحمل أشخاص في الهواء. وخلال القرن الثالث قبل الميلاد، قام العالم الرياضي والمبتكر الكبير، اليوناني الجنسية، أرخميدس، باكتشاف سبب طفو الأجسام وكيفيته.

التجربة الأندلسية

الزمن هو العام ٨٨٠م.

الشخص هو: عباس بن فرناس الأندلسي (المتوفى في العام ٨٨٧م).

وكلنا يعرف قصته عندما عمد إلى تغطية جسمه بالريش، كما مدّ له جناحين طار بهما في الجو مسافةً بعيدة، ثم سقط فتَأَذَى في ظهره، ولم يتوفى بسبب ذلك

* كاتب وباحث علمي سوري.

ـربية.. من أجهضها؟

كما تروي كثير من الروايات.

والغريب أننا لم نلحظ من جاء بعده وتجرأ مثله على خوض غمار هذه التجربة، بحيث إنه يرصد مواطن الخطأ ويصلحها ويتابع تطويرها؛ فكان الإجهاض اجتماعياً قبل أن ينظر لها الحاكم في ذلك العصر على أنها تجربة تستحق المتابعة أو أنه قد يستفيد منها في دعم قواته العسكرية البرية والبحرية.

التجربة المصرية

الزمن هو العام ١٩٥٧م.

الشخص هو الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

كانت وجهة نظر مصر، التي عبر عنها جمال عبد الناصر في أبريل ١٩٥٧م قبل إطلاق الاتحاد السوفييتي السابق للقمر الصناعي سبوتنيك: «إنّ علينا أن نعيد بناء القوات المسلحة في ضوء تجربتنا في حرب السويس. وهناك مجالات لابد أن ندخل إليها، ولابد أن نتمكن من صنع سلاحنا بما فيه الطائرات. عندنا مصانع سلاح على نطاق محدود، وقد وضعنا برنامجا لبناء صناعة سلاح. الطائرات قضية أكثر تعقيداً، ولا بد أن نتعاون فيها مع أحد. أفكر في الهند أو يوغوسلافيا.

أيضاً هناك الصواريخ، هناك علماء ألمان يتخاطفهم العالم بمن فيهم الولايات المتحدة، وقد حاول بعضهم جس النبض معنا، وقد قلت إننا نرحب، هناك واحد بالذات اتصل بنا، ويظهر أنه شارك بشكل كبير في صنع الصاروخ ف-٢، وقد وافقت على قدومه إلى هنا.

ليست المسألة هي أن نتمكن من صنع صواريخ أو طائرات، المهم أن هذه المجالات هي تكنولوجيا المستقبل، ولا بد أن نتيح للمصريين التعرف إليها والتخصص فيها، وهذا عندي أهم من سرعة إنتاج الطائرات أو الصواريخ».

تجربة ابن فرناس أجهضت اجتماعياً قبل أن ينظر لها على أنها تجربة تستحق المتابعة أو الاستفادة منها في دعم القوات العسكرية البرية والبحرية

الخطاب ولاشك حماسي، ويعبر عن رغبة القيادة السياسية في إدخال الدولة في صناعة متطورة ومتقدمة، مثل صناعة الطائرات، ويركز على توطين التقانة، وهو أمر أبلغ أثراً من شراء التقانة، فالمثل يقول «عندما تطعمني رغيف خبز فأنت تشبعني ليومي، لكن عندما تعلمني كيف أصنع الخبز فأنت تشبعني الدهر كله».

عقِب ذلك بدأت ملحمة كبيرة من العمل الجاد، أشبه بطلب فرعون بناء مشروعه الهرم الكبير (أو قبره) خوفو، فاستنفرت الطاقات العلمية المصرية والألمانية بالكامل لإنشاء مصنع الطائرات، وكان أن اتفقت مصر مع الهند على المشاركة في تصنيع الطائرات، بحيث تصنع مصر المحرّك وتصنع الهند جسم الطائرة.

ألقي الخطاب في أبريل العام ١٩٥٧م، وقد أعلن عبد الناصر في ٩ يوليو من العام ١٩٦٠م عن إنتاج أول طائرة عربية نفاثة طارت بشكل حقيقي في سماء مصر، وكما نلاحظ أن المدة الزمنية بين خطاب الرئيس ومدة التنفيذ هي ثلاث سنوات فقط، فما السر؟

ببساطة إنها الإرادة، إرادة سياسية متناغمة مع إرادة شعبية موحّدة في طاقتها للوصول إلى الهدف، يحرّك ذلك كله إدارة واعية تدرك تماماً ما تريد. لقد أمكن في مصر تطوير المحرك الذي أصبح يحمل اسم (هـ-أ-٣٠٠)، وتم تصنيع ٨٠ طائرة مقاتلة نفاثة حملت اسم (القاهرة-٣٠٠) صُنّفت باعتبارها أحدث المقاتلات النفاثة في العالم، ودخلت مصانع حلوان ضمن مصانع الطائرات العالمية. وفي حديث أدلى به الخبير الألماني فرديناند براندنر لصحيفة دير شبيغل الألمانية في ١١ أغسطس العام ١٩٦٧م قال فيه: «إنني وكل الخبراء العالميين نعتبر أن هذه الطائرة المقاتلة أخف وأرخص وأبسط أنواع المقاتلات في العالم وثمنها نحو ثلاثة ملايين مارك ألماني..».

مشروع صناعة الطائرات في مصر خطفته إسرائيل في العام ١٩٦٧ وأجهضته

ويبدو أن الفرحة لم يكتب لها أن تتم، فقد خطفتها يد العدوان الإسرائيلي في حزيران من العام ١٩٦٧م، مما دفع بالقيادة المصرية إلى توجيه قدرات البلد نحو التخلص من العدوان.

بعد العدوان الغاشم، أيضاً لم تتم متابعة المشروع، ووضعت إسرائيل ثقلها لإجهاضه بأي وسيلة كانت، وعندما سئل أحد المسؤولين الإسرائيليين: «هل تخشون من التقدم التقاني لمصر في هذا المجال؟ قال: لا؛ وإنما نخشى أن يلتف العرب حول مصر، ويشكلون وحدة تقضي علينا».

التجربة السورية

الزمن هو العام ١٩٥٨م.

الشخص هو عبد الله الأحمد (ويلقب بأبي علي).

الشاب المتحمس الذي استمع لخطبة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عندما زار مدينة حمص السورية أيام الوحدة العربية وهو يقول: «إن الشباب العربي هو الذي سيصنع مستقبل الأمة»، فكانت له حافزاً قوياً وأراد أن يبدأ هذا المستقبل، مع أنه لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وراح يدرس أصول علم الطيران لوحده، وقد قال حينها: «لم أترك مرجعاً علمياً معروفاً إلا وقرأته من أجل فهم العلاقة النظرية بين أجزاء الطائرة مع أني كنت وقتها أدرك بالفطرة طبيعة هذه العلاقات فيزيائياً وضرورتها لتأمين التوازن وقيام كل منها بدوره في عملية الإقلاع والهبوط والتحليق والدوران.. إلخ، لقد كانت الطائرة بالأصل في ذهني».

بدأ أبو علي باستجرار ما يحتاجه من قطع معدنية في صيف العام ١٩٥٨م، مستفيداً من مخططات الأخوين رايت في صنع طائرة «البسكليت»، لكن المحرك

كلف والده بيع قطعة أرض، وبين المحاولة والنجاح والفشل كان يدهش أبو علي الناس في حمص فلقبوه «بالمخترعجي»، وكان أن وصل نبأه إلى إذاعة صوت العرب، فأعلنت من القاهرة عدة مرات أن شاباً عربياً من الإقليم الشمالي قد توصل لاختراع طائرة، فكان الفخر يغبط نفوس البعض، لكنه لا يغبط نفوس آخرين. وكان من قيادة الجيش المصري أن أرسلوا ضابطاً طياراً مصرياً ليشاهد الطائرة ويكتب تقريره عنها، فطلب أبو علي طلباً معقولاً ويمكن لأي دولة تنشد التقدم أن توفره لمواطن يريد أن يرفعها إلى مصاف الدول المتقدمة، كان طلبه ورشة كبيرة تتوافر فيها كل الإمكانات الضرورية لإكمال المشروع بحيث يغدو المشروع وطنياً لدى نجاحه.

للأسف، وبعد عدة شهور، يتم استدعاء المخترع المتحمس ليجد أنه قد تم توظيفه في قسم التنظيفات في شركة الطيران! فدهش كما دهشنا نحن، أبت عليه عروبته وكرامته ووطنيته أن يقبل العرض فمزق العرض وعاد وعبرات الإحباط تختنق في حلقه، بعد كل هذا التعب – وكان قد أمضى سنتين– موظف تنظيفات! هذا ما رواه ابنه الدكتور محمد عبد الله الأحمد المحاضر في الجامعة في العام ٢٠٠٨م، أي بمناسبة مرور خمسين سنة على اختراع أول طائرة عربية في سورية.

لقد حزن أبو علي على فقدانه الحاضن لمشروعه أكثر من حزنه على المشروع نفسه، لأن روح المخترع الحقيقية تبقى متقدة وضاءة بالأفكار الجديدة والمتجددة، فلا سبيل لليأس إلى نفسه، وإلا لما كان مخترعاً حقيقياً.

لقد أجهض مشروعه بسبب البيروقراطية المقيتة، وبسبب أولئك الذي لا يريدون أن تنهض هذه الأمة بمشروع كبير يدفع بها نحو الأمام.

إذا تم توطين هذه الصناعة فستشغّل عمالة لا حصر لها وستدعم مستقبلاً مشروع الحلم العربي في التقانة الفضائية

عندما كنت ألقي محاضرات عن فوائد علوم الفضاء– في بعض المراكز الثقافية في سورية– كان البعض يقول لي: وهل حللنا مشاكلنا على الأرض لنفكر في الفضاء؟، دون أن يدركوا الرؤية الاستراتيجية لطرح مشروع من هذا النوع، ولو تساءلنا لماذا الغرب (أوروبا وأمريكا) أو الشرق (روسيا والصين واليابان) يدعمون مشروعات الصناعة الفضائية، هل هي مغامرة حمقى غير محسوبة العواقب؟ أم أن لها فائدة وطنية كبرى على المدى القريب والبعيد؟

عندما أعلنت شركة إيرباص الأوروبية عن أحدث طرازاتها، وهي الطائرة ذات الطابقين A٣٨٠، فوجئتُ بأن دولة الإمارات العربية المتحدة قد سجلت على أعلى طلبية منها (٤٣ طائرة دفعة واحدة)، وهي أعلى نسبة طلب في العالم، علماً أن سعر الطائرة الواحدة هو ٣٣٧ مليون دولار وفق قائمة أسعار الشركة.

وإذا نظرنا فيما أنفقه العرب على شراء الطائرات منذ بدء تشكل أساطيل الطائرات المدنية أو الحربية لديهم، فسنجد أرقاماً فلكية هائلة، كانت ستكلف أقل من ذلك بكثير لو تم توطين هذه الصناعة في هذه البلاد، وستشغّل عمالة لا حصر لها في كل الاختصاصات، وربما ستدعم مستقبلاً مشروع الحلم العربي في التقانة الفضائية وغيرها. ■■

جدل العلاقة بين الإعلام والثقافة

بقلم: حواس محمود *
hawasmahmud2@gmail.com

تعود العلاقة بين الإعلام والثقافة إلى مراحل قديمة في التاريخ البشري، لأن الثقافة بحد ذاتها قديمة وتعود إلى عصور غابرة من عمر البشرية، حتى إن الإعلام يمكن أن يكون أقدم من الثقافة، وذلك ربما لأن حاجة الإنسان القديم للإعلام كانت أكثر إلحاحاً والتصاقاً بضرورات البقاء من الثقافة، فإذا اعتبرنا أن الحاجة هي التي تؤدي إلى ولادة الظواهر الإنسانية ثقافية كانت أو غير ثقافية أو تحدد عمرها وتطورها، فإن حاجة الإنسان القديم للإعلام كانت أكبر وأكثر إلحاحاً، لأنها ألصق بالحياة، وبضرورات البقاء، أليست الأصوات والإشارات التي كان يصدرها الإنسان القديم لينذر بها أفراد أسرته من الخطر أو يدعوهم بها إلى الفعل نوعاً من أنواع الإعلام البدائي الذي أملته الحاجة وضرورات البقاء؟

إذن، العلاقة بين الثقافة والإعلام علاقة موغلة في القدم، لكنها لم تكن واضحة أو متبلورة في الماضي، فقد كانت المادة الإعلامية شديدة التداخل والالتصاق، فالمادة الثقافية مبثوثة فيها، ممتزجة بنسيجها، يوم لم تكن هناك وسائل إعلامية معروفة أو مستقلة.

وتجدر الإشارة إلى أن تطور المادة الثقافية والإعلامية تبعاً لتطور الحياة البشرية قد أدى إلى وجود نوع من التمايز أو التباين بين وسائل الثقافة ووسائل الإعلام، فبدأت وسائل الإعلام المستقلة بالظهور، وكان صدور أول صحيفة بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر بداية استقلال المادة الإعلامية، بوسيلة خاصة وبداية عصر أو ثورة الإعلام التي انتشرت خلال المرحلة المعاصرة بواسطة الإذاعات ووكالات الأنباء ومحطات البث التلفزيوني والإنترنت والبريد الإلكتروني وغيرها.

لكن ما إن استقلت وسائل الإعلام وتنوعت حتى طغت وبدأت باحتلال مواقع الثقافة، وغدت من أهم وسائلها ومن أقدرها على نشرها وإيصالها، بل أصبحت القناة الثقافية الرئيسة التي توصل إلى الناس بسرعة ويسر مختلف أنواع وألوان النتاج الإنساني في جميع ميادين المعارف والفنون والآداب، وهكذا انتقلت أو تطورت علاقة الثقافة بالإعلام من مرحلة الاشتراك بوسائل واحدة في الماضي البعيد، هي الوسائل الثقافية، إلى مرحلة تمايز الوسائل أو استقلالها، ثم العودة أخيراً إلى وسائل مشتركة إن لم نقل واحدة، لكن رغم ما تعرضت له هذه العلاقة من تلون وتعرج، إلا أنها بقيت مستمرة، ووثيقة في آن، ويرى الأستاذ علي سليمان أن هذه العلاقة مرشحة للبقاء والاستمرار رغم طغيان الإعلام المعاصر على الثقافة ومحاولته الجلوس في مقاعدها، إذ ليس هناك من مادة إعلامية خالية من الثقافة والتثقيف أو مادة ثقافية خالية من الإعلام، فكل عمل ثقافي هو في أحد جوانبه أو وجوهه عمل إعلامي، أليست الثقافة أو الإعلام تعبيراً عن الرغبة في التواصل مع الآخر، أو نوعاً من الحوار مع الآخر، ومحاولة الوصول إليه لمخاطبته أو التأثير عليه أو التأثر به، أليس في طبيعة الثقافة ومادتها وهدفها جانب إعلامي ووسيلة إعلامية وهدف إعلامي؟ يعبر فيها الإنسان عن موقفه من نفسه أو من الآخر أو الحياة أو الكون، ومن معتقدات الآخر وقيمه وإشكالياته، ثم أليس من اليسر اكتشاف الثقافة في الإعلام والإعلام في الثقافة؟ إن الإعلام العربي بيد السلطات العربية، وهو موضوع منفصل عن الثقافة، وإنه من الملاحظ جداً أن هنالك فصلاً عميقاً وكبيراً بين وزارات الثقافة والإعلام في الدول العربية، فوزارات الثقافة وزارات مستقلة، ووزارات الإعلام وزارات مستقلة بذاتها ويحتفظ وزير الإعلام بخصوصياته، ويحتفظ أيضا وزير الثقافة أيضاً بخصوصياته وكل الخصوصيات رسمية وليست شخصية. وخطورة الإعلام ليس كخطورة الثقافة،

* كاتب وباحث سوري.

فهو أشد خطراً من الثقافة، فالثقافة تأثيرها ضيق، أما الإعلام فتأثيره واسع جداً، وهو يتعدى إلى مؤسسات واسعة الانتشار، أما الثقافة فهي فقط محصورة بالنخب الثقافية يتعاطون بالثقافة هنا وهناك في المقاهي والأزقة والشوارع وفي بعض المؤسسات التي لا يزيد حضورها الرسمي على عدد أصابع يد واحدة. إن الثقافة بيد النخبة والإعلام بيد السلطة تلك حقيقة يجب على المثقفين إدراكها كلياً.

ويرى امحمد مالكي أنه مع تطور ميدان الاتصالات في القرن الماضي ومطلع الألفية الجديدة أضحى الإعلام، بمختلف وسائله وطرائقه، الوعاء المناسب والأكثر سعة لحمل رسالة الثقافة، بل تفاعل الإعلام مع الثقافة وتوحدهما في رسالة مشتركة أسهم لاحقاً في التداخل وصعوبة التمييز بينهما.

ويضيف مالكي بالقول: إننا أمام عالم سحري للإعلام السمعي البصري الذي أغرق العالم في ثلاثية: الفورية، والتنوع، والانتشار، واقتربت الثقافة في إيقاعها اليومي من كوكبية الإعلام وتمازجت معه، لتبني نمطاً جديداً من الغايات والمصالح، وربما كل ذلك يقارب منظومة التجارة، وجعلها محكومة أحياناً بقوانين السوق في العرض والطلب.

ومع ذلك، يمكن للتطور العميق الحاصل في قطاع الإعلام أن يكون عضُداً في حمل رسالة الثقافة، كحاجة إنسانية، من مواقع النخب والمثقفين إلى فُسحة واسعة من التداخل والمشاركة الجماعية بطابعها الجماهيري، المُتسمة بالتنوع والتفاعل.

تنزل الثقافة عن كينونتها المُنزهة عن الشرور، والإعلام الذي يرتدي في كل وقت وزمان حُلة المصالح والغايات، وغير البريء أحياناً من الشرور والآثام، والمدافع عن «الشيطان» في أحيان أخرى. وفي كل ذلك تشويش وتداخل بين القلم والسيف، وبين عُذرية الكلمة وفضائحية الدعاية. بيد أن المثقف قد يضطر، كي يضع بضاعته في سفينة الإعلام ويُبحر بها نحو عوالم أوسع، إلى أن يُجامل الإعلام، ويتوافق مع شروط رفقته، وبالتالي قد تنتقل عدوى الفساد المتوافرة، مع الأسف، في رسالة الإعلام، إلى رسالة الثقافة، ويتحول المنتوج الثقافي إلى ما يشبه الإعلان التجاري في مضمونه وغايته.

يقول فلوراس وليا (كاتب من المكسيك): «إن عبارات الثقافة والإعلام أصبحت في مواجهة حتمية ذلك أنَ الاستعمال الحالي لأجهزة الإعلام العصرية ينطلق من مبدأ نكران وجود الذاتية الثقافية للمجتمعات، وهذا يمكن تشخيصه في سعة انتشار الرسالة الإعلامية».

وفي مقالة له بعنوان «الثغرة الثقافية في الإعلام» يرى الدكتور إبراهيم عبدالله غلوم أن أحداً لا يستطيع أن ينفي أن آلة الإعلام ووسائلها وتقنياتها الحديثة تمثل ثقافة مستقلة بحد ذاتها، إنها إنتاج ثقافي يتطور مع تطور المعرفة من أجل الوصول إلى كيفية أرقى وأجمل في التواصل والتعاون. ويستعرض د. غلوم التطور المتسارع الذي شهدته الظاهرة الإعلامية في المجتمع الخليجي مع تأسيس الإذاعات وقنوات التلفزيون، وتطور الصحافة مروراً بالانفتاح على الثقافة الإلكترونية، ويقترح سبلاً عدة لتنمية القاعدة الثقافية لمفهوم الشراكة والديمقراطية، وضرورة الإقرار بالاختلاف والتنوع، وذلك لجسر الهوة بين الثقافة المحلية والعالمية على صعيد إنتاج الثقافة في الإبداع والفكر بشكل خاص، ومن أجل تقليص معايير ثقافة السوق وزيادة دعم الإعلام للثقافة والتخطيط المتكافئ لبرامج الثقافة المحلية.

العلاقة بين الثقافة والإعلام علاقة موغلة في القدم.. لكنها لم تكن واضحة أو متبلورة في الماضي

وختاماً، يمكن القول بتاريخية العلاقة بين الإعلام والثقافة وتطور هذه العلاقة لصالح طغيان الإعلام على الثقافة وبخاصة في الألفية الجديدة على أثر التحولات التكنولوجية الهائلة ورياح العولمة العاتية التي أضحت من القوة بمكان بحيث تداخل الاقتصادي بالسياسي والثقافي والاجتماعي فلم تعد الثقافة مستقلة عن الإعلام، لكن ورغم كل هذا يمكن أن تتناول المواد الثقافية الإعلام بالشرح والنقد والتحليل وكمثال الكتب والمؤلفات والمقالات الصادرة التي تتناول الفضائيات ما لها وما عليها، والأسس السليمة التي يجب أن تقوم عليها، وكذلك يمكن للمحطة الفضائية كوسيلة إعلامية أن تقدم برنامجاً ثقافياً يتناول موضوعاً ثقافياً كحلقة كتاب، ندوة، أو حوار فكري أو ثقافي، حوار مع مؤلف، أو مع ناشر أو مع مؤسسة ثقافية أو تناول ظاهرة ثقافية كأدب الصالونات أو أدب المقاهي أو كتاب الرصيف على سبيل المثال لا الحصر. ■■

المراجع

جهاد علاونة، «الثقافة والإعلام في الدول العربية»، الحوار المتمدن – ١٦-٥-٢٠٠٨.

حواس محمود، كتاب «التكنولوجيا والعولمة الثقافية»، دار المنارة دمشق – بيروت ٢٠٠٣– ص ٧٠.

امحمد مالكي، «في العلاقة بين الاعلام والثقافة»، صحيفة العرب القطرية – ١٠-٥-٢٠٠٨.

عثمان حسن، «جدل العلاقة بين الإعلام والثقافة»، صحيفة الخليج – ٣-٤- ٢٠١٢.

صفاء شاهين، «جدلية العلاقة بين المنظومة الثقافية ووسائل الإعلام»، موقع النور.

علي سليمان، «الثقافة والإعلام نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف»، مجلة المعرفة السورية – عدد ٢٦٧ مايو – ١٩٨٤ ص ٦.

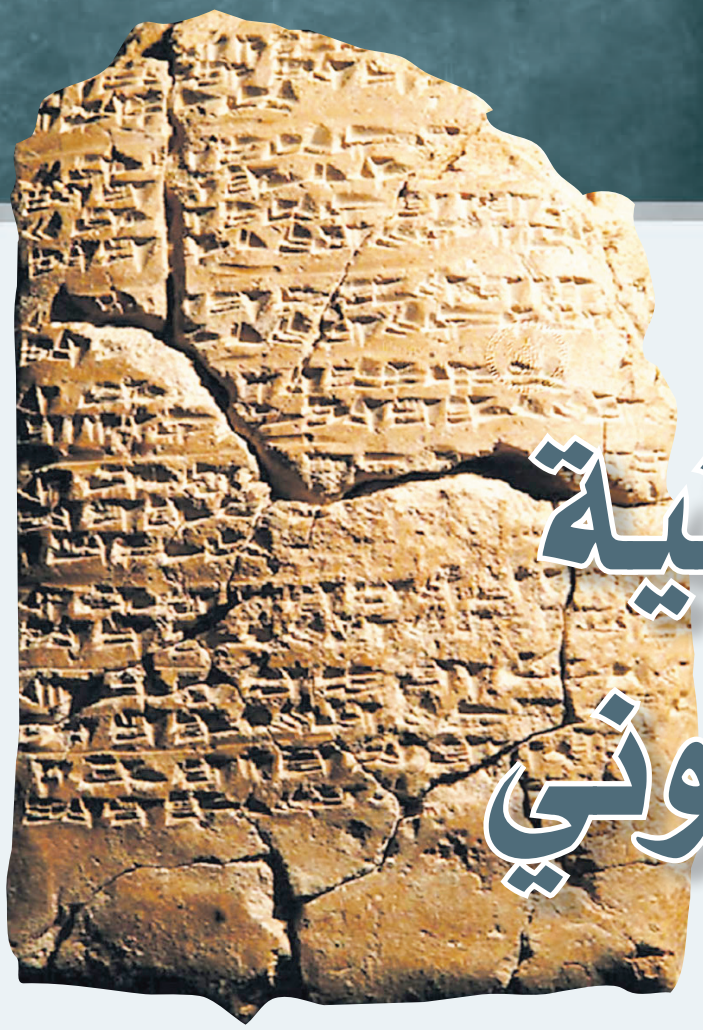

قراءة كونية في نص كوني

بقلم: زكريا العباد *
abumudrekz@hotmail.com

هل هناك نصوص مغلقة وأخرى مفتوحة؟ الجواب الذي يتبادر إلى الذهن: نعم، ثمة نصوص علمية- مثلاً- لا تحتمل تعدد القراءات والتأويلات، وأخرى أدبية تنفتح على تعدد الدلالات.

إنّ هذا التصنيف يقسّم النصوص ذاتها على أساس أنها ذات أعماق وإيحاءات أصلية مختلفة، ويغفل أثر القارئ المفسّر والمؤوّل والمتفاعل ومساهمته في تفتيق أبعاد النصّ وخلق انزياحاته وما يقوم به أحياناً من إسقاطات نتيجة خبراته الحياتية وتجاربه الخاصة، فأخذ القارئ، أو المتلقي، في الحسبان يجعلنا غير قادرين على وصم الكثير من النصوص بأنها أحادية المعنى ما دام لدينا قارئ واحد محتمل يمتلك القدرة على استيحاء غير مألوف من نصّ ما (ما أعني به من النص قد يكون أوسع من أن يكون مقروءاً، فقد يكون مسموعاً أو مرئياً، وما أعنيه من القراءة: التلقي بأنواعه، وما ينجم عنه من تفاعل وارتدادات).

علينا إذن أن نوسّع مفهوم النص من مجرّد مجموعة من المفردات، التي تحمل كلّ واحدة منها معنى جزئياً، ليتكوّن من ضمّها لبعضها بعضاً المعنى الكلّي، هذا المعنى سيتوسّع بإدخال القارئ كعنصر فعّال في تخليق معنى النصّ ليشمل مجالات معرفية أخرى تتدخل في صنع المعنى الخارجي غير السكوني للنص، المعنى الحيوي في مقابل المعنى القار في بطن العبارة.

العديد من النصوص ربما بدت في زمن ما للكثير من القراء كنصوص جامدة أو مصمتة، وربما عبثية وعديمة الجدوى أو قليلة القيمة، مثل هذه النصوص ربما احتاجت إلى مرور زمن كافٍ كي تجد قراءً يمتلكون مفاتيحها وبإمكانهم فك مغاليقها. لعلّ في هذا ما يجعلنا نشكّ، أو على الأقل نعيد النظر في ثنائية (مغلق/ مفتوح) المستندة إلى النّص وحده.

* كاتب وقاص سعودي، عضو نادي المنطقة الشرقية الأدبي.

فثمة نصوص كتبت لتتضمّن شبكة علاقات داخلية يؤدي تفكيكها وإعادة بنائها إلى فهم الرمز، الذي تعمّد الكاتب إخفاءه لظروف سياسية أو اجتماعية، فرضت إخفاء الرسالة وقت كتابة النّص، لنأخذ حكايات «ألف ليلة وليلة»، على سبيل المثال، فهي حكايات قرئت في زمنها من زاوية ضيقة على أساس أنها حكايات للتسلية، لكنّ عملية إعادة قراءتها وفق المناهج النقدية والأدبية الحديثة كشفت عن أبعاد واسعة لهذه الحكايات كانت خافية، ووظائف اجتماعية مهمة أرادت القيام بها.

وعلى ذات المنوال نجد كتاب «كليلة ودمنة»، حيث لجأ عبدالله بن المقفع فيه إلى الترجمة من بيئة بعيدة وهي الهند، ورواية الفكرة على لسان الحيوان، لكي يتناول فكرة سياسية تتحدث عن دور الحكيم أو المفكر في الحكم من خلال نصح الحكيم بيدبا للملك دبشليم بطاعة الحكماء في شؤون الحكم، ما يؤسس لدور للمثقف أو المفكر أو الفيلسوف في السلطة على غرار ما يراه إفلاطون من قيادة الفيلسوف للمدينة الفاضلة، كلّ ذلك التخفّي كان من أجل الهروب والاختفاء من عين الرقيب، إلا أن ابن المقفع لم يسلم رغم ذلك من العقاب.

نصّ الكاتب ونصّ المجتمع

إن تحوّل النصّ من بعده الفردي إلى بعده الاجتماعي من خلال القارئ، يجعله متصلاً بالشبكة الاجتماعية بما فيها من أنساق وتحوّلات وتيارات، ويوقف النصّ على تماسّ مسالم أو معارض لنسق ما سائد، مجادل أو تابع، وهو في الوقت ذاته قوّة مستفاد منها في هذا الاتجاه أو ذاك، ما يجعل دلالته أحياناً في مهبّ رياح قوى وأمزجة لا متناهية ترغب في السيطرة عليه بطريقة أو أخرى، منها القص والمنع والتحريف والتأويل.

حتى النصّ العلمي الذي كنا ننظر إليه كمجموعة من المسلمات والثوابت التي لا تثير الخيال، ربما أمكننا اعتباره نصاً ثرياً إذا ما اقترن بذات نشطة تمارس معه القراءة، أو تم التعامل معه وفق سياقات اجتماعية معينة.

من جهة أخرى، تحتوي العلوم على أبعاد غير تجريبية ذات اتصال بالنشاط الذهني والعقلي والتفسيري والاستنباطي وليس مجرد الملاحظة والرصد والتسجيل الدقيق، فالقوانين الفيزيائية على سبيل المثال، وهي قوانين تبدو جامدة وعلمية وغير قابلة للتأويل، لكنّ البعد الزمني الذي يشكّل ضلعاً أساساً في قياساتها، هو بعد ذو امتدادات فلسفية، وهذا ما قد يغري بعض الشعراء بالاطلاع على النظريات الفيزيائية كما يفعل الشاعر سعيد عقل الذي اشتهر بافتتانه بمطالعة العلوم التي يجد أنها محمّلة بالكثير مما يعدّه ملهما وقابلاً للتأويل، أو التحويل من طاقة علمية إلى طاقة إبداعية وجمالية إذا ما جاز التعبير.

ثمة نصوص يؤدي تفكيكها وإعادة بنائها إلى فهم الرمز الذي تعمّد الكاتب إخفاءه لظروف سياسية أو اجتماعية

يعبّر الزمن إذن عن مساحة مشتركة بين الفيزياء والفلسفة والأدب، وكأنه أمر واحد يتمّ تناوله من زوايا عدّة، فبتغيير الزاوية أو تحريكها تنبعث دهشة المغايرة والاكتشاف بشكل تأويلي، إذ لا يمكن القبض على معنى محدد وأحادي للدهشة، يمكن القول إن الدهشة والمتعة تنشآن عن المعاني غير المقروءة في النصّ أكثر من نشأتهما عن المعاني المقروءة، المعاني النابعة من ذات القارئ أكثر من انتمائها لذات الكاتب، ولذلك يمثل الزمن منجماً مشتركاً للدهشة عبر تصريفه وتحويله بين الفلسفة والفيزياء والأدب.

من الواضح والمعروف أنّ الزمن هو بعد رئيس في بناء الرواية، فإذا ما أردنا استقصاء ما يمكن أن يمثله الزمن بحسب تعريفه الفيزيائي من إثارة للخيال فلنتأمّل عبارة «إن الزمن بعد فيزيائي رابع للمكان» حسب تعبير النظرية النسبية الخاصة لانشتاين، إذ تكفي هذه العبارة وحدها لإخصاب المخيلة بالعديد من الصور التي تجعل المكان يتشظّى مثل ضوء يدخل في منشور ليولّد طيفاً من الألوان، وكذلك يفعل الزمن في المكان أدبياً ونفسياً، إذ يقسمه إلى زمن راحل مدبر وآخر قائم وثالث قادم.

في الفلسفة والعلم يتم الاشتغال على إجابة سؤال: ما الذي حدث في زمن قديم من الكون؟. ويعمل الأدب على استقراء الزمن الآتي في المستقبل فتصدق بعض نبوءاته، مثل نبوءة علاء

الأسواني في روايته «شيكاغو» بالثورة المصرية من خلال معطيات الواقع الاجتماعية والاقتصادية. ويسبق الخيال العلمي العلم أحياناً في الوصول إلى مخترعات نراها في زمن لاحق على أرض الواقع، أما ما الذي سيحدث في زمن بعيد سيأتي، أو ما يسمى «نهاية التاريخ» فهي عبارة يشترك الفكر والدين والفلسفة في كتابتها، والتنازع عليها.

وفي ظل هذا التداخل بين العلوم والفنون والآداب، تتداخل اللغات، وسرعان ما ينزاح المعنى من حقل إلى آخر، أو يتم استعارته في حقل معرفي آخر ليكتسب إضافة معنوية وبعداً تأويلياً جديداً، لم تعد حتى العبارة العلمية مجردة جامدة في زمن متسارع يمنح كلّ مفرداته سيولة وحركة دائبة.

وعليه، تتم الاستفادة من العلوم الصرفة بشكل جماهيري دعائي أحياناً، إننا نجد عبارة كـ «صعود الإنسان للقمر»، على سبيل المثال، وهي حقيقة علمية تمّ تنصيصها اجتماعياً، بحيث يمكن بوضوح ملاحظة توظيفها اجتماعياً لإبراز تفوّق الحضارة الغربية على الحضارة الشرقية: «الغرب وصل إلى القمر ولا نزال نتناقش في أمور بسيطة كقيادة المرأة للسيارة و و...».

وكما يعمل التأويل على تفتيق المعاني وتكاثرها في المجال العلمي، فهو يقوم بذلك بشكل مضاعف في العلوم الإنسانية والآداب، حتى يحتمل النص المعنى ونقيضه في ذات الوقت، فما يسمّى (جمالية القبح) في الأدب مثلاً، هو مثال آخر على القدرة على تجاوز الظاهر والخروج من بين ثناياه برسائل ذات مغزى جمالي أو أخلاقي، حيث تكتسب موضوعات القبح والجريمة بعداً جمالياً من خلال الذكاء الفني في تناولها وتأمل أبعادها الإنسانية والتعمّق في أفكارها وإعمال الخيال والتأويل فيها.

ولفكرة جمالية القبح بعد وقراءة صوفية، حيث ينظر إلى ما يسمى بالقبيح على أنه غير موجود أساساً، لأن القبح في حقيقته هو عدم وصول أنوار الجمال إلى مناطق معينة ما يجعلنا نصفها بهذا الوصف، هكذا يخلق المفهوم الصوفي انزياحاً تأويلياً هائلاً في فهم القبيح.

وعلى كلّ حال، فكرة القبح الجميل فكرة تتضمن حركة بين نقيضين، وهي تفسح المجال بعدها لئلا نجد غضاضة في الحركة بين ظاهر يبدو جامداً وذا دلالة أحادية وباطن جميل ينفرج أو ينفجر بفعل قراءة فاعلة. إنها على الأقل، ليست حركة بين نقيضين كما في استخراج الجمال من ظاهر قبيح.

تحوّل النصّ من بعده الفردي إلى الاجتماعي من خلال القارئ يجعله متصلاً بالشبكة الاجتماعية بما فيها من أنساق وتحوّلات وتيارات

وهذا يحيلنا إلى ظاهرة رواج روايات قليلة القيمة الفنية بشكل تجاري هائل، فظاهرة كهذه تحيل النقّاد عادة إلى قراءة أسباب الظاهرة، والربط بين عناصر داخلية في الروايات ككسر التابوات وبين عناصر خارجية في المجتمع ذاته وما يعانيه من حالات كبت أو حركة باتجاه الانفتاح والتحرر تبرر إقباله على قراءة لون معين من الكتابة، في المحصلة هذه العملية هي تحليل وتفسير وقراءة أخرى قائمة على نصّ قليل القيمة في ذاته.

وقد يقودنا هذا أيضاً إلى مفردة نقدية أخرى هي «تحميل النص ما لا يحتمل»، لنعيد صياغة هذه الفكرة معتبرين أنها مجرد فكرة نسبية مرتبطة بتوجه القارئ في اتجاه ما، فإذا ما توجّه هو أو قارئ آخر غيره في سياق نفسي أو شعوري آخر، أو نظر من زاوية فكرية

مغايرة نشأت حينئذٍ قراءات أخرى كانت مظلمة في المرة الأولى وكان ظاهر النص مظلماً معها.

وعليه، تجد من لا يرى في نص ما سوى الجمود واللهو والعبث فإذا غيّر زاوية النظر فإذا بالنص يحيى ويضاء من داخله، من داخل النص، ومن داخل القارئ أيضاً، وتبدو المفردات التي كانت تائهة وكأنّها علامات في طريق المعنى الآخذ في التخلّق.

ما سبق يوحي لي بوجود معنى كليّ، يمكنني أن أطلق عليه «معنىً كوني» يتجاذب القارئ والكاتب أطرافه ليصل القارئ إلى حالة الفهم أو التصوّر أو المتعة. وهو «كونيٌّ» لأنه مشترك وموزّع في الذات البشرية، ونابعٌ من التجارب الإنسانية في الحياة، وكأنّ القارئ يقرأ ذاته بقدر ما يقرأ الآخر، وبذلك تصبح حيوية القراءة هي حاصل ضرب حيوية النصّ في حيوية القارئ أي مقدار اشتعاله الداخلي بالمعرفة والتجارب، أو كما ينظر «دي سوسير»، الذي كان من أوائل من نظر إلى اللغة كظاهرة اجتماعية، فهو يرى القراءة على أنها عملية تفاعل بين الإشارة في النص والمشير (الكاتب) وقارئ الإشارة.

وفي حالة كهذه، تكون المفرداتُ المتناثرة في النصّ، هنا أو هناك، مجرّد مثيراتٍ للتناسق الكامن في المعنى الداخلي الموزّع بين داخل الكاتب وداخل القارئ، أو نجوماً تزيّن سماء المعنى الكوني المتداخل، أو ربما عملت كمهيّجات للتوتر المكتوم، إلى غير ذلك من أشكال التفاعل والتوافق والارتباط والعلاقات الكثيرة التي تزخر بها التجارب المختلفة

هناك من لا يرى في نص ما سوى الجمود واللهو والعبث فإذا غيّر زاوية النظر فإذا بالنص يحيى ويضاء من داخله

المخزونة داخل النفس الإنسانية التي يتم داخلها تخليق معنى مغاير أو مفهوم أوسع وأكبر للنص.

وبهذا يمكننا الوصول ختاماً إلى السؤال الأهم: هل القراءة في حقيقتها نشاط تأويلي يقوم به القارئ، أم أنها عملية انفعالية تعبّر عن فعل خَلق يحدُث داخل فضاء النفس البشرية؟ أفضّل النظر إلى القراءة بالطريقة الثانية، أي إنها فعل داخلي، يمكن أن ينقل ويعبّر عنه بكتابة أخرى أو قول أو فعل، ويمكن ألا يحدث أي شيء من ذلك للتعبير عنه في حين القراءة، فيبقى هائماً في ذات القارئ، لكنه لا يبقى هكذا دون تأثير، لأنه فعل وطاقة لا تفنى، بل تتصرف من شكل لآخر.

لكننا في النهاية أمام فعلٍ وخلقٍ داخلي مرتبط في طبيعته وحركته بعوامل ثقافية ونفسية وحضارية وربما طبيعية مرتبطة بالمزاج والطقس والبيئة والصحة والمرض، فهل نحنُ أمام عوامل ومتغيرات لا نهائية يمكن أن نطلق عليها «عوامل كونية» لتأويل وقراءة النصّ؟ وكأنّ النصّ ليس عدداً من كلمات، لكنه جزء من جسد الكون تتداعى لمداعبته أجزاءٌ قصية من الكون ارتبطت به بأعصاب من تاريخ وثقافة ولغة، وكأنّ القارئ هو الآخر ليس فرداً بقدر ما هو جزء من نصّ آخر، مفردة من نسيج لغوي/ اجتماعي، تحركه اللغة والثقافة والتاريخ، وكأننا أمام مشهد مهول يقرأ فيه النص نصاً آخر، أو يقرأ فيه النصّ ذاته، أو يقرأ فيه الكون ذاته. ■■

شعر: أحمد عنتر مصطفى*
a.anter1@yahoo.com

كلمة حب واحدة منك!!

* شاعر وكاتب مصري.

قالت سيدة القلب؛
مليكة عرش الروح؛
وفاكهة الأقدار:
شعرك لم يعرف إلا جسدي..
وعيونك لم تبصر
إلا الفتنة فيه؛
ماذا عني..؟؟؛
عن وجدان مشبوب بالنار..
عن إحساس امرأة؛
يسكن داخلها إعصار؟؟
يا سيدتي
(١)
عفواً..
فأنا ملاح
يحترف الإبحار
في نظرة حب دافئة منك..
بدأت كل قلاعي تنهار..
في نظرة حب دافئة منك..
يصحو العالم في قلبي
تترقرق روحي في الأوتار
يتوارى الحزن؛
وتنساب النشوة نهرا؛
مجنون التيار..
أمسك بيدي الأنجم و الأقمار
في نظرة حب.. دافئة منك..
في كلمة حب واحدة منك
يتدفق في الكون النور
ترقص آمال القلب؛
(٢)
على إيقاع البهجة؛
يدنو من قلبي عصفور..
يهمس:
«يحسدك العالم
أن أميرة هذا الكون..
تمنحك مفاتيح الدنيا..؛
لو تدخل عالمها المسحور..
لو نامت يدها في كفيك
تنشر عبقا ورحيقا..
ونجوما ظمأى.. وبدور...»
.... ويطير العصفور..
يترك قلبي.. منزويا؛
في جسد.. مهجور..
ستعيدين إليه الخفقات الحيرى
في كلمة حب واحدة منك..
في لحظة حب دافئة منك
تتوارى الأشجان..
يدرك هذا الكون الجامد..؛
(٣)
ما معنى أن تبتهج الروح؛
ويرقى الحب..؛
إلى مرتبة الإيمان...
في كلمة حب واحدة منك..
تبحر في كريات دمي؛
سفن النشوة..؛
أو أشرعة الأحلام..
تحملني لشواطئ
لا أعرفها
لموانئ
لا أذكرها..
لجزائر نسيتها الأيام..
تجعلني لحظة حب دافئة منك..
أميراً
فوق عروش من نغم..؛
تعزفه الأنسام..
تجعلني طفلاً..
يلهو بنجوم
ضاحكة الألوان..
(٤)
تتسرب بين أصابعه..؛
لا يعرف هذا الطفل
سوى عينيك..؛
ومن عينيك تجيء بدايات العالم..؛
تنهمر الأعوام
فلكياً..؛
بعد شتاء قارس
يبدأ فصل ربيع الكون..
في الحادي والعشرين؛
من آخر آذار..
لكن عبير الأزهار
وخرير الأنهار
والضوء الذائب في الأقمار
والرقة في الأوتار
والسكر
يجري بين خلايا الأثمار
والخضرة في الأشجار
والزغب الناعم في أجنحة الأطيار
(٥)
تقسم هذي الأشياء جميعاً
أن ينابيع اللون
وربيع الكون
يبدأ حتماً
في كلمة حب واحدة منك
وفق تقاويم الفتنة
في عينيك..
والشعر المنسكب حريراً
من نسج السحر
على كتفيك..
حيث ينام الحب لديك
وتنام على كفيك عصافير الأسرار
في لحظة حب دافئة منك.. !!

رمضانيات مصرية

بقلم | أحمد شلبي *
shalaby58@yahoo.com

لشهر رمضان منزلة عظيمة في نفوس المسلمين عامة، واستقباله على نحو احتفالي في معظم بلدان العالم الإسلامي يدل على أثره الروحي الكبير. وتختلف مظاهر الاحتفال من بلد إسلامي إلى آخر، وتطل من بينها احتفالات المصريين بأيام الشهر الفضيل بداية من استطلاع هلاله حتى وداعه، عاكسةً سمات الشعب المصري، إذ الهدوءُ أحيانا والصخبُ في أحايين كثيرة، والسكون الغريب وقت الإفطار في الشوارع سواء في المدن أو القرى، ثم الانطلاق والازدحام بعد صلاة التراويح حتى السحور، والتدين العميق متمثلاً في الصلوات وقيام الليل والاستماع والاستمتاع بالتلاوات القرآنية النادرة، التي تبثها الإذاعة المصرية عبر محطاتها المختلفة قبل الإفطار، لكبار القراء مثل محمد رفعت ومصطفى إسماعيل وكامل يوسف البهتيمي وعبد الباسط عبدالصمد ومحمد صديق المنشاوي وعبدالعظيم زاهر وغيرهم من الأصوات الخالدة، والتواشيح الدينية الجميلة بأصوات فرسانها الرواد، كالشيخ علي محمود وطه الفشني وسيد النقشبندي ونصر الدين طوبار وغيرهم، وانتشار موائد الرحمن التي تُبسَط للفقراء وعابري السبيل مليئة بنعم الله في ود ومحبة، حيث يمتزج ذلك كله بمظاهر الفرح والبهجة والفنون المختلفة من أغاني رمضان الجميلة، مثل «وحوي يا وحوي» لأحمد عبد القادر، أو «مرحب شهر الصوم مرحب» لعبد العزيز محمود، أو «رمضان جانا» لمحمد عبد المطلب، وغيرها مما يمثل مكتبة خاصة في تراث الغناء العربي، وكذلك احتفاليات المساجد والأندية والمراكز الثقافية، التي تقدم الغناء الديني والفنون الشعبية في مختلف مدن مصر، خصوصاً ما تقدمه هيئة قصور الثقافة من خلال برنامجها السنوي «ليالي المحروسة».

المصريون ينتظرون بيان دار الإفتاء وإعلان بدء رمضان في احتفالية مهيبة يتخللها القرآن الكريم والتواشيح الدينية

ولعل أهم المظاهر الاحتفالية للمصريين في شهر رمضان منذ العصر الفاطمي حتى وقتنا الحالي تتمثل في:

الاحتفال برؤية الهلال، حيث ينتظر المصريون بيان دار الإفتاء في احتفالية مهيبة يتخللها القرآن الكريم والتواشيح الدينية، ثم إعلان بدء شهر رمضان بلسان فضيلة المفتي

* شاعر وناقد مصري، عضو اتحاد كتاب مصر.

بحضور رئيس الدولة أو من ينيبه وكبار المسؤولين، فينطلق الناس في الشوارع، وتضاء الشوارع والحارات، وتعلق الفوانيس على المنازل والطرقات، ويبدأ انقلاب الليل نهاراً في ربوع القطر المصري، وتتعانق أصوات الأئمة مع أول صلاة للتراويح، وتبدأ النساء في تجهيز أول سحور، وتغص المساجد بالمصلين وقت الفجر.

ومن المظاهر الاحتفالية غناء الأطفال في الشوارع لاهين فرحين بفوانيسهم مغنين أغانيهم الفولكلورية، التي احتفظت بها الأزمان، مثل:

حـــالـــلـــو.. يـــا حـــالـــلـــو
رمـــضـــان كـــريم يـــا حـــالـــلـــو

أو:

وحـــوي يـــا وحـــوي.. إيـــاحـــة
بـــنـــت الـــســـلـــطـــان.. إيـــاحـــة
مـــاســـكـــة الـــفـــانـــوس.. إيّـــاحـــة
أحـــمـــر و أخـــضـــر.. إيّـــاحـــة

أو:

رمـــضـــان يـــا عـــود الـــكـــبـــريـــت
يـــا مـــقـــيـــد كـــل الـــعـــفـــاريـــت

أو ذمهم لأقرانهم الصغار الذين لا يستطيعون الصيام، ومدحهم للصائمين من أقرانهم:

يـــا فـــاطـــر رمـــضـــان
يـــا خـــاســـر ديـــنـــكْ
ســـكـــيـــنـــة الجـــزار
تـــقـــطـــع مـــصـــاريـــنـــكْ
يـــا صـــايم رمـــضـــان
يـــا عـــابـــد ربـــك
كـــلـــبـــتـــنـــا الـــبـــيـــضـــا
تـــبـــوســـك مـــن خـــدك

والفوانيس عادة رمضانية منذ عصر الفاطميين، حيث كان يباح للنساء الخروج فقط في شهر رمضان للزيارات بصحبة خادم صغير يحمل فانوساً بشمعة، ولا تزال هذه العادة مستمرة مع تطور صناعة الفوانيس المحلية الصنع أو المستوردة.

وقد أنشد الشعراء المصريون منذ القدم في الفانوس، كقول أبي الحجاج يوسف بن علي من شعراء القرن السابع الهجري:

هـــذا لـــواء ســـحـــور يـــســـتـــضـــاء به
وعـــســـكـــر الـــشـــهـــب فـــي الـــظـــلـــمـــاء
جـــرارُ والـــصـــائـــمـــون جـــمـــيـــعـــا يـــهـــتـــدون به
«كـــأنـــه عـــلـــم فـــي رأســـه نـــارُ»

والمسحراتي، وهو ذلك الرجل الذي يتولى إيقاظ المسلمين لتناول وجبة السحور، وقد ظهر «ابن نقطة» في العام ٥٩٧ هـ في بغداد، واخترع فن "القوما" لمهمة التسحير، وكان يوقظ الخليفة «الناصر» للسحور، الذي يطرب له، وكان لابن نقطة ولد صغير ماهر في نظم القوما، فلما مات أبوه أراد أن يُعرِّف الخليفة بموت أبيه ليجريه على مفروضه فتعذر عليه ذلك، فصبر إلى دخول شهر رمضان، ثم أخذ أتباعَ والده من المسحرين، ووقف أول ليلة من الشهر وغنى القوما بصوت رقيق فأصغى الخليفة إليه وطرب له، فكان أول ما قاله:

يـا سيد الـسـادات لـك فـي الـكـرم عاداتْ
أنـا ابـن أبـو نـقـطـةْ تـعـيـش.. أبـويـا ماتْ

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار فاستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه.

وتنقلت هذه المهنة مع العصور حتى وقت قريب قبل أن تغطي الكهرباء والتكنولوجيا ربوع البلاد ليصبح المسحراتي مظهراً للتراث لا ضرورةً في رمضان، وقد كان لغناء المسحراتي سحر

لغناء المسحراتي سحر خاص.. وكان الناس يُخرجون له ما يجودون به عندما يتغنى بأسماء أبنائهم عند منازلهم

خاص، حيث هدوء الليل يخترقه الدق على طبلته منشداً وواعظاً ومحيياً سكانَ الدار وراوياً لهم الأقاصيص، وكان الناس يُخرجون له ما يجودون به عندما يتغنى بأسماء أبنائهم عند منازلهم، ويمر على البيوت في عيد الفطر ليأخذ نصيبه من الكعك والبسكويت والبلح.. يقول أحدهم:

أنـــا المـــسـحـر جـيـت أطـبـل لكم
حـافـظ أسـاميـكـم صـغـيـر مـع كبير
فـي كـل لـيـلـة لـي عـلـى كـل بيت
الـلـي مـــن الـذمـة خـــرج لفقير
ولـــي عـيـديّـة عـنـدكـم كـل عيد
الـكـعـك وكـفـوف الـشـريـك والفطير
آجـــي أصـحـيـكـم وأنـــتـم نـيـام
وقـت الـسـحـر عـن كـل خـيـر غافلين

ومع الإذاعة المصرية ثم التلفزيون اشتهر المسحراتي على صوت وألحان الفنان سيد مكاوي في شدوه بأشعار فؤاد حداد باللهجة المصرية «المسحراتي»، التي – تقريبا – حفظ معظمها المصريون باختلاف بيئاتهم وثقافاتهم، ومن هذه الأشعار:

اصحى يا نايمْ وحِّد الدايمْ
وقول نويت بكرة إن حييت
الشهر صايم والفجر قايم
اصحى يا نايم وحّد الرزاق
رمضان كريم
... ...
المشي طـاب لـي والـدق على طبلي
نـاس كـانـوا قـبـلـي قـالـوا فـي الأمـثـال
الـــرِّجْـــل تـــدب مـطـرح مـا تحب
وأنـا صنعتي مسحراتي في البلد جوّالْ

حبيت ودبيت كما العاشق ليلى طوالْ
وكل شبر وحته من بلدي
حته من كبدي
حته من موالْ

ومن المأكولات الرمضانية المصرية "الكنافة"، التي لا تخلو منها المائدة المصرية في رمضان مع القطائف، وفيهما يقول الشاعر المصري أبو الحسين الجزار في العصر الأيوبي وبداية العصر المملوكي:

تالله ما لثمُ المراشفْ
كلا ولا ضمُّ المعاطفْ
بألذَّ وقعا في حشاي
من الكنافة والقطائفْ

ويأتي الفول المدمس، سيد الطعام المصري، على مائدة السحور، ويروي شهاب الدين بن حجر عن بدر الدين بن الصاحب في صبي مليح يدور بالفول في العصر المملوكي متحدثاً بلسانه:

أنا ابن الذي بالليل تسطع نارُهُ
كثير رماد القدر للحب يحملُ
يدور بأقداح العوافي على الورى
ويصبح بالخير الكثير يفوِّلُ

ومن المشروبات الشعبية التي يحرص عليها المصريون في رمضان . خصوصاً إذا وافق الصيف . العرقسوس والسوبيا، وهي خليط من الحليب والفانيليا والسكر وجوز الهند.

وما أروع حالات انتظار مدفع الإفطار أمام الموائد العامرة بكل ما تشتهيه النفوس خلال اليوم، وما إن ينطلق المدفع تعقبه أجمل صيحة "الله أكبر"، معلنة أذان المغرب حتى تمتد الأيادي إلى التمور والمشروبات الباردة، التي تهدئ من سورة البطون وثورة الجوع فتتراخى الأجساد ولا تنشط إلا مع صلاة التراويح مرة أخرى.. وتبدأ رحلة الليل الساهر مع الصخب واللعب والاستمتاع والصلوات الليلية.. ويتضاعف الاستهلاك وتقل ساعات العمل في النهار، وتكثر ساعات الإعداد للفطور . رغم غناء فؤاد المهندس وصباح التي تشكوه قائلة:

يا عالم فهموه
رمضان ما عمروش قال كده
رمضان قال
احمدوه والحمد مش بالشكل ده

وهو يرد عليها شاكيا باكيا:

يا أخواتي صايم وراجل شقيان
وامراتي
عايزة تجوّعني حتى ف رمضان

إن عادات المصريين في رمضان لم تغيرها الأزمان إلا في القليل من العادات الدخيلة، وعندما تمر أيام الشهر الكريم سريعة تنساب الدموع مع صوت المسحراتي فيما يُسمَّى بالتواحيش . من الوحشة والشوق . فيقول:

لا أوحش الله منك يا شهر الصيام
لا أوحش الله منك يا شهر القيام
لا أوحش الله منك يا شهر العزائم
لا أوحش الله منك يا شهر الولائم
لاأوحش اللهمنكياشهرالكرموالجود

وتبث الإذاعة المصرية على مختلف محطاتها، وكذلك التلفزيون المصري بمختلف قنواته رائعة شريفة فاضل:

تم البدر بدري والأيام بتجري
والله لسه بدري والله يا شهر الصيام

أهم المراجع

المستطرف من كل فن مستظرف للإبشيهي، دار الكتب العلمية.

موسوعة التراث الشعبي العربي للدكتور محمد الجوهري، هيئة قصور الثقافة.

رمضان في الزمن الجميل، عرفة عبده علي، كتاب الجمهورية.

روائع شعراء العامية، أحمد شلبي، مكتبة بيروت.

رمضان، حسن عبد الوهاب، المكتبة الثقافية.

ألعاب الأطفال وأغانيها في مصر، د. محمد عمران، هيئة قصور الثقافة.

مجلة الهلال، عدد أغسطس ٢٠١٠، عدد خاص عن رمضان . مقال للدكتور محمد زغلول سلام.

موقع غوغل الإلكتروني.

نُزْهَـــــةٌ فِي رِيَـــــ

إعداد: عبد الله بن مهدي الشمري*
ams.aljadlan@gmail.com

المفعول المطلق

هو اسم منصوب، يكون مصدرًا أو نائبًا عنه مؤكدًا لعامله أو مبينًا لنوعه أو لعدده، كـ «كتبتُ كتابةً» أو «قرأتُ قراءةَ المتقن» أو «جلسَ القاضي جلستين»، وسموه مفعولا مطلقا؛ لأنه يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، فيقولون: مشيتُ مشيًا؛ فالمشيُ مفعول؛ لأنه نفس الشيء الذي تم فعله، بخلاف من يقول: شكرتُ زيدًا، فإن زيدا هنا مفعولا به حيث وقع عليه الفعل، وهو «الشُكرُ»، ويفيد المفعول المطلق ثلاثة أمور هي:

التوكيد، ومثاله: قوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) وقوله تعالى: (صلوا عليه وسلموا تسليما).

بيان النوع، ومثاله قوله تعالى: (فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر) أو قول القائل: (نمت نوما مريحا).

بيان العدد، ومثاله قوله تعالى: (فدكتا دكة واحدة).

لا أعلم سبب استخدام النحويين لـ«الضرب» في أمثلتهم، كقولهم: «ضَرَبَ زَيدٌ عَمْرًا».

* كاتب رأي، عضو الجمعية العمومية لنادي المنطقة الشرقية الأدبي.

للأدب واللغة رياضهما الجميلة المزدانة بكل بهي ورائع، فكما تزدان الرياض في فصل الربيع بكل منظر جميل تلذ به أعين من يرتادها، وتسعد به نفسه وروحه، ويتسع فيه خياله، فإن رياض الأدب واللغة فيها ما تسعد به النفوس، وتلذ بالنظر إليه العيون، وترتقي به العقول، ويسرح فيه الخيال طليقا مجنحا عبر الزمان، ولعل اختياري لهذا العنوان له من الدلالة على ما آمل أن يجده القارئ الكريم - إن شاء الله - في قليل ما اخترته له من هذه الرياض الغناء في هاتين الصفحتين من مجلة الخفجي، فسعادتي ستكون غامرة واعتزازي كبيرا إن تحقق له فيهما ما يمتع فيه - خلال نزهته - عقله وروحه وخياله.

بلاغة

قالت امرأة تصف زوجها: زوجي أبو مالك، ذو إبل كثيرات المبارك، قريبات المسارح، إذا سمعن صوت مزهر - آلة من آلات اللهو - أيقن أنهن هوالك، .. فإن نزل به ضيف لم تكن الإبل غائبة، ولكنها بحضرته، فيقريه من ألبانها ولحومها.

ومدحت أخرى زوجها بكرم الأخلاق وخصب الغنائم، فقالت لأمها: يا أمه، من نشر ثوب الثناء فقد أدى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جحود لما أوجب منه، ودخول في كفر النعم، فقالت لها أمها: أي بنية، طيبت الثناء، وقمت بالجزاء، ولم تدعي للذم موضعا - ومن لم يذم - ولا ثناء إلا بعد اختبار، قالت: يا أمه، ما مدحت حتى اختبرت، ولا وصفت حتى شممت، قال الزوج: ما وفيتك حقك، ولا شكرت إلا بفضلك، ولا أثنيت إلا بطيب حسبك، وكريم نسبك، والله أسأل أن يمتعني بما وهب لي منك.

معانٍ

صبأ: صبأ من دين إلى دين، وهو من الصابئين والصابئة، وصَبَأ نابُ البعير، وصبأ النجم، وصَبأتُ على القوم: هجمتُ.

طحو: طحا الله الأرض طحوا، قال تعالى: « والأرض وما طحاها»، وطحا بك الهوى، وطحا بك همك: ذهب بك، وتأتي بمعنى: امتد، ورمى، وذهب.

طنز: طنز فلان بالناس: أي يسخرَ منهم، وطانزوا وتطانزوا، وهي كلمة لاتزال مستخدمة في بعض بلدان الخليج، وإن نالها شيء من التحريف.

عيي: عيّ بالأمر، وتعيّا به وتعايا، وأعياه الأمر إذا لم يضبطه، وعايا صاحبه معاياة إذا ألقى عليه كلاما أو عملا لا يهتدي لوجهه، وتقول: إياك ومسائل المعاياة فإنها صعبة المعاناة.

رضم: واحدة رضمة، وهو صخور عظام، ومنه: رأيت إبلا كالرّضام، وبنى داره بالرّضام، وبناء رضيم: مبني بالصخر، وبنى بناء رضم فيه الحجارة: أي وضع بعضها فوق بعض، وهي كلمة لاتزال تستخدمها قبيلة شمّر، ويوجد موقع يسمى: أم رضمة.

من أعلام الأدب - «رشيد أيوب»

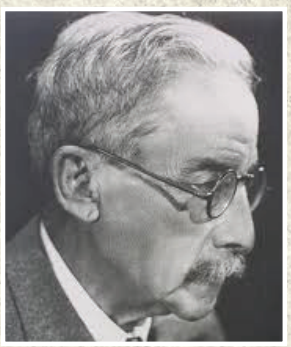

هو الشاعر الدرويش «رشيد أيوب» ولد في «بسكنتا» بلبنان عام ١٨٧١ وقيل ١٩٧١ م، وهاجر إلى باريس عام ١٨٨٩ م، وأقام بها ثلاث سنين ثم تركها إلى بريطانيا حيث أقام في مانشستر، ولم يحالفه الحظ في البلدين، فتوجه عام ١٨٩٣ م إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كان رشيد كثير الشكوى من الزمان للزمان، وبكى حظه العاثر؛ بسبب الفقر الذي لازمه حتى مماته، وربما كان السبب الرئيس معاناته الدائمة، فقد كانت الشكوى والألم والكآبة مفاتيح شخصيته، وكان مع كل ذلك واسطة العقد في الرابطة القلمية التي تأسست عام ١٩٢٠ حيث كان بين السبعة الذين أسسوها، وكان بهجة مجالسيه، وعرف بالفكاهة، وخفة الظل، والحيوية الطاغية، ولطف الحديث، لكنه أدمن شرب الخمر – رغم فقره – وكأنه يريد الهروب بغياب عقله، حتى أنه قال:

وقائلةٌ لمّا رأتني مكثرًا ❊❊❊ من الخمر إن الخمرَ يَذهبُ باللبّ
فقلتُ دعيني في رشادي فإنني ❊❊❊ أعوضُ عمّا يَشربُ الحزنُ من قلبي

وقد كان من أكثر أعضاء الرابطة إنتاجا للشعر حيث أنتج ثلاثة دواوين، كان أولها : «الأيوبيات» وقد طبعه عام ١٩١٦ – وهو من أول الدواوين التي طبعت في المهجر – ثم أصدر عام ١٩٢٨ ديوانه الثاني: «أغاني الدرويش» ثم طبع ديوانه الآخير «هي الدنيا» عام ١٩٣٩، وقد عارض فيها «يا ليل الصب متى غده» في مقطوعة شعرية رائعة منها قوله:

الليلُ ومثلي يسهّدُهُ
والنجمُ ومثلي يَرصدُهُ
تفنى الأيامُ ولي نوحٌ
ورقاءُ الدوح ترددُهُ
وتظلُ النفسُ تَحنُ لهُ
ويظلُ فؤادي مرقدُهُ
يا أهلَ العشق بربّكُمُ
أسمعتمْ ما أتكبدُهُ

إلى أن يقول في آخرها:

لمْ يُبقِ هواكَ به رمقًا
هيهاتَ يُشاهدُهُ غَدُهُ

وقد علل سرّ الكآبة التي لازمته بقوله: «إن الحياة فرح، وتارة حزن، وطورا يأس، وآونة رجاء، ولكن الآلام وحدها تحتفظ بها النفس، والسرور يضمحل ويتلاشى؛ لأن النفس التي لا تتألم لا جمال فيها ولا تقترب من الله». ومن شعره في التذكر قوله:

هَوّنَ اللهُ وعدَنا فالتقينا ❊❊❊ وتذكرنا الليالي فبكينا
يومَ كنّا في بساتينِ الصّبا ❊❊❊ من ثمارِ الحُبّ نَجني مَا اشتهينا

ويستمر في رسم تلك الصورة بل الصور التي تختزنها ذاكرته مشحونة بالحنين إلى أن يقول في ختامها:

دارت الدُنيا بنا دورَتَها ❊❊❊ فتفرقنَا كأنا ما التقينا

وقد زاده ميل شمسه إلى الأفول حسرة على ما هو عليه من ألم وكآبة وشكوى، ومما قال:

دنت المَنيةُ وانقضى عُمري ❊❊❊ ونسيتُ ما قد كان من أمري
غابتْ رسومُ في مُخيلتي ❊❊❊ كانتْ تُضيءُ كأنجمِ زُهرِ
وخَبَا فؤادٌ كان مُشتَعلا ❊❊❊ بالحُبّ مثلَ النّارِ في صَدري
ماذا إذا رُفِعَ الحجابُ غدًا ❊❊❊ ألقى وَقَدْ أصبَحتُ في القَبْرِ؟

وقد توفي « الشاعر الدرويش » عام ١٩٤١ في الولايات المتحدة الأمريكية ودفن في نيويورك.

أثر الاكتشافات العلمية في تطور الفـــــ

في العام ١٩٦٣م نشطت حفريات في مدينة بومبي (Pompeii) بإيطاليا للكشف عن بقايا المدينة، التي طمرها بركان "فيزوف" بحممه المنصهرة عندما ثار وأغرقها في العام ٧٩م، ومن ضمن المباني التي طمرت كان سجن بومبي الذي عثر علماء الحفريات في أحد غرفه على صورة ضوئية مطبوعة على حجر، وكانت الصورة عبارة عن رأس رجل مغمض العينين. ومن هنا عكف علماء الحفريات على دراسة هذه الظاهرة العلمية المهمة بإجراء البحوث المستفيضة لكشف هذه الظاهرة، وخرجوا بنتيجة علمية هي أن في أحد غرف السجن كان هناك جثة سجين يقابلها حائط به ثقب صغير، ومن خلاله طبعت صورة السجين على حجر كان داخل الغرفة المقابلة لغرفة السجين، وبتحليل هذا الحجر الذي وجدوا أن من مكوناته بعضاً من معدن الفضة التي تتأثر بالضوء، وهكذا اتضح أن أول صورة فوتوغرافية في التاريخ هي من فعل الطبيعة، لكن بعد هذا الاكتشاف لم تظهر أول صورة ضوئية بفعل الإنسان إلا في العام ١٨٢٢م أي بفارق زمني قدره ١٧٤٣ سنة ميلادية، وبالتحديد عندما أعلن العالم الطبيعي أراجو في العام ١٨٣٩م في أكاديمية العلوم بباريس عن اختراع التصوير الفوتوغرافي.

استأثر هذا الاكتشاف العلمي باهتمام الفلاسفة والمفكرين والفنانين، واستفاد الفنانون من هذه الأبحاث في رسم مناظرهم والاستعانة بها لتسجيل موضوعاتهم المستلهمة من الحياة، لاسيما إذا كانت هذه الموضوعات تضمن تسجيل مناظر طبيعية أو حركة، مثل لوحات الفنان الأمريكي فردريك ريمنغتون (Frederic Remington ١٨٦١-١٩٠٩)، الذي كان يحمل الكاميرا

بقلم: هدى العمر*
hodaomar4@hotmail.com

* كاتبة وفنانة تشكيلية سعودية.

فنون التشكيلية (١)

أينما ذهب ليصور حياة الغرب الأمريكي، ومناظر الغابات، والصحراء، وصراع الهنود الحمر، مستفيداً بها لرسم لوحاته، وربما كانت الكاميرا هي السبب في نجاحه وشهرته وتخليد أعماله. وكذلك الفنان الأمريكي الأشهر نورمان روكويل (Norman Rockwell ١٨٩٤-١٩٧٨)، الذي استعانت الولايات المتحدة الأمريكية بلوحاته الأربع الشهيرة عن الحروب في العام ١٩٤٣م كرمز للخوف من الحروب وآثارها المدمرة على الإنسانية، فقد كان يستعين استعانة مباشرة بالصور الفوتوغرافية فيختار نماذج من موديلات يأتي بها في مرسمه الضخم، ويقوم بتصويرها بالتعبير الذي يرغب فيه، ثم يستخدم الصور في رسم لوحاته وتلوينها بأسلوبه الرائع المتميز، الذي عرف عنه في أمريكا والعالم أجمع. وهكذا فعل الفنان الفرنسي إدجار ديجاس (Edgar De Gas ١٨٣٤-١٩١٧)، الذي اشتهر برسم راقصات الباليه، فكان يصور ما يرغب في رسمه من حركات وتكوينات جميلة للراقصات ومن ثم يستعين بالصور في مرسمه لرسم لوحاته. وكذلك فعل الفنان دافيد شيبرد (David Shepherd)، الذي ولد في بريطانيا في العام ١٩٣١م، واشتهر برسم حيوانات وأحراش وضواحي الأدغال الأفريقية، مستعيناً بأحدث الأجهزة التكنولوجية الحديثة في مجال التصوير من كاميرات فيديو وسينما وشرائح ملونة، وبذلك يدرس حصيلة مشاهدته لها على الطبيعة بتأن وتأمل واستيعاب، ومن ثم يقوم برسمها من واقع رؤيته الذاتية. ومن المعروف أن لوحاته تصل أثمانها إلى أسعار خيالية لما تحتوي عليه من دقة في أسس وتشريح الكائنات وجمال طبيعة هي غاية في الروعة التي لا تخلو من انعكاس إمكانات دافيد الفنية الوافرة والمعاصرة.

من هذا العرض المختصر نجد أن الفنان قد استفاد من اكتشافات التصوير قديماً وحديثاً مع تطور التصوير الضوئي الملون، لكن يجب أن يستوقفنا هنا أن هذا التعاون بين الفنان والكاميرا هو تعاون من دون مغالاة أو مجرد نقل حرفي من الصورة الفوتوغرافية حتى لا يهبط العمل الفني إلى السطحية والجمود، فليس هناك ما يضاهي حس الفنان اللوني وانفعالاته، التي يترجمها عبر أنغام الريشة، فقد تصدر هذه الريشة نغماً حزيناً أو آخر مبهجاً، لكنه صادق ونابع من روحه وخبرته وفلسفته الذاتية، فقد نرى الطبيعة أو العناصر المحيطة بها في كل حين نمر عبرها، لكنها لا تحرك وجداننا وعواطفنا، لكن قد تستوقفنا لوحة معبرة سجل فيها الفنان صحراء، أو شاطئ بحر، أو رمال صحراء، أو موقفاً إنسانياً، ونعجب بها ونطالعها بتأمل وإعجاب لا يخلو من التقدير للمسات الفنية المعبرة التي أبدعها الفنان، وهذا هو الفرق بين آلة التصوير واللوحة الفنية، فالأولى مهما حوت داخلها لنقل الواقع الظاهري للطبيعة فهي شكل وتسجيل ومحاكاة حرفية تختلف تماماً عن الثانية في الروح والتحليل والتسلل إلى أعماق النفس البشرية. ■■

إعداد: سمير العاسمي*
sameeras121967@hotmail.com

«كورونا»... إصابات تثير الذعر وتهدد الحياة

تسود العالم الآن موجة من القلق بسبب حدوث عدد من حالات الوفاة جراء فيروس كورونا coronavirus، الذي يسبب الوفاة من جراء حدوث التهاب شديد بالجهاز التنفسي. وظهرت الحالات في منطقة الشرق الأوسط التي أعادت إلى الأذهان نفس حالة الذعر التي حدثت في العام ٢٠٠٣ عند ظهور فيروس «سارس» (متلازمة الالتهاب التنفسي الحاد) القاتل في شرق آسيا.

ونظرا لخطورة الموضوع والمخاوف من انتشار المرض في العالم كله، خصوصاً بعد ظهور حالات مؤكدة تبعا لتقارير المختبرات في فرنسا والمملكة المتحدة وألمانيا بما يشبه الوباء (وكانت الحالات التي تم رصدها في أوروبا لمواطنين من الشرق الأوسط أو من زواره تم نقلهم للرعاية الطبية) مما جعل الباحثين يطلقون على الفيروس تعبيرا خاصا بالشرق الأوسط Middle East respiratory syndrome coronavirus (MERS – CoV).

وأشارت منظمة الصحة العالمية في اجتماعها السنوي الأخير في جنيف إلى أن الدول التي يمكن أن توجد فيها حالات يشتبه في إصابتها بفيروس كورونا يجب أن تتبادل المعلومات الصحيحة حول الفيروس، خصوصاً أنه أودى بحياة أكثر من ٢٢ شخصا حتى الآن من أصل ٤٤ إصابة بالمرض منذ سبتمبر الماضي حسب تقارير المنظمة.

ويعد الفيروس تقريبا من نفس العائلة التي ينتمي إليها فيروس «سارس» القاتل SARS. وخلافاً لما يعتقده كثيرون فإن عائلة فيروس كورونا ليست جميعها شديدة الخطورة، بل إن بعض الأنواع شائعة ويصاب بها معظم الناس في وقت من الأوقات ويمكن أن تصيب الحيوان والإنسان وفي الأغلب في حالات الإصابة البشرية تكون الإصابة عبارة عن التهاب بسيط أو متوسط في الجهاز التنفسي. وسميت بهذا الاسم لأن سطح الفيروس يشبه التاج crown، وهو عدة أنواع أو سلالات. وهناك ٥ أنواع يمكنها أن تصيب الإنسان أخطرها «سارس»، الذي يسبب التهابا حادا في الجهاز التنفسي. والاسم مشتق من الأعراض باللغة الإنجليزية الذي يمكن أن يؤدي إلى الوفاة.

وقد رصدت تقارير منظمة الصحة العالمية عملية الانتقال بين الأشخاص سواء عن طريق السعال أو العطس أو التلامس المباشر، إلا أنها حدثت في أضيق نطاق وعن طريق الاحتكاك المستمر والطويل، وهذا يعني أن الإصابة لا تنتقل عن طريق التعامل العابر سواء في الشارع أو العمل أو التحدث لشخص ما. جدير بالذكر أن فيروس كورونا ضعيف خارج جسم الإنسان ولا يتمكن من الحياة خارج جسم الإنسان أكثر من ٢٤ ساعة.

ولا توجد في الوقت الحالي معلومات مؤكدة عن المرض سواء عن مدى انتشاره في الشرق الأوسط أو في العالم كله أو أعراضه على وجه التحديد وإن كانت معظم الحالات التي تم رصدها عانت من ارتفاع في درجة الحرارة وأوجاع في معظم الجسم وصداع وضيق وصعوبة في التنفس والتهاب الرئوي. ولا يعرف للمرض علاج محدد ولكن يتم التعامل مع الحالة على أنها حالة من حالات الالتهاب الحاد للجهاز التنفسي ويتم علاج صعوبة التنفس الشديدة.

«الشرق الأوسط اللندنية»

* كاتب ومحرر صحافي سوري.

الإكثار من تناول المسكنات الشائعة يزيد مخاطر الأزمات القلبية

قال باحثون مؤخراً إن تناول جرعات كبيرة لفترات طويلة من المسكنات مثل الآيبوبروفين أو الديكلوفيناك له «نفس خطورة» التسبب في أزمة قلبية مثل استخدام العقار فيوكس الذي تم سحبه لمخاطره المحتملة.

وقال الباحثون، خلال عرضهم لنتائج دراسة دولية كبيرة حول فئة من المسكنات تسمى مضادات الالتهاب غير الستيرويدية، إن تناول جرعات كبيرة من هذه المسكنات يزيد بنحو الثلث خطر الإصابة بأمراض الأوعية الدموية الخطيرة كالأزمات القلبية أو السكتات الدماغية أو الوفاة من أحد أمراض القلب والأوعية الدموية.

وأضافوا أن ذلك يعني أنه من بين كل ألف شخص يواجهون خطرا متوسطا بالإصابة بأمراض القلب ويتناولون جرعات عالية من الديكلوفيناك أو الآيبوبروفين لمدة عام سيزيد عدد المصابين بأزمات قلبية بمقدار ثلاثة أشخاص بينهم إصابة قاتلة.

ويضع ذلك المخاطر القلبية لمضادات الالتهاب غير الستيرويدية العامة على نفس مستوى فئة أحدث من هذه المضادات تعرف باسم مثبطات كوكس-٢ أو المسكنات الانتقائية ومن بينها عقار فيوكس المسكن الذي سحبته شركة الأدوية الأمريكية ميرك من السوق في العام ٢٠٠٤ لارتباطه بالمخاطر القلبية.

وقال كولين بايجنت من وحدة خدمات التجارب السريرية في جامعة أوكسفورد البريطانية والذي قاد الدراسة التي نشرت في مجلة لانسيت الطبية Lancet: «ما نقوله هو أنها (المسكنات الانتقائية والآيبوبروفين والديكلوفيناك) لها مخاطر متشابهة لكن لها فوائد متشابهة أيضا».

وأكد أن المخاطر تتعلق بصفة أساسية بمن يعانون من آلام مزمنة، مثل مرضى التهاب المفاصل الذين يحتاجون جرعات عالية من المسكنات، مثل ١٥٠ مليغرام من الديكلوفيناك أو ٢٤٠٠ مليغرام من الآيبوبروفين يوميا لفترات طويلة. وأضاف «من المستبعد أن تكون هناك خطورة من تناول جرعات أقل لفترة قصيرة كتلك التي تستخدم في حالات التواء العضلات على سبيل المثال.»

وعلى عكس النتائج المرتبطة بالآيبروفين والديكلوفيناك أظهرت الدراسة أن تناول جرعات عالية من النابروكسين، وهو أحد مضادات الالتهاب غير الستيرويدية، لا يزيد خطر الإصابة بالأزمات القلبية على ما يبدو. وقال الباحثون إن ذلك ربما يرجع إلى أن النابروكسين له آثار وقائية أيضا تحقق التوازن في مواجهة أي مخاطر إضافية على القلب.

«رويترز»

منع التدخين في الأماكن العامة قلل الولادات المبتسرة

كشفت دراسة حديثة أن عدد النساء اللائي يضعن مواليد خُدج أو «مبتسرين»، تراجع بعد منع التدخين في الأماكن العامة. والمعروف أن التدخين أثناء الحمل يمكنه أن يعيق نمو الأجنة في رحم أمهاتهم، لكن حتى الآن، لايزال العلماء يجهلون الكثير عن تأثير الامتناع عن التدخين في معدلات الولادة قبل الأوان.

وقد حلل الباحثون الذين ترأسهم الدكتور تيم ناوروت الأستاذ في جامعة هاسلت ببلجيكا، حالة ٨٧٧,٦٠٦ مواليد أنجبوا في ٢٤-٤٤ أسبوعاً في الفترة من ٢٠٠٢ -٢٠١١. ويعرف العلماء الولادة المبتسرة بأنها «إنجاب المولود قبل ٣٧ أسبوعاً».

وفي بلجيكا على سبيل المثال، طبقت السلطات قانون منع التدخين في الأماكن العامة على ٣ مراحل. المرحلة الأولى في الأماكن العامة وأماكن العمل في٢٠٠٦، ثم في الكافتيريات والمطاعم في يناير ٢٠٠٧، وأخيراً في الحانات التي تتضمن تقديم الطعام في يناير ٢٠١٠.

وكشفت الدراسة عن انخفاضات في مخاطر الولادة المبتسرة بعد تطبيق كل مرحلة من هذه المراحل، وقبل تطبيق تشريع المنع لم تكن انخفاضات الولادات المبتسرة بائنة في الأعوام والشهور التي سبقت المنع. وقد أظهرت النتائج انخفاضاً بنسبة ١٣,٣ ٪ في الولادات المبتسرة في ١ يناير٢٠٠٧، وانخفاضاً آخر بنسبة ٢,٦٥ ٪ في مخاطر الولادة المبتسرة بعد ١ يناير ٢٠١٠. وتفسر عوامل أخرى مثل عمر الأم والحالة الاجتماعية الاقتصادية - أو حتى عوامل مثل تلوث الهواء - الانخفاض.

وقال الباحثون: تظهر دراستنا انخفاضاً مستمراً في مخاطر الولادة المبكرة في ظل نجاح حملات منع التدخين في الأماكن العامة. وتدعم النتائج المفاهيم التي تقول إن منع التدخين يتسم بمنافع صحية عامة حتى من بواكير عمر الإنسان.

وتتبنى دول كثيرة في أوروبا قوانين أكثر صرامة تتعلق بمنع التدخين في الأماكن العامة.

وهذه النتائج تؤكد المنافع الصحية لمنع التدخين في الأماكن العامة.

وقال باتريك أوبريان المتحدث باسم الكلية الملكية لأطباء النساء والتوليد في المملكة المتحدة: «أظهرت دراسات عدة أن التدخين أثناء الحمل يؤثر سلباً في نمو الجنين، بيد أن هذه الدراسة سلطت الضوء أيضاً على المخاطر المحتملة المرتبطة بالتدخين السلبي».

«الخليج الإماراتية»

تصنيع ضمادات خاصة تسرّع التئام الجروح

قام باحثون أميركيون بتصنيع ضماد خاص يسرع من شفاء الجروح ويوقف النزف ويحمي من الالتهابات، متخذين من القشرة التي تغطي الجروح دليلا وملهما لهم.

وبيّن الباحثون في الدراسة التي نشرت في دورية «أ سي أس» للمواد والوسائط التطبيقية، خصائص الطبقة الداخلية من القشرة التي تغطي الجروح، والتي تدعى «الجلبة»، حيث تعمل هذه القشرة كضماد طبيعي، فهي توقف النزف وتحمي الجرح من الانتان والالتهاب وتجذب الخلايا اللازمة للشفاء والالتئام.

وأوضح الباحثون أن الضمادات الحالية تعمل على وقف النزف ومنع الالتهاب فقط، ولكنهم أرادوا إيجاد نوع آخر من الضمادات التي يمكنها أن تسرّع من الشفاء والتئام الجروح، وبذلك استطاعوا تطوير ضماد مصنوع من مواد خاصة جاذبة للخلايا اللازمة للشفاء والتئام الجروح وهذه المواد تشبه تلك الموجودة في الطبقة الداخلية من القشرة التي تغطي الجروح.

وقد بينت التجارب المخبرية سرعة انجذاب الخلايا الخاصة التي تساعد على الشفاء لهذه المواد وتجمعها بنفس الطريقة التي تحدث في قشرة الجروح بالحالة الطبيعية.

ويأمل الباحثون في تطوير مواد أخرى مشابهة ولها خاصية جذب أنواع أخرى من الخلايا، وذلك لاستعمالها في علاج بعض الحالات المرضية، مثل معالجة الأورام عن طريق التقاط الخلايا السرطانية أو لنمو العظام، حيث يمكن لهذه المواد جذب الخلايا العظمية اللازمة لعلاج تلف الأعصاب.

«العربية نت»

«تويتر»: أسلوب جديد لتحرير الملف الشخصي للمستخدم وصور لمدن عالمية

أعلن موقع «تويتر» عن إطلاق طريقة ثانية لتحرير الملف الشخصي للمستخدم، تهدف لتسهيل عملية تحديث الصور والمعلومات الشخصية الخاصة به. وتتضمن الطريقة الجديدة إمكانية تغيير صورة الملف الشخصي والصورة الرأسية «الترويسة»، عن طريق خاصية السحب والإفلات، بالإضافة إلى ذلك، فقد أصبح المستخدم قادراً على التقاط صورة للملف الشخصي باستخدام كاميرا الحاسب الشخصي والأجهزة المحمولة مباشرة.

وقام «تويتر» أيضاً باختصار الطريق على المستخدم، إذ بات من الممكن تحديث المعلومات الشخصية الخاصة، مثل الاسم، والنبذة التعريفية، والموقع الجغرافي، والموقع الإلكتروني، كلها من خلال النقر على زر «تعديل الملف الشخصي» الذي يظهر أسفل معلومات المستخدم في تبويب «أنا».

وكان فريق الرؤى البصرية في موقع «تويتر» قد أطلق أخيراً صورًا لعدد من المدن حول العالم، وذلك بالاعتماد فقط على مواقع التغريدات التي تم وسمها جغرافيًا.

ولتشكيل هذه الصور تم دمج جميع التغريدات الجغرافية التي تم إرسالها منذ العام ٢٠٠٩، والتي وصل عددها، بحسب «تويتر»، إلى مليارات التغريدات، حيث تمثل كل نقطة في الصورة تغريدةً تم إرسالها عبر الموقع، وبالتالي فالكثافة التي تظهر في أماكن دون أخرى تُعبر عن عدد التغريدات التي تم إرسالها من موقع ما.

وقامت الشركة بنشر جميع الصور التي أعدتها في حساب فريق Visualizations على موقع مشاركة الصور «فليكر»، حيث ضمت المجموعة صورًا لكل من نيويورك وغيرها من المدن الأمريكية، وصور شاملة للولايات المتحدة الأمريكية.

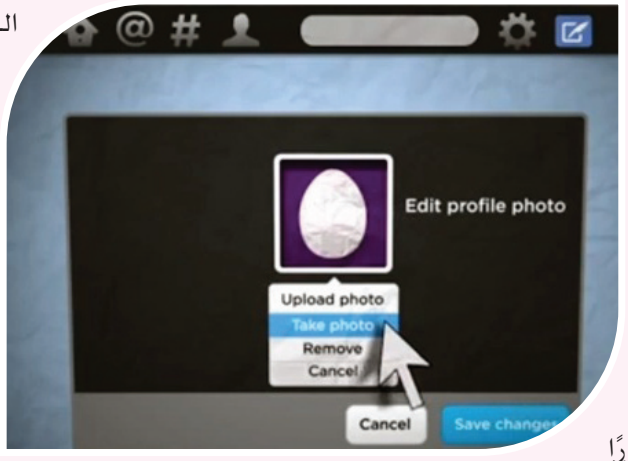

وشملت الصور أيضًا، مدن إسطنبول، وموسكو، وطوكيو، وسيئول، وسيدني، وصورة للقارة الأوروبية، وأجزاء من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

«البوابة العربية للأخبار التقنية»

مكافحة بق الفراش بتقنية جديدة

تمكن باحثون أميركيون من تطوير تقنية سليمة وآمنة وغير كيماوية على البشر والحيوانات الأليفة لإيقاف بق الفراش أثناء سيره، والتقنية الجديدة عبارة عن شبكة مصنوعة من ألياف وخيوط دقيقة تقوم بصيد البق بالتصاقها على أرجله، مما يمنعه من الحركة، وبالتالي لا يستطيع التكاثر أو الحصول على التغذية.

كما أن التجارب المخبرية لتحري فاعلية هذه التقنية على بق الفراش والنمل الأبيض نجحت، وهناك إجراءات قيد المباحثة قد تم طرحها في الأسواق، والأهم أنه لن يكون هناك تطور مقاومة من قبل الحشرات الطفيلية «البق» ضد الاستعمال المتكرر للتقنية.

وبناء على المعلومات الواردة من «مركز مكافحة الأمراض والوقاية منها»، فإن بق الفراش عبارة عن حشرات طفيلية لونها أحمر مائل للبني تكون مسطحة صغيرة جداً ليست لها أجنحة، تتغذى على دم الإنسان والحيوانات أثناء نومها، لكن يمكنها البقاء لعدة أشهر من دون وجبة الدم.

تعيش هذه الطفيليات غالباً في الأماكن المأهولة بالسكان، مثل البيوت وغرف النوم والفنادق والقطارات والسفن، حيث إنها تختبئ أثناء النهار في أماكن مختلفة كإطار السرير أو الأثاث المنزلي أو أي قطعة من أدوات المنزل وتخرج من مخبئها بالليل.

وبينت الدراسات أنها تستطيع التحرك لمقدار ٣٠ متراً أثناء الليل، لكنها ميّالة للبقاء على مسافة ٣ أمتار تقريباً من الإنسان.

وتختلف ردة فعل الجسم على عضة البق، وتتراوح من عدم وجود أي علامة إلى تشكّل علامات خفيفة، ويمكن أن تصل لردة فعل تحسسية قوية، مع الأخذ بالعلم أن العضة لا تعتبر خطيرة فيما عدا التحسس الذي يمكن أن يحصل بسببها بعض الأحيان.

«العربية نت»

زيت السمك يقي من سرطان الجلد

وجدت دراسة جديدة أن تناول زيت السمك قد يحمي من خطر الإصابة بسرطان الجلد.

وذكرت صحيفة «ديلي ميل» البريطانية أن الباحثين في جامعة «مانشستر» اكتشفوا أن أحماض الأوميغا-٣ الموجودة في زيت السمك تعزز جهاز المناعة وتؤثر في قدرة الجسم على مكافحة سرطان الجلد والعدوى الجلدية.

وقال الباحثون إن الزيوت التي تحتوي على الأحماض المذكورة وخاصة زيت السمك تخفف من تأثير الشمس في جهاز المناعة إلى النصف. ومن المعروف أن التعرض لكثير من الأشعة فوق البنفسجية الآتية من الشمس يمكن أن يكبح جهاز المناعة، ما قد يؤثر في قدرة الجسم على مكافحة سرطان الجلد.

وقالت الباحثة المسؤولة عن الدراسة ليسلي روديس إن النتائج «مثيرة جداً، وقد استغرق التوصل إليها سنوات عدة».

ولفتت إلى أنها الدراسة الأولى من هذا النوع التي تجرى على البشر، وتجرب عليهم عيادياً.

وقد طلب من ٧٩ شخصاً تناول ٤ غرامات من الأوميغا-٣، أي حصة ونصف حصة غذائية من السمك الدسم، يومياً، قبل التعرض إلى ٨ أو ١٥ و٣٠ دقيقة للشمس.

وأخذت مجموعة أخرى من الأشخاص دواء وهمياً، قبل التعرّض لأشعة الشمس. وتبيّن أن كبح الجهاز المناعي كان أقل بنسبة ٥٠٪ لدى الأشخاص الذين تناولوا متممات الأوميغا-٣ وتعرضوا للشمس مدة تتراوح بين ٨ و١٥ دقيقة، مقارنة بالمجموعة الأخرى التي لم تتناول المتممات. وظهر تأثير بسيط في الذين تعرضوا للشمس مدة ٣٠ دقيقة.

ويعرف زيت السمك بفوائده الصحية الكثيرة بينها الوقاية من أمراض القلب. ويذكر أن دراسة سابقة نشرتها الصحيفة نفسها أظهرت أن زيت السمك مع الأسبرين قد يستخدمان سلاحاً ضد الأمراض المزمنة مثل أمراض القلب والسرطان والزهايمر والتهاب المفاصل. ومن المعروف أن الأسبرين وحمض الأوميغا-٣ الموجود في السمك لهما تأثير مضاد للالتهاب، غير أن البحث الجديد أظهر أنه بالإمكان السيطرة على ردات الفعل المناعية المفرطة المرتبطة بالأمراض طويلة الأمد، من خلال تناولهما معاً.

ويمكن للالتهابات أن تصبح على المدى الطويل مزمنة ما قد يتسبب في تلف في صمامات القلب وخلايا الدماغ مما قد يؤدي إلى سكتات دماغية ومقاومة للأنسولين، وبالتالي إلى السكري. كما أن الالتهابات ترتبط بنمو السرطان.

ويستخدم الملايين الأسبرين للوقاية من سكتات الدماغ وأزمات القلب.

وقال العلماء: «وجدنا مادة D3» الموجودة في الأسبرين والأوميغا- ٣ توجد بشكل أطول في مواقع الالتهاب ما قد يظهر مزايا فريدة في مكافحة الالتهابات غير المسيطر عليها.

«الخليج الإماراتية»

مع التحية

بقلم: وائل الهنيدي
alhunaidy@gmail.com

امتياز الأبوة

تأتي الإجازة محملة بالمشاريع، وما إن يبدأ اليوم الأول منها حتى تزدحم كازدحام الطباء على خراش، وتتداخل تداخل الهموم في قلب أم العروس على حد المثل، فهي خلية من الشغل ومشغولة بالهم في آن معاً، ولن تجد مع هذا كله إلا أن تكون أباً، فهي وظيفة لا تنتهي، وامتياز قلّ من يتنبه له.

في امتياز الأبوة إضاءات كتبتها كومضات مركزة؛ لتؤدي ما عليها خلال هذه الإجازة - وفي كل وقت - تأملها وابتكر أفضل منها، فقدرتك على ملاحظة الصواب والتوجه له قدرة عالية، تحتاج منك الملاحظة الواعية، وانتقاء أكفأ الخيارات، وتطبيقها بحب وحزم.

اعلم أن الله تعالى خصك أيها الأب بأعمال صالحة، فتأمر بمعروف وتنهى عن منكر، إذ باستطاعتك أن تدخل السرور على أهل بيتك في كل لحظة، فهم أولى الناس بحسن صحبتك.

انظر في عيني ولدك، فإذا نظر إليك تبسم، امزح واضحك، عما قليل سيدرج خارج عشك، فاصنع حياتك معه بالمودة والرحمة؛ لتثمر غداً براً بك يسرك.

إذا رأيت ابنك مع أترابه فابتسم لهم، واسألهم عن أسمائهم وامدح أهلهم، سيحبك ابنك أكثر، ويحبك أصحابه وتعظم في عيونهم، حياؤهم منك سيمنعهم من كثير من السقط.

تقع المشاكل بين أبنائك، فكن منصفاً في حلها، ولا تتركها للزمن؛ لأنك إن تركتها معلقة ستبني نقمة بينهم، وستكبر دون أن يعرفوا سببها، فالإنصاف يصون علاقتهم من الترهل والبغض.

احذر أن تستعجل الفهم، تروّ واستمع جيداً لما سيقوله لك ابنك، لا تغضب ولا تنهر إن أردت مخزون أسراره أن يتدفق لتحسن التوجيه.

أكثر ما يربط الأب بأبنائه هو الاستماع لهم، لا تكن حفاوتك بابن صديقك الذي يزورك أكبر من حفاوتك بولدك، فهو أولى الناس بحسن صحبتك.

عوّد ابنك من سن السادسة ألا يخرج قبلك ولا يدخل قبلك، معرفة الدور والرتب من أهم ما تربي نفسه على التوقير والاحترام.

إذا رأيت ابنك أحسن في كتابة حرف أو أتقن مهارة فشجعه بأن تبدي إعجابك به، وقلده، وعوده على تحمل مسؤولية تميزه.

إذا أعجبك من ابنك تصرف أظهر فيه كرماً ومروءة أو رد برد جميل، فادع له بصوت يسمعه، وترجم حبك بالدعاء.

أعن ولدك على النظر أبعد مما يرى، وحادثه عن تجاربك، وارفع جودة حياته بتمرينه على التدبر.

ختاماً: لن تجد في خضم الحياة شيئاً تستثمر فيه، فتبني منه خصماً يوجه ويأمر وينهى أبر ولا أرشد من عقل واع، فاجعل كل توجهك إلى تنمية مهاراته، لتجعل السائد في حياة من حولك الحرص على التواصل الفذ بعاطفة تمتلئ بالحب والتوقير. ■■

الخفجي ...

رسالة عمليات الخفجي المشتركة الثقافية تصدر باللغة العربية، وتعنى بمناحي الحياة وعلوم اللغة، وتحمل شعار مجلة المثقف العربي.

عمليات الخفجي المشتركة
AL-KHAFJI JOINT OPERATIONS

الشركة الكويتية لنفط الخليج
KUWAIT GULF OIL COMPANY

أرامكو لاعمال الفليج
Aramco Gulf Operations